القومية الأيزيدية

جذورها - مقوماتها - معاناتها

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ٣٨ لسنة ٢٠١٠

القومية الأيزيدية

جذورها - مقوماتها - معاناتها

المؤلف

أمين فرحان جيجو

بغداد - ٢٠١٠

بسم الله



الإهداء

أهدي هذا الجهد المبارك

إلى

الشعب الأيزيدي المؤمن بالقومية الأيزيدية

الشعوب المؤازرة والمؤيدة للقومية الأيزيدية

كل إنسان يحترم ويقدر تاريخ الرافدين العريق

والدتي التي تربتني بأن أكون أهلا" للقومية الأيزيدية

عائلتي التي هيأت لي أجواء الكتابة بأحسن وضع



المقدمة

عند النزوح في تحديد المقاصد والمثل والمقاييس التاريخية والحضارية للشعب الأيزيدي سنجد في ثناياها المبدأ الصائب وتداعياته الأيديولوجية والمادية وبالتالي سنحوز من خلالها على الدلائل الدامغة والمزعومة في تدليل الطموح ذي النبرة الواقعية إزاء تاريخنا الأيزيدي العريق و الذي نحن بصدد تحقيقه وإبرازه للسطح، مرغمين بأن ندخل في عراك فاصل مع الوجود القائم (الواقع الذي فرضه سوء الأحوال والظروف التي حكمت حياة الإنسان الأيزيدي على مدى قرون بل آلاف السنين) المتشتت والمعقد إزاء تاريخ الشعب الأيزيدي، هذا العراك مفاده التهيؤ للإيغال في مجرى التاريخ البشري بهدف استحياء ذاتنا الجريحة وخلاصها من الجمود وتراكمات الماضي الأليم والاستعباد النفسي التي ظلت تلاحق وجداننا وذاتنا على مر الدهور.

إن التغيرات التي طرأت على مناخ الشعب الأيزيدي عبر المراحل الزمانية والمكانية المتعاقبة دفعت الإنسان الأيزيدي إلى تبني طرق شتى بغية تحقيق متطلباته الذاتية و المجتمعية ومنها درء المخاطر عن عناصره وإبراز ذاته النقية إلى السطح، ومن هذا المنطلق الإيجابي أردت أن أسلك طريقا" يحدد أهم المسارات المتعددة التي من الواجب القيام بتطبيق بنودها الراسخة والمتجذرة في أعماق التاريخ الرافديني وتنفيذها على الأرض في وقتنا الحاضر كي تكون نتائجها على عكس كل نتائج المجريات والمواقف السابقة التي أفرزت وقائع مزيفة أثقلت بشكل إلزامي على كاهل الإنسان الأيزيدي وبالمحصلة كانت درجات توظيفها مخيبة ولم تأخذ لها واقعا" قائما" في المجتمع الأيزيدي .

المسارات الجديدة توعز لانبثاق منطق خاص يحمل في طياته أطر ومفاهيم عامة بعيدة عن الإصرار المحتشم بالغموض والتشبث بالذات وحتما" فان الاتكال على هذه المسارات المصطبغة بالوقائع التي تجني المنفعة الخاصة والعامة للذات والمجتمع يبعث في أعماقنا اليقظة والارتقاء بالمنطلقات الصائبة والسليمة التي ارتأت أن تكون بديلا" للمفهوم التقليدي العام والذي كان يسود الكيان الإثني الأيزيدي طوال عهود زمنية عديدة، بالفعل ستتجلى عن هذه المسيرة الشاقة

لحركة التطوير المجتمعي الأيزيدي رؤى وأيديولوجيات عديدة ستساعد في دفع عجلة ركائز ومقومات مشروع النهضة التنموية الأيزيدية تجاه المناحي الدينية والفكرية والتراثية والسكانية والجغرافية وغيرها من المجالات صوب تقدم الإنسان الأيزيدي في بلوغ تحقيق الأمل المنشود تجاه ذاته ووطنه.

الشعب الأيزيدي، شعب عريق تمتد جذوره لآلاف السنين و عاش معظم أوقاته في ظروف مؤلمة وموجعة أفرزت ظواهر سلبية أحاطت بالإنسان الأيزيدي ونخرت في هيكله النقي ما ولّد لديه مظاهر الريبة والشك بواقعه القائم وخيبة أمل تجاه تطلعاته الآنية والمستقبلية حتى وصل الأمر به بمرور الزمن ليصبح مغمورا" في حلقات غليظة بالعجرفة أتسمت بأجواء متناقضة ومبهمة ، والشعب الأيزيدي ككيان ديني وإثني في نفس الوقت دفع الكثير من التضحيات الجسيمة و دون تردد سبيلا" لنبع الجوهر المعتمد على العقل والأخلاق والمنسجم في نظام منطقي وواقعي يفهم ويفعل المدركات والمبادئ التي تقود عجلة تقدم المجتمع الأيزيدي إلى الذرى، الإنسان الأيزيدي لم يستطع التفاعل مع المحيط وحتى مع ذاته في بعض الأدوار الزمانية والوقائع المكانية خشية فقدانه بين التقلبات والتذبذبات الانقلابية التي كانت تحاك ضده مع التأكيد بان هذا الإنسان تكيف بسلوك راق منزوح لمقاييس واعية بدد من تركيبته الغريزية جملة من الأطر والمواقف النبيلة والتي حفزت طريق التحرر من حتميات تكيف التركيب الخارجي، وفي أحيان كثيرة عجز الشعب الأيزيدي عن توخي الاندثار والتشظي في كيانه الذي التمت حوله أزمات دموية لا تعد ولا تحصى وبالرغم من ذلك فقد حافظ على أوضاعه التاريخية والحضارية مع تكبده خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات والمعالم الحضارية والتراثية بمجرد كونه :

- رفض الخضوع إلى الأجندات الهدامة.
- أنحاز للكفاح في سبيل بقاء الكيان الأيزيدي في هذا الكون السحيق.
- سار بدوافع يعلم مسبقا" بأنها تبرر الكفاح والتضحية بوجه الظلم الذي تفنن الغزاة والمحتلون في ممارسته بأساليب مثيرة تناقض السلوك والآداب العامة.
- تواق إلى تحقيق إمكانات الحياة الضرورية للقضاء على المنعطفات السلبية المستجدة بين الحين والآخر.

- تجاهل السعادة والمنفعة الشخصية ان كانتا تعنيان التنصل عن مبادئ الشعب الأيزيدي.
- يمتاز بطبيعة مرنة تأبى أي مفهوم عنصري مطلق.
- سعى في خلق ميول أساسية تبحث عن دور حضاري غزير بالمكتسبات والأدوار المشرفة.
- خضع إلى الامتداد التأريخي الرافديني والذي أذهل العالم بتجلياته الكبيرة.
- قاد للمركبة التاريخية بمسافات ومساحات غير طبيعية قاصدا" تحقيق مكاسب مرحلية وتقدمية بعيدة الأمد لشعبه ومحيطه.
- ثارعلى المقاصد المناوئة لكينونته التي تمتاز بالاعتدال والرحمة والتوسع أمام الطرق الممهدة في إشادة العلاقات الإنسانية مع سائر البشرية.

إن فكرة التمازج ما بين الطبيعة الموضوعية في سرد الوقائع التاريخية الأيزيدية وبين محور المشاعر والعواطف التي تلاحق ذاتنا بالتقدم إلى الأمام تعد بالطريق الصواب نحو إحراز الأهداف المحددة. لابد من توافر الظاهرة الإيجابية إزاء المقاصد التاريخية والحضارية المعنونة بالهوية الأيزيدية، سأتجنب التقليد المفرط وأتجه صوب الحقيقة المطلقة بوقائعها التناغمية والتقدمية المصحوبة بالأسانيد والاستمدادات الموغلة مكانة في التاريخ العراقي القديم ، والخضوع لمثل هذا المسار المنهجي سيفرز مرتكزات وأحداث تسمو بالمساواة والانطباعات الموضوعية وهذا ما سيطهر الإرث الأيزيدي من العوامل الدخيلة المزيفة التي نخرت فيه لتجد مكانا"أبديا" ولكن في نهاية المطاف باءت جميع محاولاتها بالفشل الذريع .

إن المحاولات التي سأنبرى لها في تحفيز وجدانية الكتابة في هذا الكتاب بهدف دعم التجارب التاريخية المرتبطة بكياننا الأيزيدي والمصحوبة بمرتكزات واقعية وهي ليست بمبالغة فضفاضة بقدر ما هي بناء مشروع خاص يصب في تشخيص وردع التركيب التقليدي المزيف (العوامل الدخيلة) عن كياننا بمنهجيات تتخذ على هيأة مقاصد فكرية وتاريخية مستوحاة من الإرث السومري البابلي المشترك، والتعريج على الأطر ذات الخصوصية البحتة والمتعلقة بالشأن الأيزيدي الصرف بهدف إزالة الظواهر الغريبة على مظهره وكينونته فضلا" عن تعضيد مراكز القوى المحرزة بالإمكانات الضرورية التي ستجلب لكياننا المضي قدما" بتطورات خلابة ووفق تطلعات وطموحات خاصة وعامة ، ولا

يعني ذلك التطاول اللاوعي على إرادات الكيانات والشخصيات الأخرى وإنما هو بمثابة السير إزاء المنظور الإيجابي الهادف إلى بزوغ حقيقة عليا لتتابع قواعد الإرشاد الحكيمة ومقاييس السلوك الإيجابية للمجتمع الأيزيدي وستنعكس هذه العجلة التقدمية على المحيط أيضا". في الواقع، ليس كل ما نسرد من وقائع تاريخية أخذت طابع الظلم والشر تجاه الشعب الأيزيدي هو كمال أجندة الصراع الدموي المغالط بحق الإنسان والكيان الأيزيدي برمته بل ما سوف أطرحه هو نبذة قصيرة من حلقات المسلسل الدموي التي وجهت سهامها السامة تجاه هذا المجتمع البريء.

إن طبيعة المنهج الموضوعي بخصوص مباحث هذا الكتاب تتطلب انتقاء محاور ووقائع خاصة في وسط هذا الكم الهائل من الوقائع التاريخية التي بصمت بأصابع أيزيدية وهذه الانتقائية المعنية والمطلوبة هي التي بدورها سترتبط بمحاور كتابي وبالتالي ستسهم هذه الحوافز النقدية في إظهار الحقيقة ذات الأبعاد والتعاليم الملتئمة في سبيل إبراز كل مقومات القومية الأيزيدية للكيان الأيزيدي، الخلاص من المصادر والينابيع التي تبث السموم (القلق - اليأس - الشعوذة - التدجيل - العنجهية - التحريف - الهضم) صوب مناحي المسيرة الأيزيدية واقع لابد من توفره لضمان مسيرة مركبة التقدم الأيزيدي في المراحل الراهنة والمستقبلية وهذه المسيرة التنموية ستفرز لنا مواقف مستوحاة من الموروث الحضاري الأيزيدي والتي ستخدم الرسالة الوطنية والقومية الطموحة معا" وتقدمها إلى الأمام بخطوات غير مسبوقة.

إن عدم اقتلاع القيم الحضارية الأيزيدية من الارث البابلي والسومري يلبي قضية خلق مجتمع مسالم ومعافى ونقي يتتبع الأسلوب الصحيح والأصلح في نقل الأمانة التاريخية وليس تزييفها باتجاه الضرر والإشعار باللاواقعية، والتشكيك في أنحياز المكون الأيزيدي إلى القومية الأيزيدية من قبل البعض بطرق تليق بمواقفهم الهدامة موقف غير مبرر من حيث إن الانحياز (انحياز الشعب الأيزيدي إلى القومية الأيزيدية) يعد بمثابة التجاذب الهادف إلى الميل الطبيعي للتاريخ العراقي القديم والسير إزاء تحقيق الاستقرار تجاه التاريخ الأيزيدي بدلا" من التردد والاضطراب بالمواقف وهذه التحولات الإيجابية ستولد حتما" نتاجات فكرية وثقافية ومشاريع ستخدم الإطار القومي الأيزيدي والمدى المحوري وتتجاوز حدودها الطبيعية المرسومة للذات الأيزيدية ومن هذا المنطلق فأن

الانحياز لذاتنا منفعة للمحيط قبل الذات وهذا ما سوف يمنح الجميع الاكتفاء بواقع العيش المشترك، والحس بالواجب المشترك، واستمرارا" يضبط به كل شيء في دنيانا.

تجاوز المنطق واعتماد الأيديولوجيات غير العقلانية إزاء الهوية الأيزيدية من قبل البعض كان له الأثر السلبي والمعيق لمسيرة التفوق التي عزم إليها الإنسان الأيزيدي بتواصل واستمرار بالرغم من الظروف المؤلمة مع ان تلك الدوافع الخطيرة لم تكن مجرد مواقف عابرة بل كانت بفعل فاعل و يتضح من خلال هذا السياق العام بان الميول كانت مهيأة مسبقا" لأجراء تحولات لا عقلانية إزاء التاريخ والحضارة والتراث والانتماء الرافديني للشعب الأيزيدي، ذلك التحول الجذري والقاضي بعجرفة الهوية الأيزيدية كاد أن يضع نهاية للأمر لولا إيمان الإنسان الأيزيدي بولائه المطلق لمبادئه المباركة وإصراره على تخليد الإرث المجيد المنحدر من سومر وبابل إلى بعد أزلي، الهوية القومية الأيزيدية تحول منطقي للشعب الأيزيدي الذي سيبدي مساهمة فعالة في استنهاض قضايا إنسانية وأخلاقية ليزين بها علاقة عناصره بمعالم أجداده العظام وسيجد الأيزيديون أنفسهم في ذات الوقت بأنهم يمثلون حلقة وصل ما بين ماضي العراق القديم المتمثل بسومر وبابل والشعب الأيزيدي القائم، ذات الهوية الأيزيدية عنوان يزيد احترامه كلما ذهبنا في إبرازه إلى الوجود القائم بثوب حضاري وتراثي وبمضمون مستنبط بطليعة مباركة لمعنى وجوده العريق وأتساع نطاق خياراته وتطلعاته البناءة والمشرفة.

البحث عن حقيقة التاريخ الأيزيدي أصبح بمثابة امتحان فشل فيه أغلب الكتاب، البعض منهم حاول وبكل إمكاناته وطاقاته تحريف الانتماء الأيزيدي لزوايا أخرى لا تمت للأيزيدية بصلة وكان معظم مضامين كتبهم الصادرة مشوه إزاء التاريخ الأيزيدي العريق، ومنهم من ذهب بالأيزيدية لإدخالهم إلى بودقة قوميات أخرى غير القومية الأيزيدية ، وأيضا من قام بتكفير الأيزيدية باعتبارهم طائفة تعبد الشر، والبقية القليلة الأخرى ذهبت في إبراز هوية أيزيدية مبعثرة لا تمت لمصدر معين وكل هذه الممارسات العنصرية لم تصل إلى مديات تحقيق طموحاتها، في ظل هذه الأجواء المشحونة بالتشويه الجسيم وشحة أو عدم وجود أي كتاب تفوح منه رائحة الهوية الأيزيدية الصرفة بقى الإنسان الأيزيدي حائرا" أمام هذا الواقع المرير وظل يعايشها لفترات زمنية طويلة مع إنه كان يدرك تاريخه المبارك

وانتماءه الرافديني روحا" ومادة ولكن الظروف لم تكن تسنح له السير إزاء تطلعاته النهضوية والتقدمية تجاه ذاته، وبعد توفير المناخ المناسب يتطلب منا أن نعرج على تحرير الكلمة الصادقة وإبراز الأمانة التاريخية بغية الولوج في كتابة التاريخ الأيزيدي بأسلوب مستقل ومحايد ، وها نحن اليوم نبدأ بأول مشوار حقيقي هدفه إبراز الهوية الأيزيدية الرافدينية العريقة عبر وضع أجندات منهجية وموضوعية تتسم بالاعتدال والاستقلالية والمرونة لتحديد وتثبيت وصيرورة الهدف الأيزيدي المطلق وهو القومية الأيزيدية.

أبواب الكتاب متقاربة إلى حد ما من حيث المناحي التاريخية ولكن كل جزء أو محور من هذه المحاور يأخذ على عاتقه بحث أمور وقضايا كانت غائبة عن الإنسان الأيزيدي وعن الرأي العام بشكل عام وسأقوم في إبراز الطروحات المناسبة إزاءها وبقدر طاقاتنا المتاحة آملا" في تقديم كل ما هو جدير بالثقة بخصوص البحث عن الجوانب التي من شأنها أن تقود مشروع بناء الهوية الأيزيدية إلى الأمام بخطوات كبيرة ستعضد نطاق القومية الأيزيدية و مقوماتها العريقة و بالمحصلة النهائية فأن هذا المشروع هو منفعة للكل.

المؤلف

أمين فرحان جيجو

الفصل الأول

الجذور التاريخية للشعب الأيزيدي وديانته

الفصل الأول

الجذور التاريخية للشعب الأيزيدي وديانته

توطئة :

الدعوة إلى إبراز الجذور والقواعد التي اتخذت هيئة عقيدة أو عقائد متعددة لتاريخ الشعب الأيزيدي تعتمد كليا" على تنقية مقاصد التاريخ البشري المادية والفكرية والنظم المتبعة لهما بهدف تدليل التوثيق، والتدقيق بمضامينها وهذا ما سوف يوجه مركبة التقدم الأيزيدي بخصوص مشروع القومية الأيزيدية بخطوات ممتازة ستسهم بشكل وآخر في تحرير جملة من الأدلة الدامغة إزاء كل مسلك من مسالك التاريخ الأيزيدي التي ستفعل آليات إبراز الهوية القومية للشعب الأيزيدي، لوضع أطر خاصة توجه الشعب الأيزيدي إزاء نشوء معين، يقصد من خلاله بناء أجندات ذات أهداف خاصة وعامة ستخدم المسيرة الأيزيدية الآنية والمستقبلية في وطن آبائهم وأجدادهم وادي الرافدين وفي هذا الاتجاه المهم يترتب على الإنسان الأيزيدي الخضوع إلى جملة من الالتزامات الآيلة إلى التمسك بالموروث الرافديني فضلا" عن الرجوع إلى الأسباب الأساسية الشاملة التي تدفع بالذات الأيزيدية إلى التواصل مع المبدأ التاريخي الطبيعي وليس لأي مسالك أخرى لا تتخذ من الملكية التاريخية الرافدينية الصحيحة أساسا" في انطلاق تطلعاتها ، إذن، الحقوق التاريخية الطبيعية غير المشوهة والمحرفة لابد من الاستناد إليها والاستمداد منها لكونها هي الأصل والمرجع الأول والأخير لمنطلقاتنا التي ستنتج أدواراً فعالة وإيجابية ستمكننا من الوصول إلى الهدف القاضي في انحسار أو بالأحرى إجهاض الغيبية عن الأوضاع والنظم الاجتماعية للشعب الأيزيدي، وبمجرد تعرية الأغطية المزيفة عن فلك الكيان الأيزيدي سيظهر العمل الجاد من قبل عناصره والهادف إلى إبداء فكرة التحول المقترن بالمنطلقات الإيجابية والمعبرة عن صرف التقدم والمنطق المنهجي لمشروعات البحث عن تفعيل الذات الأيزيدية إلى الوجود المادي الحقيقي وبثوبه الرافديني العريق.

الشعب الأيزيدي له تاريخ عريق تصل جذوره إلى قدم التاريخ البشري ولإثبات هذا الركن الحيوي المتمثل بانتمائه الحضاري لوادي الرافدين يتطلب اللجوء إلى تحرير التاريخ الطبيعي من قبضة الانتهازيين الذين تبنوا العقلية العنصرية في تسيير مخططاتهم التمردية على حساب الذات الأيزيدية الرافدينية المشرفة وعلى مدى فترات زمنية متعاقبة ، تلك المخططات ضربت الكيان الأيزيدي بأشكال وواجهات متعددة منها تحريف موروثه الحضاري، وانجراره إلى معارك لا تعد ولا تحصى وبدوافع كيدية وتكفيرية سالت فيها العديد والعديد من الدماء الزكية والبريئة، وفرضت على كاهله التبعية العنصرية، وأحاطت به عوامل عديدة لإذابة جسده في بودقات الغير، وجعل صفة العبيد من أولويات الفرد الأيزيدي وغيرها من المعاناة .

إن العزائم المرجوة التي تقع على عاتق الإنسان الأيزيدي القيام بها في تحديد أواصرعقيدة ماضي الشعب الأيزيدي وحاضره تتطلع إلى مجاراة التأكيد والتوثيق على المبادئ التي تضطلع بمهمة دفع الشعب الأيزيدي تجاه الوسائل والأهداف والنظم الإيجابية التي تشير إلى قدم الإنسان الأيزيدي في التاريخ الحضاري القديم و الحفاظ على هذا الموروث العريق والذي أصبح بمثابة طاقة مليئة بالحيوية والنشاط أستطاع هذا الإنسان من الارتقاء إليها وفق استدراك مقاييسه الإنسانية والأخلاقية المعزوة إلى تحسن ذاته النقية مع قدرته للحفاظ على وجوده المسؤول وبالرغم من التعسفات الناتجة من الظروف المضطربة والمتذبذبة، ما تمخض عن تلك الأدوار التاريخية البطولية كان هو الهدف المراد لخلاص المكون الأيزيدي من الآفات المتراكمة على جلدته والعمل على بناء مقدرات عالية وقوية لا تهتز بالعواصف مهما كانت شدة قوتها، والإيغال في التحركات التي أفرزت عوامل النجاة للمداميك التاريخية للشعب الأيزيدي وصيرورتها عبر المشوار الزمني والمكاني من قبل عناصره وفي ظل ظروف صعبة للغاية، كانت خطوة مباركة أيقظ بها الشعب الأيزيدي وغرزت في ذاته الاعتماد على الذات في بناء قدراته وتخطيه إلى الأمام، وبما ان الشعب الأيزيدي يمثل بدوره وريثا" للموروث الحضاري العراقي القديم إلى جانب شعوب أخرى تشترك في هذا الإرث الخالد ، فيستوجب بنا أن نسير في خطى إعلان العقيدة الموحى بها رافدينيا" بهدف تقوية الأواصر الاجتماعية ما بين عناصر الشعب الواحد وتحفيزها بإنشاءات تمددية وتفاعلية بغية الحفاظ على مقوم الموروث القديم و المشهود له بدرء الاستبداد والمغالطات التي أخذت أدوارا" كثيرة عبر الزمن المنصرم للقضاء على الأيزيدية

عبر أساليب الشرور والأكاذيب والجرائم بحقهم ، كما ان هذا الموروث سيدفع بالإنسان الأيزيدي للانجذاب إلى الفضائل الحسنة والمحكمة بالعقول السليمة في تسيير الطبيعة الإنسانية بدلا" من انجرافها لأغراض يصعب أدراك غاياتها الأنانية.

لتسليط الضوء على الانتماء الأيزيدي الثري إلى سومر وبابل وإبراز المرتكزات المشتركة لهذه الجذور الواحدة يتطلب البحث الدقيق في سياقات متعددة وهذه الخطوة المباركة حتما" سوف تأخذ جهودا" استثنائية. إن تمسك الإنسان الأيزيدي بالقدر الرافديني والانضواء المشرف والتجاوب الإنساني المطيع له يعتبر انتماء حقيقيا" لأقدم حضارة شهدها العالم والتي ولّدت منجزات عظيمة[١] وخلفت معالم

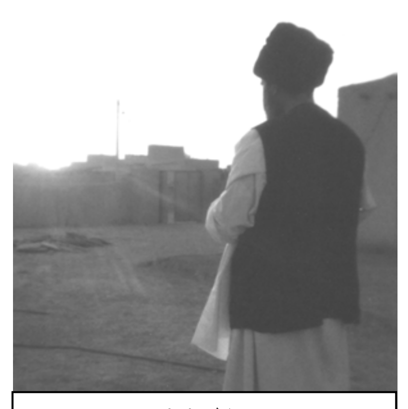
---

[١] (انجازات العراق القديمة / عبد العزيز حميد صالح) إن الري -كما هو معروف- كان الدعامة الأساس في الحياة الاقتصادية ، فقد تجلّت عبقرية الإنسان هنا بأجلى مظاهرها في الإرواء الصناعي وإن نشوء أول حضارة في بلاد الرافدين قد تحقق بلا أدنى ريب بعد أن سيطر سكانها على الأنهار فيها وذلك عن طريق إقامة السدود وحفر الأنهار والجداول وتجفيف الأهوار, فذللوا البيئة الطبيعية وأستغلوا إمكاناتها العظمى. ليس هذا فقط بل أستغل العراقيون الأقدمون أرتفاع مناسيب نهر الفرات قياسا إلى دجلة فشقوا أنهارا عظيمة من الفرات إلى دجلة لتروي أراضي واسعة كانت أحوج ما تكون إلى الماء. وفي سبيل تحقيق الأستقرار والأمن في البلاد, وللحفاظ على هذه المنجزات والمكاسب العظيمة كان من الضروري وجود حكومات قوية مستقرة. وكان الملك في العراق القديم على رأس السلطة حيث عدت سلطته التنفيذية والتشريعية مستمدة بشكل مباشر من الآلهة لحكم البلاد, فهو الذي كان يتولى قيادة الجيش وقت الحرب حيث ان من أولى واجباته المحافظة على حدود الوطن, وكذلك توفير الوسائل الكفيلة التي تساعد البلاد على الرخاء الاقتصادي عن طريق تنفيذ المشاريع الحيوية العامة مثل حفر القنوات والأنهار وبناء المعابد تقرّبا إلى الآلهة. لقد خلّف الكثير من الملوك العراقيين القدماء مآثر كتابية أكدوا فيها ما ذكرناه حتى ان بعضهم قد صوّر نفسه وهو يحمل سلال التراب والآجر رمزا" لقيامه بتنفيذ المشاريع العمرانية الكبرى وبخاصة بناء المعابد تقربا للآلهة. والكثير منهم قنّنوا الشرائع والقوانين في سبيل تنظيم الحياة العامة ونشر العدل بين الرعية.ومن الأمور المعروفة للجميع ان أولى الشرائع المدّونة في العالم قد ظهرت في العراق القديم, وهناك من الإشارات ما يدل بشكل قاطع على ظهور القوانين المدونة في عصر فجر السلالات. إن الشرائع في العراق القديم لم تكن أولى الجهود البشرية في تنظيم الحياة الاجتماعية فحسب بل إنها دوّنت بأسلوب علمي وبلغة قانونية دقيقة. إنها قوانين بهيئة مواد متسلسلة مقتصرة على الشؤون المدنية لا تتعرض للعبادات في شيء.وكان من تمسّك سكان العراق الأقدمين باحترام القانون والنظام ان تصوروا الكون كله على هيئة مملكة تحكمها الآلهة يتجلى فيها مبدأ الطاعة وبخاصة طاعة القوانين والسير بموجب أنظمة المجتمع وأعرافه الشفهية والمدونة. وبلغ من تقديرهم

وشواخص ما زالت تدهش الواقع الراهن فضلا" عن التراث الحضاري الثري، دفعت هذه الآفاق مجتمعة الإنسان الأيزيدي للمثول أمام هذا الواقع الحي المتماسك والمتفاعل في سلك البراهين والأحكام الإنسانية والأخلاقية والواقعية لمشروعات الإنسان المعاصر والمجتمع برمته ، الوقائع التاريخية الغزيرة و المتوفرة في الهوية الأيزيدية الحاضرة تعد انعكاسا" ومرآة للحضارة السومرية و البابلية الخالدتين، كل ركن تاريخي أيزيدي حاضر سواء كان يتعلق بالجانب المادي أو الفكري أو الروحي يعتبر بحد ذاته مادة تاريخية دسمة رسمت ملامح التاريخ البشري ووضعت سلطة عقائدية فذة للإنسان الأيزيدي وطورت ذاتيته ببعد إيجابي مسؤول ، التعميم في وجودية المشتركات التاريخية ما بين الأجداد المتمثلين بسومر وبابل والأحفاد المتمثلين بالشعب الأيزيدي خاصية نبيلة تمنح الرونق والتفاؤل وشعور والثقة بالنفس في تكريس الجوانب الحياتية للشعب الأيزيدي بضرورات وعطاءات عصرية مستمدة من طبيعتها الرافدينية.

لفضيلة الطاعة انهم تخيّلوا ظهور عهد ذهبي بين البشر في يوم ما تسود فيه الطاعة والنظام وسيادة القانون.ومن ثمرات الحضارة الناضجة نشوء الصناعات الأولى وكذلك التجارة وبخاصة التجارة الخارجية لجلب المواد الخام التي اعتمدت عليها تلك الصناعات. ومن البديهي أن يصاحب كل ذلك تقدم العلوم والآداب والفلسفة. وفي العراق القديم بدأت أولى المحاولات الفلسفية الجريئة الخاصة بأصل الكون والوجود والأساس في مكونات المادة. ومن المؤكد ان السومريين قد سبقوا الفلاسفة الإغريق بقولهم بمبدأ العناصر الأربعة الأولية التي عدت أصل جميع الأشياء.ومن البديهي أن يولي العراقيون القدماء أيضا الأدب الكثير من اهتمامهم. لقد كان شأنه شأن الآداب العالمية القديمة الأخرى يشرك الآلهة في الملاحم والقصص أو الأساطير. أما الشعر السومري والبابلي فقد كان يخضع لفن خاص من النظم والتأليف فهو موزون ولكنه غير مقفى. إنه من النوع المعروف في الوقت الحاضر بالشعر المرسل. وما خلفه لنا العراقيون القدماء من الروائع الأدبية أكثر من أن يحصى, ربما أهمها (ملحمة جلجامش) و (قصة الخليقة) و (قصة الطوفان) وعدد كبير جدا" من الأساطير.وفي باب العلوم الصرفة كالرياضيات مثلا عرف البابليون أسسا مهمة في خواص الأعداد وكذلك في العمليات والطرق والمعادلات الجبرية الأساسية. من ذلك مثلا" معادلات الدرجة الأولى بأنواعها المختلفة فضلا" عن معادلات الدرجة الثانية والثالثة. لقد أتبعوا في طرق حلها عمليات مدهشة لا تكاد تصدق لتطابقها مع الطرق العلمية الحديثة.ومن الأمور المتفق عليها أيضا في تاريخ المعارف البشرية أن البابليين هم الذين أسسوا علم الفلك الرياضي، وبدؤوا يدونون ملاحظاتهم وإرصاداتهم أو حساباتهم الفلكية منذ العهد الأكدي، وتقدم هذا العلم إلى درجة كبيرة مذهلة في العهد البابلي القديم. أما معرفتهم بالعلوم الطبيعية مثل علم الكيمياء, على سبيل المثال وبخاصة ما يتعلق منها بخواص المواد وتأثير الحرارة فيها أو العوامل الطبيعية الأخرى فقد بدأت عندهم في وقت مبكر جدا" والتي لا سبيل في هذا الملخص إلى الدخول في تفاصيلها الدقيقة.

الشروع في إبراز الأواصر المشتركة ما بين الشعبين البابلي والأيزيدي ، غاية في السهولة ، مع ان النبش في تاريخ عمره عدة آلاف سنة وإظهار الهدف المراد من ذلك الموروث يتطلب وقتا" وجهدا" كبيرين ، لكن ما أود أن أجتذبه من مواد تاريخية ذات صلة تامة أو بمعنى آخر ذي أصل واحد ما بين الشعبين البابلي والأيزيدي تبدو واضحة للعيان ، بمجرد التمعن بالنظر إلى مظاهر و أركان ومرتكزات النظم والقواعد الفكرية والاجتماعية والدينية والإثنية للمكون الأيزيدي سنتمكن من تحرير مقاصد أيديولوجية ومادية وروحية مشتركة بين البابليين والأيزيديين ويعد ذلك قيمة عظيمة ومكانة زاخرة ومنفعة تفوق حدود الذات الأيزيدية، هذه المشتركات التي تدعو إلى السعادة الأبدية كفكرة وأداة تتجاوز عن الواقع الطبيعي بغزارة عطائها المفرط من صفات وسمات تجعل المرء أن يكون من دعاة هذه المسالك الخالدة والتي بثت مجالات ونظم جبارة رفعت الشأن البشري بقفزات غير مسبوقة في التاريخ ، الشعب الأيزيدي معروف بتماسكه العتيد مع هذه المشتركات التاريخية المتجذرة من مصدر واحد و أصبحت الآن مقومات الهوية الأيزيدية المعاصرة والمرتبطة ارتباطا" مباشرا" ببناء شخصية الإنسان الأيزيدي مع أن الأخير يخضع بالولاء المطلق إليها بشكل طوعي دون أرغام، العقائد البابلية الموروثة والمتعددة بمناحيها عند الشعب الأيزيدي ستجدها في كل جزء من الأجزاء المتكاملة للتاريخ والتراث الأيزيدي الحي، فمثلا"، عند الصباح الباكر وحين شروق الشمس تجد الإنسان الأيزيدي يميل بأياديه إلى قرص الشمس المدور داعيا" الله عز وجل بقضاء يومه وحياته دون مكروه وإذا استمعت إلى المضامين الدينية التي يرددها هذا المؤمن وشاهدت حركاته الإيمانية في أثناء الدعاء واتجاهه للشمس التي تعتبر قبلة الأيزيدي ستدرك يقينا" بأن الشعب الأيزيدي هو أحد ورثة الحضارة السومرية والبابلية ،



شكل (١)

رجل أيزيدي يؤدي دعاء الغروب في الديانة الأيزيدية

وان كنت مارا" بين الأوساط والأزقة الشعبية في مناطق سكنى الشعب الأيزيدي ستسمع من هنا وهناك أسماء سومرية وبابلية خالدة لازالت دارجة بين الأيزيدية



شكل (٢)

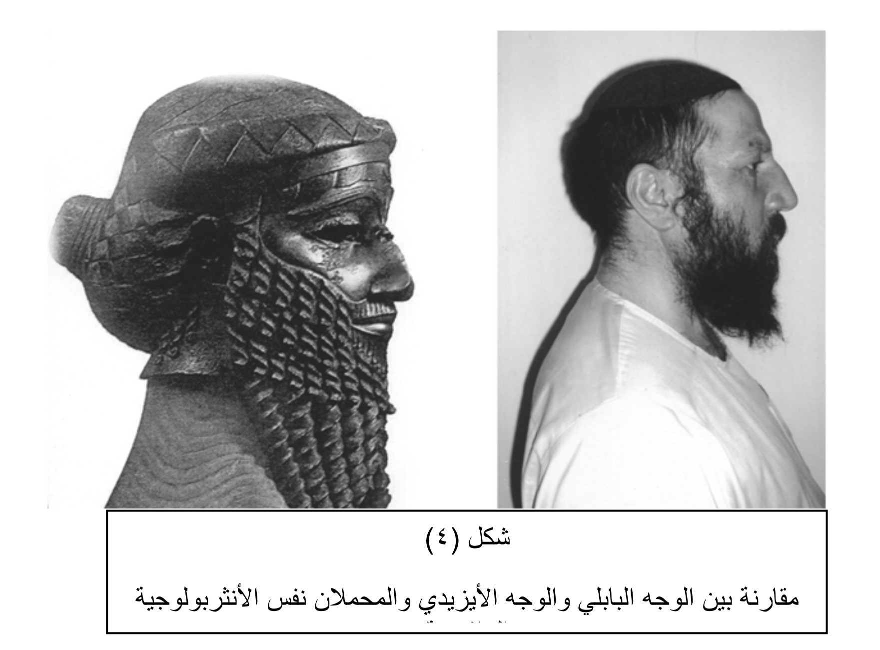
مجموعة من الرجال الأيزيديين وهم بالزي الأيزيدي القديم

وبنسبة تفوق الخيال، وان حللت ضيفا" على أي إنسان أيزيدي سترى الاحترام والتقدير الفائقين يسبقان الحديث البيني ناهيك عن تطلعات اللسان الشفوي الخاضع لمقاييس الأخلاق وهذه الصفات النبيلة هي من كرم الإنسان الرافديني القديم، وإذا نظرت إلى هذا المخلوق المعاصر وتعمقت بالنظر إليه سيرجعك الواقع الآني إلى الوراء آلاف السنين وستجد فيه تكوينات سومرية وبابلية متمثلة بلباسه العريق المستمد من الزي الرافديني القديم، وان كنت من محبي الحكايات والأمثال



شكل (٣)

جلسة شعبية أيزيدية



شكل (٤)

مقارنة بين الوجه البابلي والوجه الأيزيدي والمحملان نفس الأنثربولوجية

والأقوال السومرية والبابلية فلا تبذل جهدا" في البحث عن الكتب الرافدينية القديمة في المكتبات العامة والخاصة وإنما أتجه إلى سماع الحكايات والأمثال والأقوال الأيزيدية التي هي وريثة ذلك الموروث الرافديني الصرف، و لا تدع نفسك لزيارة المواقع الأثرية العائدة إلى الحضارة الرافدينية لمشاهدة التماثيل السومرية والبابلية بهدف التعرف على الأنثربولوجية بل أقصد التوجه لملاقاة الشعب الأيزيدي وستجد بأن عناصره البشرية تحمل الأنثربولوجية[٢] السومرية

[٢] (مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا) - اسير القوافي : لفظة أنثروبولوجيا Anthropology، هي كلمة إنكليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكوّن من مقطعين : أنثروبوسAnthropos ، ومعناه " الإنسان " و لوجوس Locos، ومعناه " علم ". وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ " علم الإنسان " أي العلم الذي يدرس الإنسان. (Nicholson, ١٩٦٨, P.١)ولذلك، تعرّف الأنثروبولوجيا، بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة.. ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل. أي أنّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، يحيا في مجتمع معيّن له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين. فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة،

البابلية نفسها، ولو أردت البحث عن الدم النقي فلن تجده إلا عند جسد الإنسان الأيزيدي الذي يحمل في عروقه أنقى دم بشري[٣] ، والأرض التي احتوت السومريين والبابليين هي نفسها التي تحتضن الشعب الأيزيدي، هذه الأركان التاريخية الموروثة الأنفة الذكر وأركان متعددة أخرى زاخرة ومباركة بمضامينها سيجدها المرء من خلال النظرة المحدقة إزاء الموروث الأيزيدي المعاصر، هذه الأدوار المشتركة والتي تعتبر من الأسس التاريخية المهمة بصفاتها الحضارية وضبطها الحسي والشعوري ينذر لها بأمل مجيد وحرص عالي من المسؤولية يؤول إلى أن الإنسان الأيزيدي سيضمن له البقاء ضمن الوجود الكوني كواقع للحيوية الفكرية والمادية والروحية، والقصد الأساسي من هذه الأواصر هو لاسترجاع أوضاع الحياة القديمة للشعب الأيزيدي بثوب حضاري تراثي أيزيدي معاصر يهدف إلى إشاعة نتاجات وعطاءات ستتسم بتطلعات بناءة ومتخذة" في الوقت نفسه سلوكا" مرنا" و مفرطا" لقيم الأخلاق و ولاء الخلق الإنساني المجرد من الحقد والكراهية، والارتقاء إلى هذه التحولات الطبيعية المنهجية الصائبة سيبرز مسارا" اجتماعيا" أيزيديا" عقائديا" مؤمنا" بموروثه الحضاري العريق وخاضعا" لأساسيات الوحدة والانسجام المجتمعي ضمن الوجود القائم بركائز داعمة لمسيرة الإنسان والبشرية قاطبة.

البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، هي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض).

[٣] (نقصد بالدم النقي الأيزيدي هو ذلك الدم الذي لم يختلط مع أي دم إنسان آخر غير الأيزيدي منذ آلاف السنين ، حيث أن الديانة الأيزيدية غير تبشيرية ومعتنقوها منغلقون على أنفسهم ولهذا فهم يحملون أنقى دم بين البشرية).

المبحث الأول

الديانة الأيزيدية ومشتركاتها مع الديانة البابلية وحضارة الرافدين القديمة

[٤]يرى ماكس موللر ان الدين قوة من قوى النفس وخاصية من خواصها وان البشر بتأثير هذه القوة وبأسماء ورموز مختلفة متعددة عرفوا فكرة التعبد من الغرائز البشرية التي فطر عليها الإنسان منذ نشأته الأولى، ويرى كثيرون ومنهم بنيامين كونستان أحد مؤرخي الأديان ان الدين من العوامل التي سيطرت على البشر وان التحسس الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الراسخة ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون أن تتبادر إلى أذهاننا فكرة الدين، وأعتبر علماء الاجتماع الدين من أهم القواعد التي قام عليها بنيان المجتمع البشري وانه قمة النماذج الخلقية المثالية التي تقبلها المجتمع لرسم العلاقات الاجتماعية على أسس إنسانية واقعية، ورأى علماء المدرسة الوظيفية أن الدين حاجة فطرية، أي حاجة الناس منذ أول نشأتهم إلى معبود يتقربون إليه، وقد أيد فكرة الغريزة الدينية كثير من علماء النفس ووجدوا أنه ضرورة للحاجة إلى مبدأ ديني وأخلاقي يضبط الإنسان إذا أريد له ألا تكون نفسه مسرحا" للصراع المحتدم والفوضى التعسة.

[٥]الدين هو مجموعة من العقائد والمشاعر التي حددت علاقة الإنسان بكائن أو كائنات عليا ، و المعتقدات الدينية صدرت من تأملات الإنسان البدائي وبدافع التفكير بالأحلام والموت، خلص الإنسان إلى انه له مثيل من روح قادرة على ترك الجسم ثم بسط هذه الفكرة على الطبيعة ووهب أرواحا" أو نفوسا" للحيوانات و للنباتات والحجارة ، إنما في الحق لا ينبع الدين من تأملات لغو، لا نفع فيها، بل

---

[٤] (أساطير الآلهة في بلاد الرافدين - ناجح المعموري - ص٧).

[٥] (الحضارات القديمة (الجزء الأول) اشراف : ف.دياكوف /س.كوفاليف - ترجمة نسيم واكيم اليازجي - ص٤٤).

من نشاط الإنسان المنتج، نتيجة تطور بسيط غير كاف في الخبرة والفكر البشري تتكون في الأغلب آراء خاطئة حول موقفه من الطبيعة.

[٦]إن المعلومات المتوفرة عن الدين تؤكد أن ظهور أولى المعتقدات الدينية في حياة الإنسان يرجع إلى فترة سحيقة في القدم وبعض الباحثين يرجعها إلى ما قبل حوالي (٩٠) ألف سنة من الآن ،[٧] وظهرت أصول الدين لدى البشر من النوع النياندرتالي منذ عشرات الآلاف من السنين ، ومع مرور الزمن تعقدت أشكال الدين وأخذت في الانتشار العديد من الظواهر التي تحتوي أيديولوجيات دينية مختلفة مرت بها البشرية عبر الحقب الزمنية المتعاقبة، ومنها :

- العبادة القائمة على السحر (إيمان الناس بإمكانية التأثير بطريقة خارقة للطبيعة على الناس والحيوانات وظواهر الطبيعة).
- الطوطمية (القائمة على الإيمان بالقرابة مافوق الطبيعية بين مجموعات من البشر وحيوان ما أو نبات ما أو ظاهرة طبيعية ما).
- الأرواحية (القائمة على الإيمان بالأرواح والاعتقاد بأن لكل مافي الكون وحتى الكون ذاته روحا" أو نفسا").
- الشامانية (الاعتقاد بوجود عالم محجوب هو عالم الآلهة وأصحاب الشر وأرواح السلف والاستفادة منها للأغراض الطبية والعلاجية والأهداف العملية الأخرى).
- الفتشية :عبادة الرقى (عبادة الجماد القائمة على الإيمان بالخصائص مافوق الطبيعية في الأشياء).

ومع تدهور وزوال نظام المجتمع البدائي وقيام الدولة الطبقية المبكرة أخذت تتسم بأهمية كبيرة عبادة الأسلاف - الحماة، وزعماء القبائل وعبادات المزروعات والمواشي ويظهر تسلسل الأرواح حسب مراتبها وتبرز الكهنوتية كفئة خاصة .

---

[٦] (حضارة العراق - الجزء الأول - د. فوزي رشيد - ص١٨٤).

[٧] (إثنوغرافيا شعوب العالم - للدكتور مجيد حميد عارف - ص١٢٠ ، ١٢١).

[8]الدين ظاهرة قديمة قدم وجود الإنسان نفسه، التصق بعقله وفكره وممارساته منذ أقدم العصور، وقدم خدمات جليلة للبشرية بتقويم سلوك الإنسان في وقت لم تتواجد بعد الدولة والشرطة والقوانين الضابطة، وتشير الدلائل الأثرية للقبور المكتشفة إلى ان أشكالا" من المعتقدات الدينية عاشت مع الإنسان منذ العصر الحجري القديم، وفي العصر الحجري الحديث عندما حلت الزراعة والتدجين محل جمع القوت والصيد أنصبت عناية الإنسان على تغيرات فصول السنة وأصبحت طقوس الزراعة والخصوبة محور الفكر الديني، من هنا يلاحظ وجود تماثيل أنثوية (الآلهة الأم) رمزا" للخصوبة.

[9]هناك حاجة إلى الدين لانه فطرة وغريزة في النفس ومهما حاول الإنسان التهرب منه فأنه يظل ملاحقا" به في أعماق نفسه، ألا ترى إلى الإنسان وقد عبد الشمس والقمر والأنهار وما يرمز إلى الخصب والعطاء وجعل لآلهته أصناما" حجرية يقدم لها القرابين البشرية والحيوانية بغية نيل رضاها أو تهدئة غضبها. إن تاريخ الديانات رغم اختلاف ألوانه وأشكاله وشوائبه يشهد ويؤيد تلك المقولة الفطرية والحاجة التي لا سبيل إلى إنكارها، ربما تعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية، فمنها الخوف من الموت، ومنها الدهشة مما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة أو الأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها، والشعور بالأمل في معونة الآلهة، والشكر على ما يصيب الإنسان من حظ سعيد، وكان لعله أهم ما تعلقت به دهشتهم ، وأستوقف أنظارهم هو ظاهرة الأحلام ، وربما فزع فزعا" شديدا" حين رأى في منامه أشخاصاً يعلم علم اليقين إنهم فارقوا الحياة ، مثل هذه الأحداث التي كانت تصادف الإنسان البدائي في حياته، أقنعته بأن كل كائن حي له نفس أو حياة دفينة في أعماقه ، يمكن انفصالها عن الجسد ابان النوم والموت، أنتقل الإنسان من خوفه وعبادته لأرواح غامضة المعالم مبهمة الحدود، إلى تمجيد القوى السماوية، والنباتية، والجنسية، ثم إلى خشوعه للحيوان وعبادته للأسلاف .

---

[8] (حضارة وادي الرافدين - د. عبد الوهاب حميد رشيد - ص٨٦).

[9] (موسوعة الأديان الشاملة - بسام مرتضى - ص٩،٧، ١٠) .

[10]عاش البشر، في الجزء الأكبر من تأريخهم، حياة ترحال بدوية تعتمد على الصيد وجمع الطعام، ولابد أن تكون أقدم الأفكار الدينية قد نشأت بين جماعات صغيرة من الرجال والنساء الذين كانوا يتنقلون في عالم كان سكانه لا يزالون قلة لم تهذبها بعد أية جهود حضارية، ولم يبدأ الناس ، إلا في العشرة آلاف سنة الماضية ، في تحويل بيئتهم وخلق ظروف للحياة تسمح بظهور أبنية اجتماعية معقدة، وما يرتبط بها من تصور المعتقدات وتنوعها، ولا تنبئنا شواهد علم الآثار إلا بالقليل عن التصورات الدينية للرجال والنساء في العصر الحجري القديم، غير ان ملاحظة الأنثروبولوجيا للشعوب البدائية التي لم تتجاوز بعد مرحلة الصيد وجمع الطعام تلقي بعض الضوء على نوع الأفكار والممارسات الدينية التي تتمشى مع أسلوب الحياة عند البدو الرحل من جامعي الطعام، لقد أصبح من الواضح انه لا توجد جماعة بشرية - مهما تكن بدائية - لا يوجد لديها أفكار عن موجودات أو كيانات تعلو على الطبيعة، ولذلك فنحن على حق إذا افترضنا ان الشعوب التي عاشت على الصيد وجمع الطعام في آسيا، في عصور ما قبل التاريخ أيضا"، كانت لديها قدرة عقلية مكنتها من تصور أفكار، يمكن وصفها بأنها أفكار دينية ، وتقول الغالبية العظمى من النصوص التي تروي دور الملك الرسمي في العبادة، أنه يمثل الآلهة على الأرض أو هو ينوب عنها ، فقد منحته الآلهة السلطة لكي يتصرف نيابة عنها، وهي تتوقع منه أن يعامل الناس بالعدل، وبلا محاباة بحيث يدافع عن الضعيف أمام القوي، وان يكون نصيرا" لليتامى والأرامل ، وقد كان يحافظ على الاعتبارات الأخلاقية لما تجلبه من رضا الآلهة وبركاتها كما أنها تمنع لعناتها ، ولقد تداولت الأجيال طرائق الحياة والحكم السليمة، وأيدتها بالنصوص التي تقدم التعليمات والنصائح، لقد كانوا يعتقدون ان سلامة الملك تقوم عليها سلامة الجماعة ، وما يقوم به الملك طوال حياته من أعمال تحكمها طقوس دينية واحتفالات تضمن طهارته وتحرس شخصه، وفي حالات معينة كحالة ترقب نذير مشؤوم يوضع على العرش ملك بديل يتلقى الفأل السيء أو حتى الموت إذا كانت النبوءة تقول به.

---

[10] (المعتقدات الدينية لدى الشعوب - جفري بارندر - ترجمة الأستاذ الدكتور إمام عبد الفتاح إمام - ص١٧،٤٩).

[11]فعند اليونان الأقدمين - مثلا" - كان الأسلاف آلهة، فأسبغوا عليهم لونا" من الربوبية الصريحة، وبهذا أصبح أعلام الملوك آلهة حتى قبل موتهم أحيانا"، و المصريون لم يعبدوا مصدر الحياة فحسب بل عبدوا مع هذا المصدر كل صورة من صور الحياة، فكانت بعض النباتات مقدسة لديهم، فالنخلة التي تظل الناس في قلب الصحراء وعين الماء التي تسقيهم في الواحة، والغيضة التي يلتقون عندها ويستريحون، والجميزة التي تترعرع ترعرعا" عجيبا" في الرمال، كانت هذه كلها عندهم أشياء مقدسة لأسباب لا يستطيع أحد أن ينكرها عليهم، وتعتبر الزهور عند اليابانيين بمثابة الدين فهم يقدسون ويحجون إلى شجرة الكريز، فإذا ما أزهرت تلك الشجرة في أوائل شهر نيسان حجوا إلى تلك الأماكن التي تزخر بتلك المعجزة ، فهم لا يزرعون شجرة الكريز لثمارها ، بل لأزهارها، وزهرتها رمز للمحارب المخلص، ولم تتطهر عقول اليهود من الوثنية وعبادة بعل وعشتروت، ونصب الأنصاب أو الركوع أمام الحية النحاسية أو العجل الذهبي إلا بظهور رجال صالحين - لعلهم أنبياء - دعوا إلى الوحدانية وتطهير اليهود من الشرك، كأليا، واليشع، وترك كل تلك العادات، وكانت الأسفار التي تليت على الشعب بأمر يوشيا وعزرا هي التي صيغت منها القوانين الموسوية التي قامت عليها الحياة اليهودية كلها ويدور ما بقي من شريعة موسى اليوم حول الوصايا العشرة التي لا تزال تردد حتى وقتنا الحاضر،[12] و الهندوسية موضوع واسع ومفهوم محير، ولكي نصف دينا" بلغ تاريخه ما يقارب من ثلاثة آلاف سنة (وربما أكثر من ذلك) وتعتنقه اليوم مئات الملايين، وهو فضلا" عن ذلك دين بلا عقيدة محددة[13] أو جماعة من الأتباع تختص به، أو هيئة مركزية ذات ترتيب هرمي .

---

[11] (موسوعة الأديان الشاملة - بسام مرتضى - ص ١٠ ، ١١- ١٣١- ١٤٥).

[12] (المعتقدات الدينية لدى الشعوب -جفري بارندر - ترجمة الأستاذ الدكتور إمام عبد الفتاح إمام - ص١٥٩).

[13] (الهندوسية بالفعل ليست عقيدة محددة لأنها أسلوب في الحياة أكثر منها مجموعة من العقائد ، ولهذا فليست لها صيغة محددة المعالم ، ومن هنا كانت تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الحجارة والأشجار ، وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة).

[14]والدين دعامة الأخلاق بوسيلتين أساسيتين، الرهبة والرغبة، فالرهبة تخلق العقيدة فيما وراء العقيدة ، ثم يكون من شأن هذه العقيدة أن تضمن بقاء أنواع من السلوك يراد انتهاجها، فما يرجوه الفرد من السماء من ثواب وما يخشاه لديها من عقاب ، يضطره اضطرارا" إلى أن يذعن للقيود التي تفرض عليه ، فالإنسان ليس بطبعه مطيعا" رقيقا"، وأن صادف ذلك في بعضهم، وليس شيء كالخوف من الآلهة أو الله أخضع الإنسان لهذه الفضائل التي لا تتفق وطبيعته خضوعا" مطردا" عاما"،[15] و للدين أهمية قصوى في حياة الشعوب القديمة، بل انه من أهم العوامل المؤثرة في سير حياتها وأسلوب تطور حضارتها، فالمعتقدات والأفكار الدينية تحدد الإطار العام لسلوك الإنسان وحياته، عاداته وتقاليده وأعرافه وقوانينه، وتكون الخلفية المؤثرة في حياته الاجتماعية بل وحتى السياسية ، وقلما نجد أي عمل قام به الإنسان القديم أو أي أثر تركه إلا وكان للدين فيه تأثير كبير.

[16]إن الدين لم يكن يوما" ركنا" أو مفردة أو محورا" تدور حوله حضارة العراق القديمة وإنما كان الظلة التي تنضوي تحتها كل دوافعها وفعالياتها ونتاجها، فتلك الحضارة لم تستغن عنه في أي مرحلة وفي الوقت نفسه لم تحد عقائده ولا شعائره من تطورها واحتدام فعلها وبهذا تميزت حضارة وادي الرافدين عن سواها من الحضارات الإنسانية القديمة بالعديد من السمات والميزات النبيلة والحضارية الراقية.

[17]إن سكان بلاد وادي الرافدين لم يتساءلوا على الإطلاق عن نوعية القوة التي قامت بخلق الآلهة الرئيسة بل اعتبروا وجودها من الأمور الأزلية التي لا تحتاج إلى نقاش وأن هذه الآلهة هي التي قامت بخلق الكون والإنسان، من خلال الآثار التي خلفتها لنا هذه الحضارات الزراعية الدينية تأكد لنا بأن سكانها قد عبدوا الخصوبة وكل شيء يساعد على وفرة الإنتاج في الحياة وقد رمزوا لهذه العبادة بالدمى المصورة للآلهة الأم، وبعد تغلغل مفاهيم تلك الرموز في معتقدات وادي

[14] (موسوعة الأديان الشاملة - بسام مرتضى - ص١٣).

[15] (العراق في التاريخ - د. عامر سليمان - ص٢٠٨).

[16] (شريعة حمورابي - الجزء الأول - د. نائل حنون - ص١١).

[17] (حضارة العراق - الجزء الأول - د. فوزي رشيد - ص١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨، ١٤٩).

الرافدين ومرور فترات زمنية على مراسيمها وعاداتها، بمجرد حصول التذبذب في كمية الأمطار دفع إنسان تلك المناطق إلى أن يتجه بأنظاره إلى العوامل الجوية المؤثرة على المطر والزرع والحصاد أكثر من اهتمامه بالخصوبة وكل ما يولد الوفرة في الإنتاج، وساعدت هذه التقلبات المعتقداتية التي عكستها تلك الظروف على ظهور فكرة دينية جديدة تعتمد في طقوسها على قدسية العوامل الطبيعية والنظر إلى الماء على أنه أساس الحياة، وأدى إلى ظهور أفكار دينية جديدة اعتمدت في أساسها على تقديس العوامل الجوية المؤثرة على المطر وعلى الزرع والحصاد وأن هذه الأفكار التي انتقلت إلى القسم الجنوبي من العراق هي من نوعية الآلهة الرئيسة التي عبدها السومريون والتي كانت تتمثل بالآلهة : الإله انو(إله السماء) والإله انليل (إله الهواء) والإله انكي (إله الأرض) والإله اوتو (= شمش) إله الشمس وتلك الآلهة هي التي تمثل أغلب الملاحم والأساطير السومرية والبابلية.

[١٨]لما كان لكل شيء روح أو إله خفي، إذن فالمعبودات الدينية لا تقع تحت الحصر، وهي تقع في ستة أقسام : ما هو سماوي، وما هو أرضي، وما هو جنسي، وما هو حيواني، وما هو بشري، وما هو إلهي، ولقد كان القمر إلها" محببا للنساء، عبدنه لأنه حاميهن بين الآلهة، وكذلك أتخذ القمر الشاحب مقياسا" للزمن، فهو في ظنهم يهيمن على الجو، وينزل من السماء المطر والثلج، ولسنا ندري متى حلت الشمس محل القمر سيدة على دولة السماء، عند الديانة البدائية، وربما حدث ذلك حين حلت الزراعة محل الصيد، فكان سير الشمس محددا" لفصول البذر وفصول الحصاد، وأدرك الإنسان ان حرارة الشمس هي العلة الرئيسة فيما تدره عليه الأرض من خيرات ، عندئذ انقلبت الأرض في أعين البدائيين آلهة تخصبها الأشعة الحارة، وعبد الناس الشمس العظيمة لانها بمثابة الوالد الذي نفخ الحياة في كل شيء حي ، وكل نجم شأنه شأن القمر والشمس، يحتوي إلها" وهو بذاته إله، ويتحرك بأمر روح كامن في جوفه، ولإنزال في أيامنا هذه نضرع إلى السماء أن تقينا الشرور، ومعظم الأساطير الأولى تدور حول محور واحد، هو الخصب الذي نتج عن تزاوج الأرض والسماء، لان

[١٨] (قصة الحضارة - وول ديورانت- المجلد الأول (١ - ٢) نشأة الحضارة الشرق الأدنى - ترجمة د. زكي نجيب محمود - ص ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤).

الأرض هي الأخرى كانت إلها"، وكل مظهر رئيس من مظاهرها كان يقوم على أمره إله.

[١٩]تشكل الطقوس الدينية ممارسات عقائدية للإيفاء بالمستلزمات الدينية وشملت في ديانة حضارة وادي الرافدين : التطهير والصلاة والتراتيل، النذور والقرابين، الاحتفالات الدينية والترانيم، الأدعية والتعاويذ ، التكهن بالغيب والتنبؤ (الفأل) بالمستقبل ، معرفة الطلع وتفسير الأحلام ، التنجيم والسحر، وتعتبر الصلاة أولى طقوس العبادة في الديانة السومرية القديمة وحلقة وصل قوية بين الأرض والسماء أو بين الإنسان والإله وارتبطت بممارسات محددة يتقدمها التطهير التام والوضوء بغسل اليدين والركوع والسجود ورفع اليدين إلى الآلهة والتمتمة ببعض الابتهالات والأدعية، بما فيها الشكاوى والتوسلات وعبارات الشكر والطاعة والعفو والمغفرة ، وبذلك شكلت الصلاة طريقة لاتصال الفرد بالإله بقصد تحاشي غضبه وعقابه وكسب رضاه واستعطاف بركاته ، وعبرت عن الورع والخوف والخشوع ومحاولة تحقيق السلام الروحي للفرد وضمان مسيرة حياة المتعبد وتحقيق أمنياته وتطلعاته من حيث الرخاء والصحة والأولاد وطول العمر، أي عند معصية الخالق، يعتبر الشخص مسؤولا" عن مصيبته ومرضه وخيبته في غياب الحماية الإلهية .

كانت دراسة المعتقدات الدينية العراقية القديمة ذات أهمية كبيرة في فهم حياة العراقيين القدماء، حيث اتصفت الديانة العراقية القديمة بعدد من الصفات والسمات العامة ولعل أهم ما يميزها هو ما يعرف بمبدأ الحيوية، أي الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح كامنة في المظاهر الطبيعية المختلفة وتجسيدها على هيئة آلهة ، وطبيعي فقد تجسدت تلك المظاهر ذات التأثير الأكبر في حياة الإنسان، فكانت السماء إلها" والأرض إلها"، والشمس إلها" والقمر إلها" والنجوم آلهة والبرق والرعد آلهة وهكذا، وحيث أن هناك الكثير من المظاهر الطبيعية التي تؤثر في حياة الإنسان لذلك زاد عدد الآلهة بزيادة عدد تلك المظاهر، ومن الصفات الأخرى التي ميزت الديانة العراقية القديمة صفة الاستمرارية، أي ان الطقوس والمعتقدات والآلهة ظلت محافظة على جوهرها خلال العصور التاريخية المختلفة وهذا يعكس طبيعة الحضارة العراقية القديمة في الاستمرار

[١٩] (حضارة وادي الرافدين (ميزوبوتاميا) د. عبد الوهاب رشيد حميد - ص٩٢ ، ٩٣).

والتواصل وبأنها حضارة جميع الأقوام التي عاشت في العراق في فتراته التاريخية المختلفة، بل مما يلاحظ أيضا أنه حتى في فترات الغزو الأجنبي للعراق فأن الغزاة كانوا يقتبسون الحضارة العراقية القديمة بما فيها من معتقدات وأفكار ونظم ويعيشون ضمن إطارها العام مع بعض الإضافات البسيطة ، وقد أمدتنا النصوص المسمارية بأسماء العديد من الآلهة حتى ليصعب تحديد عدد الآلهة التي عبدت في الفترات المختلفة سيما وأنه دخلت مجمع الآلهة آلهة جديدة في فترات دخول أقوام جديدة إلى العراق، ويقف على رأس مجمع الآلهة (الإله انو - إله السماء) وأبو الآلهة، ويليه في الأهمية (الإله انليل - إله الجو)، ثم (الإله انكي (ايا) - إله الأرض)، ثم تلي هذه المجموعة من الآلهة العظام مجموعة ثانية تتألف من(الإله سين - إله القمر)، و(الإله شمش - إله الشمس) ، و(الآلهة عشتار)، ومن الآلهة المهمة الأخرى (الإله أدد - إله البرق والرعد)، والإله نركال وزوجته الآلهة ايريشكيكال ملك وملكة العالم السفلي، والإله مردوخ إله مدينة بابل والإله آشور والإله نابو، وغيرها.

[٢٠] إن القائمة الطويلة البابلية التي تضم أسماء الآلهة، التي عثر عليها في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال تحوي تسلسل أكثر من ٢٥٠٠ أسم للآلهة، وفي البحوث التي قام بها الأب دايمل p.Deimel عام ١٩١٤ حول مجمع الآلهة توصل إلى تشخيص ٣٣٠٠ اسم وسجل تولكفست K.Tallqvist عام ١٩٣٨م ٢٤٠٠ إلها" وذلك في كتابه tterepitheta Akkadische Go ولايزال في البحث متسع ومن المحتمل أن تزودنا الرقم الطينية المكتشفة حديثا" باسماء أخرى للآلهة غير المعروفة بعد، ولا يجب أن نخرج من هذا باستنتاج ان سكان وادي الرافدين القدماء عبدوا مرة واحدة كل هذه الآلهة، فعدد كبير من أسماء الآلهة هي نعوت وصفية تطلق على شخصية واحدة بقصد التمجيد، ومثل هذا في الخمسين اسما" للإله مردوخ وفي الصلوات المكونة للرقيم الطيني الأخير لأسطورة الخليقة ، وأكثر من ذلك فان البابليين ترجموا غالبا"، أو ضاعفوا بتسمية أكدية، الأسماء السومرية للآلهة التي اقتبسوها، وهذا ما نجده في اسم الإله شمش (بالأكدية) والإله اوتو (بالسومرية) وهما اسمان لشخص واحد.

---

[٢٠] (الديانة عند البابليين - جان بوتيرو - ترجمة د. وليد الجادر- ص ٤٩).

إن نشوء الطبقات في المجتمع تجسد في ان الأديان أخذت تبرز الآلهة العليا والدنيا ومن رأسها رئيس واحد أو قد أسفرت هذه العملية في بعض الأحيان (ما توصف بالأديان التي تعترف بإله واحد خلق العالم) عن ظهور الوحدانية أي عقيدة الإله الواحد ، وعلى هذا المنوال لقد كان الدين عند البابليين يعنى بالمراسيم الدينية أكثر مما يعنى بغيرها، فإذا شاء الإنسان أن يؤدي ما يجب عليه نحو الآلهة كان عليه أن يقرب القربان اللائق للهياكل، ويتلو الصلوات والأدعية المناسبة، أنظر مثلا"[٢١] إلى خطاب نبوخذنصر الموحد (فكرة التوحيد بالإله الواحد عند البابليين) ملك بابل لربه :

إذا لم تكن أنت يا ربي فماذا يكون

للملك الذي تحبه وتنادي باسمه ؟

وستبارك أسمه حسب مشيئتك...

وتهديه صراطا" مستقيما".

أنا الأمير الطائع لك....

باق كما وضعتني يداك.

أنك أنت خالقي...

وأنت الذي حكمتني في جيوش العباد.

وبمقتضى رحمتك، يا مولاي...

بدل قوتك الرهيبة حبا" ورحمة...

وأبعث في قلبي الاحترام لربوبيتك...

وهبني ما ترى فيه الخير لي....

---

[٢١] (موسوعة الأديان الشاملة - بسام مرتضى - ص٢٥).

وهذا يعطينا مؤشرا" بان العديد من الأديان القديمة نهجت أفكارا" مختلفة ولكن لم تصل إلى فكرة العقيدة الدينية الرافدينية بفحواها الروحي والمادي والمدني (الحضاري)، وعليه فان الأركان والركائز الأساسية للديانة الأيزيدية تستمد من المعتقدات الدينية لبلاد ما بين النهرين وخصوصا" الديانة البابلية، و الدين البابلي كما وصلنا في نصوص الألف الثالثة قبل الميلاد هو توليفة من العوامل السومرية و عبادات أخرى.

الحقيقة الدينية الأيزيدية تفرض أحكامها الطبيعية بغية شمول الواقع الأيزيدي في وحدتها العقيدية المطروحة ، وبما ان الدين الأيزيدي يعد بمصادر أساسية لمبادئ الأخلاق والآداب والتدين بالنسبة للإنسان والمجتمع الأيزيدي برمته فمن البديهي أن يشكل ركن الدين عنده العصب الرئيس والعامل الحافز لجميع مناحيه الروحية والفكرية والعقائدية والاجتماعية وغيرها من المجالات ، وبمجرد الخوض في بزوغ المشتركات والخصائص ما بين السلف والخلف الرافدينيين سيزول الإبهام والتناقض والهالات التي ترجمتها الوقائع الزائفة على الذات الأيزيدية والمقصودة لتشويش الركائز التي تعتبر حلقة الوصل ما بين ماضي وحاضر الشعب الأيزيدي، تمت الإشارة في هذا المبحث إلى بعض اتجاهات تاريخ الدين في بلاد ما بين النهرين بشكل مختصر ولم تكن معمقة وموغلة في صميم التوسع السردي إزاء كل عقيدة أو فكرة أو تقليد خاضه الفرد الرافديني في وقته وذهبنا إلى اقتلاع المقاطع بشكل وجيز وتبنيت هذا المنهج لتحاشي الإطالة في هذا المبحث من جانب، ومن الجانب الآخر فان هدف الكتاب هو أبعد من الخوض في مثل هذه التفاصيل التي هي معروفة وظاهرة للجميع، و الهدف المراد الذي أردت أن أؤكد عليه هو تثبيت مدى العلاقة التاريخية المصاحبة بالأدلة والشواهد الدامغة بين الأيزيدية والحضارة الرافدينية القديمة، هذه الخاصية التاريخية هي التي ستعمل على أنسجام وحدة أهداف مقومات القومية الأيزيدية والتي سيتم بحثها في المباحث القادمة .



شكل (٥)

بوابة عشتار البابلية

بداية ان كلمة بابل[٢٢] تعني - بوابة الإله - وهذا مؤشر إيجابي يشبع رغبتنا في

[٢٢] (مدن العراق القديم - بابل - ترجمها عن الموسوعة البريطانية مشتاق طالب محمد) : كلمة بابل هي باللغة البابلية باب - إيلو، وبالبابلية القديمة باب - إيليم ، وهي واحدة من أشهر المدن في العالم القديم. وهي عاصمة جنوب بلاد النهرين (الدولة البابلية) منذ أوائل الألفية الثانية حتى أوائل الألفية الأولى ق. م، وعاصمة الإمبراطورية البابلية الجديدة (الكلدية) في القرنين السابع والسادس ق. م، حيث كانت في ذروة عظمتها. وتقع خرائبها الواسعة على نهر الفرات جنوب بغداد بحوالي ٥٥ ميلاً (٨٨ كم)، قرب مدينة الحلة الحالية، في العراق. بالرغم من وجود آثار للاستيطان منذ عصور ما قبل التاريخ، غير أن تطور بابل كمدينة رئيسية كان متأخراً بالنسبة لبلاد النهرين، فليس لها ذكر قبل القرن ٢٣ ق. م. وقد كانت بابل في أيام السلالة الثالثة في أور مركز مقاطعة، وبعد سقوط تلك السلالة أصبحت بابل نواة لمملكة قديمة أسسها في عام ١٨٩٤ ق. م الملك الأموري سوموبوم، حيث قوّى خلفاؤه وضعها. وسادس ملوك هذه السلالة الأمورية وأشهرهم هو حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م)، الذي فتح دول المدن المجاورة وجعل بابل عاصمة مملكة تضم كل جنوب بلاد النهرين وجزءا" من بلاد آشور (شمال العراق). وبسبب أهميتها السياسية، بالإضافة إلى موقعها الجغرافي الممتاز، أصبحت بابل المركز التجاري والإداري للدولة البابلية، بينما جعلتها ثروتها ومكانتها هدفاً للفاتحين الأجانب. بعد الغزو الحثي في ١٥٩٥ ق. م انتقلت المدينة إلى سيطرة الكاشيين (حوالي ١٥٧٠)، الذين أسسوا سلالة حاكمة دامت لأكثر من أربعة قرون. وفيما بعد في هذه الحقبة، أصبحت بابل مركزاً أدبياً ودينياً، وانعكست مكانتها الجديدة بصعود مكانة مردوك، إلاهها الرئيسي، ليصبح سيد الآلهة في بلاد النهرين. وفي ١٢٣٤ أستولى توكولتي - نينورتا الأول، ملك آشور، على بابل ولكن السلالة الكاشية استعادت السيطرة على المدينة حتى ١١٥٨، عندما خرّب العيلاميون المدينة. وتتجلى سيادة بابل السياسية بحقيقة أن سلالة نبوخذنصر الأول (١١٢٤ - ١١٠٣) اتخذوها عاصمة لهم، بالرغم من أن أصولهم ليست من المدينة. واستمرت هذه السلالة لأكثر من قرن. و قبل سنة ١٠٠٠ بقليل تزايد ضغط المهاجرين الآراميين القادمين من شمال سوريا، ما أدى إلى حدوث انفصالات إدارية داخل بابل. بدأ التدخل الآشوري القوي في بابل في أيام تجلات - بيلاصر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ ق. م) نتيجة ضغط رجال القبائل الكلدية على المدينة واستيلائهم على الملك عدة مرات. ونتيجة للفوضى المترافقة مع تزايد الاستيطان القبلي أقتنع سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) أخيراً بأن السيطرة السلمية على بابل مستحيلة، فأمر بتدمير المدينة في سنة ٦٨٩. وألغى اسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) سياسة سنحاريب، فطرد رجال القبائل وأعاد أملاك البابليين إليهم، وبدأ بأعمار المدينة. وفي أواسط القرن السابع، اندلعت الحرب الأهلية بين الملك الآشوري آشوربانيبال وأخيه الذي حكم في بابل كملك تابع. وفرض آشوربانيبال الحصار على المدينة حتى سقطت بين يديه سنة ٦٤٨ بعد مجاعة دفعت المدافعين إلى أكل لحوم البشر. و في سنة ٦٢٦، وبعد موت آشوربانيبال أتخذ زعيم كلدي هو نابوبلاصر بابل عاصمة لمملكتة، وأصبحت في أيام أبنه نبوخذنصر الثاني قوة إمبراطورية رئيسية. ونفذ نبوخذنصر برنامجاً واسعاً لإعادة أعمار بابل وتحصينها. وجاء

البحث عن المعتقد البابلي الذي تحرر من قيود العبودية المتشرذمة وأشاع ميول ورغبات وماديات ذات بوادر واقعية تصاحب أيديولوجيات لها مغزى بالاعتدال والتسامح والتبرؤ إلى الإله المعني كبداية لإصلاح المجتمع وانقلابه على العقيدة المتذبذبة، و ما تم تقديمه في هذا المبحث من معطيات فكرية وعقائدية تتعلق بالإمبراطورية البابلية وديانتها العريقة (الديانة البابلية) واعتبارها المصدر الرئيس والوحيد لانبثاق الديانة الأيزيدية يعد بالتجاوز على الامتحان التجريبي الهش الذي مضى على التأرجح لفترات زمنية متعاقبة من قبل البعض الذين حاولوا فك ارتباط الشعب الأيزيدي عن ذلك الموروث العريق وكل إمكاناتهم التحريفية باءت بالفشل ، هذا الانتصار دفع بالإنسان الأيزيدي إلى تحديد الدعائم والركائز لبناء المنطلق الراسخ وفرض الامتداد الكلي إلى حضارة آبائه وأجداده السومريين البابليين وفي كل وجود قائم.

إن المراحل الانتقالية التي رافقت الإنسان الأيزيدي عبر أوضاعه الزمنية والمكانية ومنذ القدم تجلت حقائق عقائدية ومادية متعددة تنحصر في كينونة العقيدة الدينية الأيزيدية الراهنة والتي بمقتضاها أصبحت عنوان الهوية الأيزيدية المعاصرة في الوقت الذي تعد كذلك بالمصدر الأساسي لبناء أي مشروع أيزيدي آني أو مستقبلي ، تلك المراحل الصائبة والتي أقصد بها تلك الأدوار التاريخية الأيزيدية التي تكللت بمنجزات عظيمة كالانتصارات الأيزيدية ابان المعارك وصمود الإنسان الأيزيدي أمام الواقع المرير وحفاظه على أركانه ونظمه وتعاليمه وعقائده وأرضه وانتمائه الرافديني بالرغم من الظروف المجحفة فضلا" عن تأقلم الفرد الأيزيدي بالتطور الحضاري وغيرها من المنجزات التي تتجدد فينا بروحها وماديتها في ظل الأجواء الآنية، دفعت بنا هذه المكتسبات إلى أن نأخذ خطى تلك المسارات التاريخية الحافزة لتطلعات ووقائع داعمة لمشروعاتنا

بعد نبوخذنصر خليفته المهم نبونيد ، تاركاً أبنه بيلشصَّر نائباً عنه في بابل. وفشل نبونيد في حماية حقوق الملكية أو التقاليد الدينية في العاصمة وبدأ عمليات بناء في مكان آخر لإنشاء معبد منافس للإيزاجيلا معبد مردوك العظيم. وعندما هجم الفرس بقيادة قورش في سنة ٥٣٩ ق. م، سقطت المدينة دون مقاومة تقريباً ؛ ثم حدثت ثورة ضد أحشورش الأول (٤٨٢) فدمر تحصيناتها ومعابدها وصهر تمثال مردوك الذهبي. و في سنة ٣٣١ استسلمت المدينة للإسكندر الأكبر، الذي حافظ على أمتيازاتها وأعاد إعمار معابدها. وفي سنة ٣٢٣ توفي الإسكندر في قصر نبوخذنصر ؛ وكان يخطط ليجعل من بابل عاصمة لإمبراطوريته).

التي تستمد التاريخ البابلي ونظمه الخالدة ، وهذا الانتماء المنشود إلى الشعب البابلي يعتبر بالواقع الأيزيدي المتعارف عليه تاريخا" وروحا" وشعورا" وتراثا" وحتى عضويا" وكل هذه العوامل المساعدة دفعتنا إلى أن نعلن عن مبدأنا الأصيل الذي يدعو بإيمانه الراسخ إلى الموروث الرافديني القديم ، وفي هذا الاتجاه ينبغي الانتباه إلى خطورة العوامل الدخيلة التي نخرت في كينونة الموروث الأيزيدي بفعل الظروف السيئة التي أحاطت بمجتمعنا الأيزيدي في كل العهود التاريخية التي مر بها و بدوره قد دعا ومازال يدعو إلى مقاومة الضوابط التقليدية الزائفة و المأخوذة بفعل تلك الظواهر السلبية، كما أنه يحذو حذو الواقع الرادع المتحرك الهادف إلى القيام بعمليات تحرير الإرث من تلك المضامين الفاسدة التي ظهرت في أجواء قسرية مؤلمة وبالفعل حينما تتم هكذا عمليات احترازية ورادعة ستسهم إلى أتساع التوغل الفكري والعقائدي صوب المشروع القومي الأيزيدي ومن جانب آخر لإثبات الواقع الأيزيدي المستمد من الجذور و المقاصد البابلية المحضة في كل تطلعاتنا وأهدافنا الرامية لخدمة الذات الايزيدية صوب مناحيها ومجالاتها الحياتية المتعددة.

إن الإشادة بترابط المراحل التاريخية الانتقالية وفق الأدوار الأيزيدية تلعب دورا" أساسيا" في تنقية الحقائق من الافتراضات الوهمية وهذا الدور الإيجابي سيظهر إذا تم الاعتماد على البوادر والوقائع التاريخية الرصينة والمليئة بالوثائق والأدلة الدامغة ، الحقيقة ذات القيمة المطلقة هي المنطلق الرئيسي الذي يتوجب على الشعب الأيزيدي الاتكال عليه بهدف اجتذاب الحقائق والأدلة التي تتجاوز حدود الاختبار والتجربة ، تلك الحقائق ستتجه إلى قوة جذب للعناصر المجتمعية وبالتالي ستفرز على أثرها تحديات وضعية تكتسب بالقدرة الذاتية لمواجهة الصعاب كما انها ستولّد وقائع صلبة غير قابلة للتآكل والتصدع بتأثير إفرازات الواقع المتذبذب ، الإنسان الأيزيدي أراد أن يقود المضمون العقائدي الديني بنقاش عقلاني وبسرد واقعي منذ أيام معبد أيزيدا وإلى يومنا الراهن وجسد شخصية قوية أمام الإرادات الفردية والمصالح الذاتية الضيقة في الوقت الذي كان يجاهد بالبحث عن لقاء توفيقي يؤسس لنفسه مضمونا" لكيان عقلاني ومليء بالبراهين والقيم الخلابة الموعزة إلى توسيع نمو الإنسان والمجتمع من نطاقه المتذبذب بفعل تراكمات الماضي الأليم على أسس موضوعية تتسم بحقائق حسية ملموسة تميل إلى ضبط مظاهر الواقع الأيزيدي إزاء القضايا الاجتماعية والدينية والسلوك الإنساني والحضاري.

إن الإيغال في مستنقع الواقع والصواب موقف لابد من بروزه إلى السطح، الأيزيديون بحاجة ماسة إلى بيان موقفهم التاريخي والحضاري وخصوصا" في ظل الظروف الراهنة التي تفرز بينيات بعدية بين السلف البابلي والخلف الأيزيدي وهذا التباعد أنتجته الأقلام المزيفة، آمال وتطلعات الشعب الأيزيدي تكمن في الهوية الرافدينية وهذا الانجذاب لهذه الهوية العريقة لم يأت بدافع مزاجي أو استغلالي بل أتى بدافع غريزي وشعوري وعن وعي إرادي متكامل، لهذه الهوية سلوك خاص ونادر يبلور الإيجابيات من السلبيات في ظل الأوضاع المترددة والانقلابية ومازالت تسير بمقتضاها كما وهي (الهوية الأيزيدية) بدورها ستحقق تلطيف المناخ الحركي الأيزيدي بهدف توليد شعور وأساسيات تتسم بالثقة والاطمئنان في مواجهة الأطوار والأيديولوجيات العابثة التي تعترض الكيان الأيزيدي من التقدم إلى الأمام ، يوحي الواقع العقائدي الأيزيدي بالتعبير عن قدرته الانقلابية إزاء العوامل الدخيلة والترسبات المتراكمة إلى جانب القيام بإبراز الجوهر الفعلي المتمثل بالإرث العقائدي البابلي الصرف، الجوهر الذي يؤول بان الديانة الأيزيدية امتداد تاريخي وحضاري وإنساني للديانة البابلية المتمثلة خصوصا" بعقيدة الإله نابو.

من أهم المشتركات :

- عيد آكيتو الذي يعد عيد رأس السنة البابلية هو أيضا عيد رأس السنة الأيزيدية والذي يصادف في شهر نيسان من كل عام ويعد من أهم الأعياد الدينية والقومية للشعب الأيزيدي، هذا العيد عمره آلاف السنين وقد توارثه الأيزيديون من أسلافهم السومريين والبابليين، والشعب الأيزيدي بدوره يقوم بأحياء عيد آكيتو (رأس السنة الأيزيدية) في أول أربعاء من شهر نيسان من التقويم الأيزيدي (يشبه التقويم الشرقي الذي يتأخر عن التقويم الميلادي بثلاثة عشرة يوماً، والتقويم السومري البابلي (آكيتو) هو الذي يمثل تقويم الشعب الأيزيدي والذي يمتد إلى - ٦٧٥٩ أيزيدي - من الآن) من كل عام وسط تأدية العديد من التقاليد والعادات العريقة[٢٣] فضلا" عن الاعتقاد الجوهري الذي يتمخض عنه

[٢٣] (أعياد رأس السنة الأيزيدية - جريدة الصباح العراقية : رأس السنة الأيزيدية من الأعياد القديمة لبلاد الرافدين وهو عيد الخليقة الذي هو بحق عيد الطبيعة والإنسان معا" , وعيد المبتهجين بنور الشمس والأزهار المتفتحة والأشجار الباسقة والحياة الجديدة وتجدد دورة الحياة

في حركة أزلية ثنائية. تعيد تكرار ذاتها في جمال وعطاء وازدهار.هذا اليوم يرمز إلى تجدد الحياة والطبيعة مع انبلاج الربيع وتفتح الزهور , فقصة الخلق والتكوين والخلود والانبعاث في بلاد ما بين النهرين التي تركت آثارها على التفكير الفلسفي والديني في الشرق القديم نظراً لما انطوت عليه من أفكار وعقائد فلسفية ودينية ، أبرزها: فكرة الخلق والتكوين والخلود ، والموت والتجسد والانبعاث، مع تجدد دورة الحياة والخصب في الطبيعة.في هذا اليوم تبدأ قصة الخلق الأيزيدية. بعد أن كان الكون عبارة عن درة تقسمت إلى مجموعة أقسام لتتشكل المجموعة الشمسية , بعد صدمة كبيرة من الخالق لتلك الكتلة. فالأرض هي كتلة سائلة ولابد للرب أن يتدخل لكي تتجمد الأرض وتبدأ الحياة. فيقوم الرب بنقل الخميرة أو السر الرباني من السماء العليا إلى الأرض ويختار منطقة لالش ليضع فيها السر الرباني , لتتجمد الأرض وتنبت الأعشاب وتتزين بالورود ويخلق الإنسان الغاية النهائية لعملية الخلق , كإشارة لبدء الحياة والانتقال لعصر جديد هو عصر الإنسان والعمل.يأتي العيد في بداية شهر نيسان، حيث يعتقد أن السنة كانت عبارة عن ٥٢ أسبوعا", أي ٣٦٤ يوما" ما يعني أنها تبدأ سنويا في نفس اليوم , لذا كان اليوم الأول من السنة عادة الأربعاء العيد الذي يصادف يوم الأربعاء , هو اليوم المقدس لدى الأيزيديين تتوقف فيه جميع الأعمال، وهو يوم للراحة والتأمل والعبادة, حيث كان يوم العطلة في العراق القديم, يبدأ من يوم الثلاثاء مساء حيث توقد الأنوار ويفرش وادي لالش بالشموع , حيث يتحول إلى شعلة من النور لاستقبال العام الجديد معلنا ولادة الربيع وتجدد الحياة ونفح الحركة في السهوب التي غرقت في نوم طويل تحت غطاء كثيف من الثلوج والأعاصير والبرد القارس.لتعلن تقهقر الزمهرير والأعاصير ونهاية الشتاء القاسية, فتنحر القرابين وتنتشر الصبايا في البراري لتجمع شقائق النعمان الحمراء لتضعها على عتبتي الدار العليا وفوق الباب مضافا" إليها قشور البيض الملونة , التي تم تلوينها بألوان الربيع الزاهية تعبيرا" عن الخصب والحياة.وبعدها يبدأ النيسان المقدس عراقيا", وأيزيديا ويتوقف فيه زواج الأيزيديين خلال هذا الشهر كما كان يفعل الأسلاف. وتبدأ الاحتفالات النيسانية حيث أعياد المدن والقرى والمعابد تمتد لأكثر من عشرين يوما".ومن أبرزها عيد جز الصوف في منطقة بحزاني , حيث يحضر الرعاة للتطواف مع قطعان الأغنام ثلاث مرات حول المعبد (الخفير) , بمرافقة فرق عزف التراتيل الدينية من قبل القوالين (الكالو قديما) , بعدها يجري قص صوفها.يعد هذا العيد من أقدس الأعياد لدى المجتمع الأيزيدي، قبله بأيام قليلة تقوم العوائل بالتحضير له من شراء الملابس وجمع البيض أو شرائه مع صبغ البيوت وترتيبها وقبل يوم واحد من العيد يقوم الأطفال والشباب بجولات حول قراهم وبين التلال القريبة من القرية لجمع شقائق النعمان (أزهار نيسان)، كما تقوم ربات البيوت بعمل الخبز الخاص بالأعياد الأيزيدية (الصوك) وتوزيعه على الجيران كما تقوم العوائل بتلوين البيض المسلوق بألوان الربيع الزاهية حتى يكون جاهزا" صباح يوم العيد ومع الصباح الباكر ومع بزوغ خيوط الشمس يقمن بعمل العجينة ولصق أزهار نيسان (شقائق النعمان) مع قشور البيض الملون وتعلق فوق أبواب البيوت كرمز وشعار تقليدي لهذا اليوم المقدس ، بعدها يتعايد الأهالي والأصدقاء والأطفال أمام المزارات المقدسة وهناك تقليد خاص بهذا العيد وهو مسابقات والعاب البيض كضرب البيض ببعضه وغيرها، واحتفالا بهذا العيد تبدأ الدبكات الشعبية الأصيلة وسط الأهازيج والأفراح،

الموروث الديني الأيزيدي والذي يشير إلى أن في هذا اليوم يضع الله عز وجل مقدرات الأرض بيد طاوسملك وهذا الموروث مستمد من المعتقد الديني البابلي في عيد آكيتو والذي كان يقضي بأن الإله مردوخ (كبير آلهة بابل) يقوم بوضع مصير الأرض بيد الإله نابو، كما يتضمن المعتقد الديني الأيزيدي بتحريم الزواج في شهر نيسان مبررا" بأن نيسان يمثل عروس أشهر السنة ولا يجوز الزواج عليها وهذا مستمد من المعتقد البابلي الذي يشير أيضا إلى إن هذا الشهر هو شهر التزاوج ما بين الآلهة وبذلك يحرم على الإنسان الزواج فيه.





شكل (٦)

أفراح الأيزيدية والبيض الملون بمناسبة عيد اكيتو

(رأس السنة الأيزيدية)

ويقوم الفلاحون في هذا اليوم بزيارة الحقول والمزارع ونثر قشور البيض الملون بين البساتين كما يكرم رعاة الأبقار والأغنام في هذا اليوم).

- هناك دلائل عديدة تؤكد تطابق شخصية الإله نابو البابلي وطاوسملك الأيزيدي،[٢٤] تعني كلمة نابو في اللغة الأكدية " اللامع " أما أصل هذا الإله فهو غير معروف، وكل ما يعرف عنه ارتباطه بمدينة بورسيبا (برس نمرود) وفيها معبده الرئيس المسمى " E.Zida ".... لقد نسب لهذا الإله كونه من نسل الإله مردوخ وذكر غالبا" مع ذكر الأخير وشاركه بصورة جزئية ألقابه وعظمته. إن نابو هو الإله الخاص بالنساخين والكتبة وإله الحكمة كذلك ولصفته هذه بصورة خاصة (من بين بقية الآلهة) ينسب إليه كونه " صاحب ومسير المصائر " و أهمية الإله نابو ظلت عظيمة في بلدان إمبراطورية البابليين وكذلك عند الآشوريين، وفي العصر البابلي الحديث تجددت الحماسة لعبادته وتقديسه كما حدث بالنسبة للإله مردوخ.

[٢٥]"متى دعي نابو باسم طاوسملك وتحت أي ظروف جرى ذلك، ان الاسم كان أحد الألقاب التي يلقب بها نابو منذ زمن، ولعل الاسم هو لقب نابو الآرامي، وان أبعد ما وصلنا عن طاووس ملك هو ما جاء في المدونات المندائية من ان ملك النور (ملكا دنهورا) طلب من (بيت الحياة) أن يهيئوا كتابا" لا يمس المندائي، فأرسلوا لهذه الغاية ملاكا" هو (طاوس ملك) ليدون التوراة ، ذلك انه رب القلم والحكمة، وهذا هو أول ما نسمع بأسم الشخصية السماوية وهي طاوسملك، ان (طاوسملك) في اللغة الآرامية قد تعني الملك طاووس كما أنها قد تعني (الملاك الطير) وهو ما ينطبق على صفة تمثال طاووس ملك المعروف، أما في عجائب المخلوقات للقزويني حيث ترد صفات الملآئكة فقد جاء : ومنهم جبريل الأمين عليه السلام وهو أمين الوحي وخازن القدس، ويقال له الروح القدس والروح الأمين والناموس الأكبر وطاووس الملائكة، وهذا يرجح أن صفة طاووس الملائكة أنما تطلق في هذه المنطقة على الشخصيات المقدسة التي تحمل الرسائل السماوية.

وطاوسملك الذي يرفع الأيزيديون تمثاله في طقوسهم كان معروفا" في الأديان العراقية القديمة فالطيور المقدسة من خصائص ديانة البابليين، ويقول الكاتب أحمد تيمور بصدد هذا الاقتباس (أفلا يحتمل أن تكون

---

[٢٤] (الديانة عند البابليين - جان بوتيرو - ترجمة د. وليد الجادر - ص٥٧).

[٢٥] (اليزيدية بقايا من دين قديم - جورج حبيب - ص٢٦ ، ٢٧).

صورة الطاووس من بقايا الديانة البابلية)، ويقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) وهو يصف الطيور : ومن أعجبها الطاووس، الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد، بجناح وألخ.
وفي هذا السياق أيضا فان يوم الأربعاء مقدس لدى الأيزيدية ويعد عطلة الأسبوع وهو يوم طاوسملك ويرمز له بكوكب عطارد كما هو لدى البابليين وهو يوم الإله نابو ويرمز له بكوكب عطارد ويعد عطلة الأسبوع أيضا، وان أهم ما تدل عليه قدسية يوم الأربعاء وارتباطه بطاوسملك هو أنه يوم نابو في الديانة البابلية ذلك أن عطارد يمثل الإله نابو أيضا وما يؤيد ذلك بصفة خاصة هو الصفات التي يسردها الجدول لشخصية عطارد في المعتقد البابلي و هو شاب يركب طاووسا" وبيمينه حية التي هي رمز الحكمة و من خواص نابو كما هي من خواص الديانة الأيزيدية و نحت الحية القائم على مدخل معبد الشيخ عدي بن مسافر (ع) في لالش (المعبد الديني الرئيس للشعب الأيزيدي) كان معمولا" به في المعتقدات البابلية أيضا حيث أن الحية كانت تستخدم لحراسة المعابد .



شكل (٧)

مدخل لالش المقدس يبين نحت الحية على جانبه الأيسر

[26]نشأ الإله الوثني من الطوطم القبلي وأستمر تجسيد الآلهة البابلية محافظا" على صفات منبتها فكل إله له حيوانه المقدس الذي يرمز إليه والذي نشأ من الفتشية (الرقية- عبادة الرقي) البدائية . وفي هذا السياق فلا ضير بأن يرمز للإله نابو طير الطاووس أسوة ببقية الآلهة التي كان لكل منهم حيوانه المقدس الخاص .

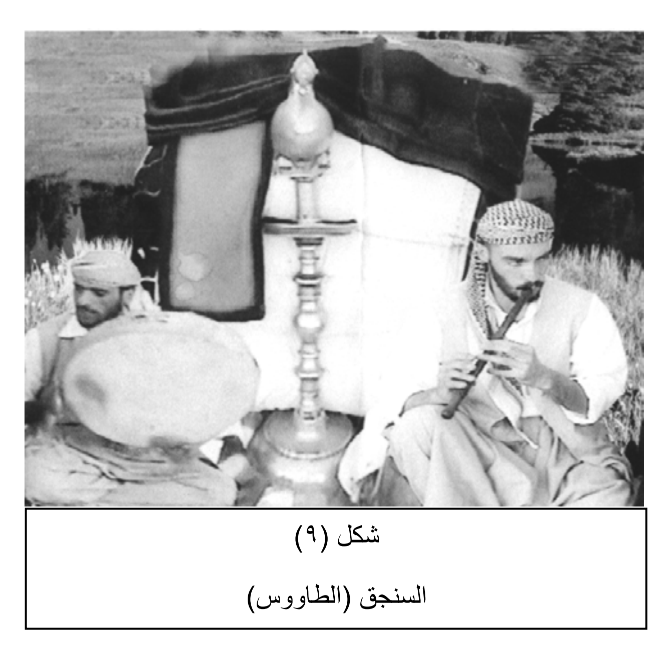


شكل (٨)
رسم فني يرمز إلى طاوسملك الأيزيدي

ولا ننسى[27] بان أحدى سمات الحياة للتمثال الإلهي التي لم نمسها حتى الآن هي السفر، ويعرف أن التماثيل الإلهية التي وصفت آنفا كانت تقوم برحلات إلى أحرام مقدسة خارج مدنها الخاصة، رحلات وصفت في عدد من الأعمال الأدبية، أمثال رحلة نانا سوين إلى نفر، ورحلة نينينسينا إلى نفر، ورحلة ننينورتا إلى اريدو، ورحلة انكي إلى اريدو، وفي كثير من الحالات تمثل هذه الرحلات زيارات سنوية لتجديد روابط العبادة وإنجاز الخصب، في حين تبدو في حالات أخرى أنها زيارات فريدة إلى غرض نفعي خاص . إن الطقس الديني الذي يقوم به المجتمع الأيزيدي إلى يومنا هذا والمتمثل بضرورة تجوال السنجق (الطاووس) مرة كل عام على أقل تقدير بين المدن والقصبات الأيزيدية يستمد تماما" من

[26] (أسرار بابل - ف.أ.بليافسكي - ترجمة توفيق فائق نصار - ص١٤٣)

[27] (حضارة وادي الرافدين الأسس المادية - د. دانيال تي بوتس - ترجمة كاظم سعد الدين - ص ٢٨٠).

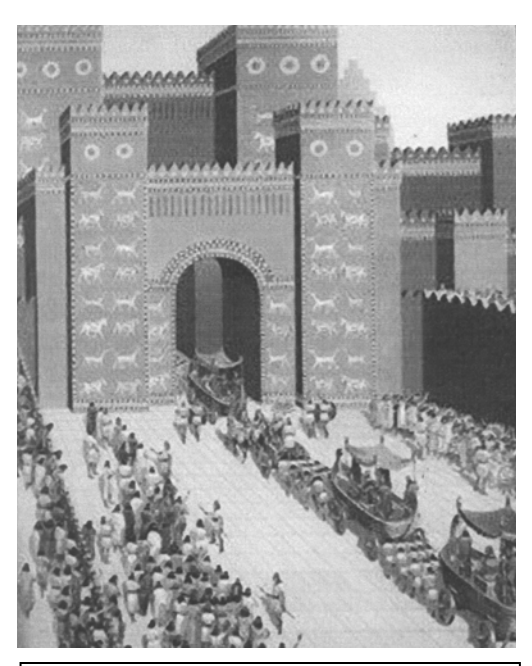


شكل (٩)

السنجق (الطاووس)

الطقس الديني البابلي الذي كان يدور حول استقبال الشعب البابلي لتمثال الإله نابو الذي كان يجلبه من معبد أيزيدا ببورسيبا إلى مدينة بابل في عيد آكيتو، طقس السنجق[٢٨] لدى العقيدة الدينية الأيزيدية يتم في ظل مراسيم دينية ويستقبلهم آلاف الأيزيديين من النساء وهن يلبسن أجمل الثياب ويضعن الحلي وكل ما يرمز إلى الجمال وأما الرجال فهم أيضا يلبسون أجمل اللباس والجميع يستقبلون الطاووس بالزغاريد والهلاهل على الرغم من أن الاحتفال ذو طابع ديني، وهذا الطقس الديني الأيزيدي يشبه زيارات تماثيل الآلهة في أيام السومريين والبابليين وخصوصا" زيارة تمثال الإله نابو من مدينة بورسيبا إلى بابل واستقبال الآلاف من البابليين لتمثاله وسط صيحات البسمة والتفاؤل والزغاريد والهلاهل.

[٢٨] (السنجق مكون من البرونز وطوله لا يتجاوز المتر وهو على شكل قطع متعددة يتم تركيبها وتنصيبها على شكل عامودي).



شكل (١٠)
أحتفالات البابليين بقدوم تمثال الإله نابو

- المراسيم والشعائر الدينية وشعائر دفن الموتى تؤدى عند الأيزيدية بمصاحبة فرق خاصة من الموسيقيين كما كان لدى البابليين في تأدية المناسبات الدينية و شعائر دفن الموتى بأداء وظيفة الغناء والعزف، حيث كانت تسمى هذه الفرق الموسيقية عند البابليين ب(كالو) ولدى الأيزيدية تسمى ب" قوال "[٢٩]، ومن جانب آخر تقوم العوائل الأيزيدية بزيارة المقابر في الأعياد ومناسبات الوفاة وتجلب معها الأطعمة والأشربة المختلفة باستثناء الكحولية و تضعها على أسطح القبور، وهذ ما كان موجودا" في العهود الرافدينية القديمة حيث كان يظن الإنسان بأن

[٢٩] (القوالون هم من طبقة المريد - الأيزيديون ينقسمون إلى ثلاث طبقات وهي البير والشيخ والمريد - ويمتازون بشريحة دينية كونهم يشرفون على السناجق (الطواويس) الدينية الأيزيدية في أثناء تجوالها بين سكان الشعب الأيزيدي كما أنهم يحفظون الأقوال الدينية الأيزيدية بامتياز فضلا" عن معرفتهم بعلم الدين الأيزيدي بدرجة عالية ويطلقون اللحى وخاصة من يسلك طريق رجل الدين ومكان تواجدهم الرئيسي هو في مدينة بعشيقة وبحزاني التابعة إلى الموصل مركز محافظة نينوى).



شكل (١١)

القوالين (قوال/ كالو)

أرواح الموتى وأجسادهم تعود على هيئة الإنسان الطبيعي في قبورهم وهذا ما دفعه إلى ضرورة تقديم الأطعمة والأشربة لهم حالهم حال الإنسان الحي، ومن زاوية أخرى،[٣٠] يمكن أن تجد ان الفتحات الموجودة في أسوار المقابر الأيزيدية على شكل مثلث يواجه أتجاه الشمس كرمز لم يزل يتمسك الأيزيديون به ، وهي نفس الفتحات التي كان السومريون يضعونها على أسوار القبور نقشاً أو مظهراً.

- الخرقة المقدسة هي أحدى المعتقدات الخاصة والتي تشترك فيها الديانتان البابلية والأيزيدية، هذا الركن الديني كان موجودا" في أيام الملك البابلي (نبونأييد ٥٥٦/٥٣٩ ق.م) وعلاقته بعبادة إله (سن)، إذ جاء بمرثية والدته مايلي :[٣١] " كنت ممسكة بأهداب الإله (سن) ملك جميع الآلهة وكانت عيناي تتطلعان إليه كل يوم وليلة، ولما ركعت أمامه خاشعة قلت له (إذا عدت لمدينتك سيخضع لك كل ذوي الرؤوس السود) وكنت حريصة على أن لا يغضب إلهي الشخصي وآلهتي، فلم أدع جسدي ينعم بكساء الصوف الناعم ، أو الحلي الذهبية والفضية أو الثياب

[٣٠] (التنقيب في التأريخ الأيزيدي القديم - زهير كاظم عبود).

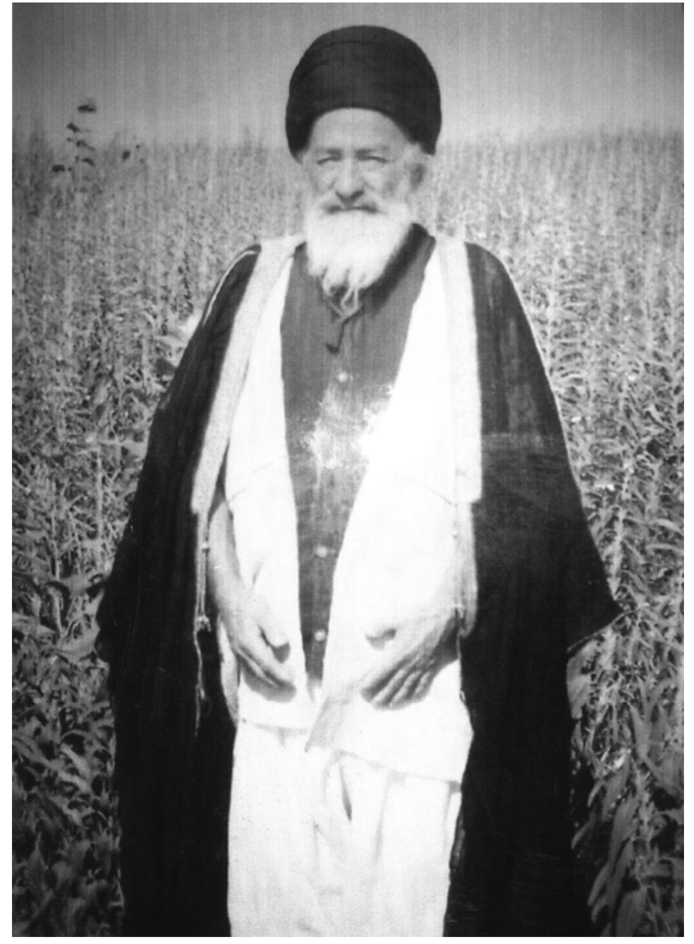
[٣١] (اليزيدية.. عقيدة وتراث - يوسف زرا).

الجديدة، أو العطر أو الزيت الزكي الرائحة، انما ارتديت (الخرقة) البالية وتركت بيتي والصمت يخيم عليه، وكنت أتضرع للآلهة في كل حين، ولم يغب عن ذهني، التسبيح لإلهي الشخصي وآلهتي ، إذ أديت لها كل الخدمات ولم أبخل عليها بكل ما هو نفيس... ألخ، لا يمكن اعتبار ورود كلمة (الخرقة) التي يلبسها (الفقير) في الديانة اليزيدية بدون الرجوع إلى تسميتها التاريخية كما وردت أعلاه، وفي الحالتين للشخصيتين هو التميز بالزهد والتقشف وعدم التمتع بمتاع الدنيا المادية، وجاء ارتداء (الخرقة) في المرتبة، كقسم كبير لترضية إله (سن) والعيش مدة بعيدا" عن الترف والبهرجة، وهذا الوصف يطابق شخصية الفقير في الديانة اليزيدية، ولابد ان تكون (الخرقة المقدسة) أرثا" لليزيدية بدون شك من ذلك الماضي .

صفات الفقير[٣٢] الطموح بلبس الخرقة المقدسة يتمحور حول ضرورة أن يكون المعني ذا سمعة طيبة وحسنة ويمتلك خلفية دينية وأخلاق رفيعة، و أن لا يكون قد تلاعب بلحيته وشاربه بتاتا ومنذ ولادته، ويؤدى أدعيته اليومية الخمسة (الفجر - الشروق - الظهيرة - الغروب - الشهادة) وفرائضه الدينية الأخرى، ويصوم الصيام العامة (صوم أيزيد ثلاثة أيام) والخاصة (صوم مربعانية الشتاء أربعون يوما" ومربعانية الصيف أربعون يوما" - وصيام خدر الياس وهي ثلاثة أيام وصيام شيخ شمس وهي ثلاثة أيام أيضا" وصيام أخرى تكون محاطة بأيمانه ومدى قدرته على الصوم)، ومراسيم تنصيب الفقير بلبس الخرقة تكون في الغاية من الأهمية وتعد نقطة انطلاق الحياة من جديد بالنسبة للفقير الطموح كما أنها تتميز بجو ديني بحت، والمراسيم تبدأ عند قيام الفقير باستدعاء عدد من رجال الدين من الشيوخ والابيار وعلماء دين آخرين وأخ الآخرة له

[٣٢] (الفقراء (المفرد :الفقير) هم من طبقة المريد ويعتبرون شريحة دينية لها السمعة والمكانة العالية لدى المجتمع الأيزيدي وجميعهم يطلقون اللحى حيث إنهم يحرمون حلاقتها بشكل قطعي ، ومكان تواجدهم الرئيسي هو في مدينة سن كار (سنجار) التابعة إلى محافظة نينوى ، ولدى البعض من الفقراء الغاية المفرطة لخدمة الدين الأيزيدي وذلك عن طريق لبسهم الخرقة المقدسة وهم في هذا الدور يحرمون أنفسهم من كافة ملذات الحياة الدنيوية ويخضعون إلى تعقيدات لا يتحملها إلا من كان مؤمنا" بأركان الديانة الأيزيدية).

(يفرض على الأيزيدي أن يسمي أحد الأفراد الأيزيديين من طبقتي الشيخ والبير حصرا" كأخ للآخرة وذلك لكون الديانـــة الأيزيدية تؤمن بتناسخ



شكل (١٢)
الفقير وحمله الخرقة المقدسة

الأرواح وبالآخرة) ويجتمعون في داره وتصبح تلك الليلة ليلة القدر بالنسبة لهم بحيث لا يكون هناك نوم طوال الليلة، بعد هذه الخطوة سيظهر من هذا التجمع رجل دين يلقي على عاتقه ترديد سبقات من الأقوال الدينية وفي خضم حرارة وحماسة الأجواء الدينية لمراسيم التنصيب يقوم أخ الآخرة بوضع يده على رأس الفقير من الأعلى وينزله إلى الأسفل بمقدار معين وبهذا الوضع (انحناء رأس الفقير) يبدأ بتجوله

بين الحضور ومن ثم يفرك(يعرك) أذنه وذلك بهدف اطلاع الحضور والمجتمع الأيزيدي ضمنا" بأن الفقير قد خضع كليا" لعبادة الله وسيبتعد عن الملذات الدنيوية طوال حياته وسيمنع من حمل السلاح والمعاشرة الزوجية وتناول الخمور وأيضا يمنع من التدخين وأمور اجتماعية أخرى، وبعد أتمام هذه المهمة الصعبة يقوم أخ الآخرة بتلبيس الفقير الخرقة والمفتول والكولك والرست في ظل ترديد الأقوال والتراتيل الدينية وبصورة مستمرة ودون توقف وقد تستغرق مراسيم التنصيب عدة ساعات والجميع يكون في حالة الوقوف، هذه المراسيم تجري إلى يومنا هذا ، وفي هذا السياق أيضا يستوجب أن نلقي نظرة على أحد أهم المراسيم التي كانت تؤدى ومنذ القدم ضمن هذا الإطار ولم تتمسك بها مراسيم التنصيب بوقتنا الحالي وهي أن توضع الخرقة (لبس محاك من الصوف) على شجرة (الزركوز) في الليل وتترك إلى حد شروق الشمس وخلال هذه الفترة فأن تغير لون الخرقة من لون الصوف الاعتيادي إلى اللون الأسود وبقدرة إلهية فهذا يعني بأن الفقير مؤهل للبس الخرقة وان كانت النتيجة بعكس ذلك أي إذا لم يتغير لون الخرقة للأسود فهذا يعني بأن الفقير غير مؤهل لهذه المهمة الدينية .

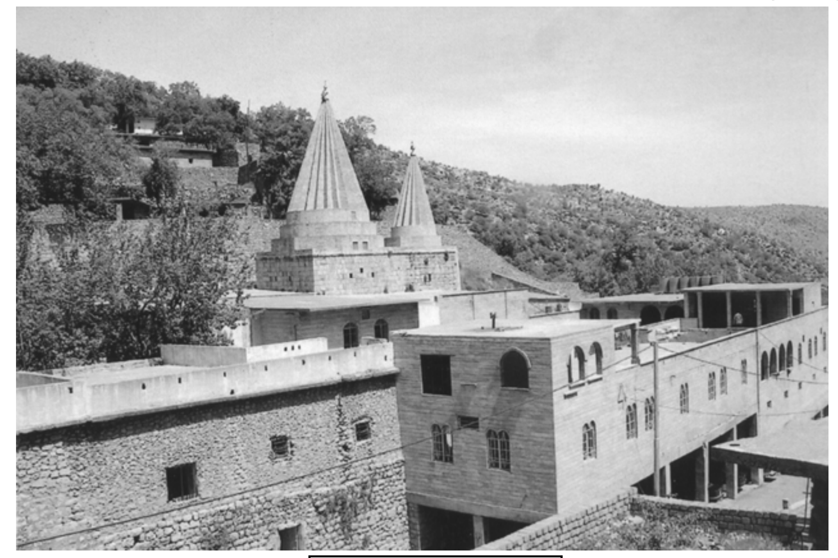
ومراسيم تنصيب الفقير بلبس الخرقة تشبه مراسيم احتفال الشعب البابلي بعيد رأس السنة البابلية (آكيتو) وخصوصا" اليوم الخامس منها ، في هذا اليوم يصل الملك إلى المعبد ويقوم الكهنة بتقديمه إلى تمثال الإله مردوخ ثم يترك لوحده مدة من الزمن، بعد ذلك يدخل كبير الكهنة فيخلع عنه تاجه وشارات الملوكية ويضعها أمام تمثال الإله، عندئذ يركع الملك أمام الإله ويردد اعترافا" يؤكد فيه انه لم يذنب ولم يهمل وانه عمل على حماية بابل والحفاظ عليها وعلى معبدها العظيم ايساكيلا وأقام الطقوس والشعائر الدينية على أتم وجه ، بعد ذلك يصفع الكاهن الملك على وجهه و يعرك(يفرك) أذنه وكلما كانت الصفعة أقوى كانت ضمانا" أكيدا" لرضى الإله مردوخ وبركاته ، والراجح أن هذا إلا جراء من جانب الكاهن كان لتذكير الملك بطبيعته البشرية لكي لا يصيبه الغرور فالحصول على رضا الإله أمر واجب وأن استمراره في الحكم مرهون بموافقته .

- إن مبدأ توارث الأسماء السومرية والبابلية عند الأيزيديين لم يأت صدفة أو كردة فعل ما بل يعتبر عملية طبيعية تقوم على أساس تخليد الإرث والتواصل معه عبر الأجيال المتعاقبة ما بين الشعب الواحد وبغض النظر عن التسميات المتعددة ، حيث كان أغلب أسماء أفراد الشعب الأيزيدي من الأسماء السومرية والبابلية قبل قرن من الآن وقد تأثرت هذه الأسماء بالتزامات الأنظمة الحاكمة و بالعولمة والنظم العصرية الآنية التي تقف مناوئة لأجندة التراث الحضاري القديم وهذا ما حدا للحفاظ على نفس النسبة وبالرغم من ذلك فما زالت هذه الأسماء السومرية والبابلية تأخذ حيزا" كبيرا" في مجتمعنا الأيزيدي الراهن، ومن هذه الأسماء " حمو " دخل في الاسم البابلي حمورابي، و " شمو " اسم بابلي معناه العشب أو النبات، و" سمو " في البابلية معناه الحمام، و" ميران " اسم بابلي معناه شبل الأسد، و" شيخو " أسم بابلي معناه عالي أو طويل، و" خيرو" أيضا اسم بابلي معناه الزوج أو الخطيب، و" دينو " اسم بابلي ومعناه القوة، و "كتو " اسم بابلي معناه العدل وغيرها من الأسماء (ماشو - دومان - سيان - رفو - كلو - ملو - حجو - خرتو - جلو - كولو - بقو - سينو - رشو)، وهذا التوارث من الأجداد السومريين البابليين إلى الأحفاد الأيزيديين تأكيد وإدراك ان الوعي القومي عند الأيزيديين يتجدد دوما" ويريد أن يثبت أقدامه على الأرض في كل زمان ومكان ومهما كانت الصعاب ، وما توريث هذه الأسماء البابلية عند الأيزيدية إلا وعيا" قوميا" يشعر به الإنسان الأيزيدي بالرغبة الشديدة للتعبير عن إيمانه العميق بإرث الآباء والأجداد والتواصل معه دوما".
- [٣٣]المعتقد الديني الرافديني القديم وفي بعض أركانه يشير إلى ان الإله انكي ومعه الآلهة الأربعة (ان بلولو، ان كمدو، اشنان، دوموزي) قاموا برحلة إلى العالم لتنظيم شؤون الأرض.هذا المعتقد الديني الرافديني ظل يسير بطريقه إلى وقتنا الراهن من خلال العقيدة الدينية الأيزيدية التي تضم سبقة دينية من القول الديني الأيزيدي (زبوني مكسور) و التي تسرد هذه الخلفية الدينية التاريخية ومفادها بأن (الله وأربعة من ملائكته صعدوا في مركب وداروا أركان الأرض الأربعة لتنظيم أمور الأرض)،

---

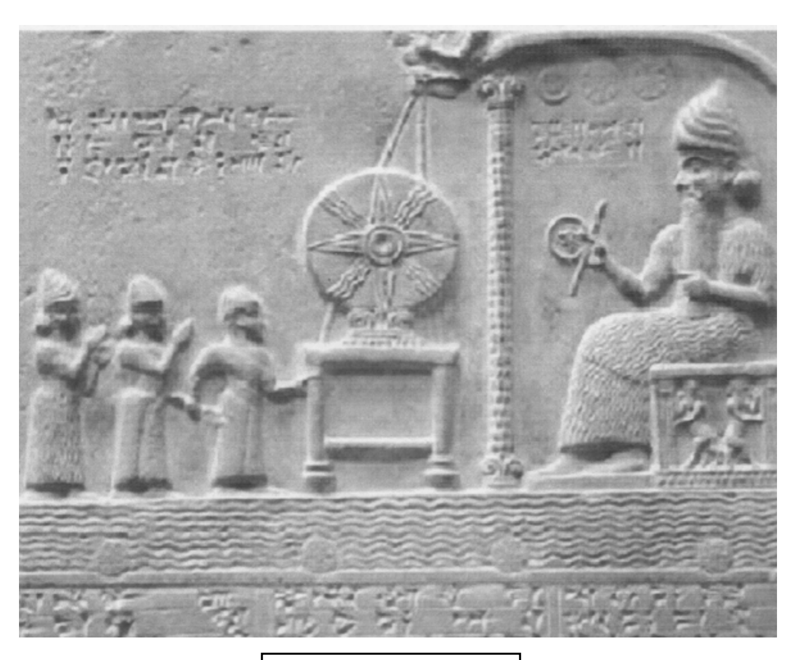
[٣٣] (أسطورة أنكي ونظام الكون - عشتار ومأساة تموز للدكتور فاضل عبد الواحد علي).

ومن جانب آخر نظر سكان بلاد وادي الرافدين القدماء للإله انو (كبير آلهة وادي الرافدين وهو يمثل إله السماء) على أنه مصدر الخير والشر في آن واحد معللين بذلك بأن السماء هي التي تحتضن العوامل الجوية التي تؤثر سلبا" أو إيجابا" على الإنسان وعلى موارده الغذائية وهذا ما يتطابق مع عقيدة الديانة الأيزيدية التي تؤمن بأن الله عز وجل هو مصدر الخير والشر في آن واحد، كما ان تسمية لالش منحدرة من عنوان أسطورة الخليقة البابلية إنما - إلش (معناها :عندما في العلا)، ولالش (بمعنى العلا) في الموروث الحضاري والديني الأيزيدي يرمز إلى المعبد الديني الأيزيدي الرئيسي في العالم وما يزال عدد كبير من كبار السن من قبيلة الهبابات الأيزيدية في سنجار يلفظها (الش) عوضا" عن (لالش).



شكل (١٣)

لالش النوراني



شكل(١٤)

الإله شمش(شي شمس)

قبلة الشعب الأيزيدي من ناحية العقيدة الدينية هي الشمس[٣٤] فضلا" عن

[٣٤] (الشيخ السوسي - الديانة الأيزيدية : والأيزيدية من الديانات القديمة جداً وهي من بقايا الديانات الطبيعية ,التي ترجع أصولها إلى مراحل تاريخية سحيقة تمتد إلى العصر السومري حينما بدأت المعتقدات الدينية تنحو نحو الظواهر الطبيعية , واعتبرت الشمس والقمر والنجوم والضوء والنار وكل ماله علاقة بالضياء من تجلي المقدسة , وللشمس منزلة خاصة ومتميزة حيث تعتبر إحدى أشكال تجليات الله وبهذا فأن الديانة الأيزيدية هي من الديانات الشمسانية التي انتشرت في بلاد الرافدين وسوريا وآسيا الصغرى والأناضول حيث انتشرت معابد الشمس في حمص وبعلبك وحلب والحضر وبابل وآشور والوركاء وماردين مرورًا بالمناطق التي تشمل أفغانستان والهند وحوض القفقاس وقد أكتشف الآثار يون العاملون في العراق معبد أيزيدا في منطقة الحلة بالعراق وهو ليس الوحيد حيث سبق وأن أكتشف معبد مماثل بنفس الاسم في مناطق الموصل (نينوى). ووثائقيا" يعود تاريخ عبادة الشمس وتقديسها إلى عام ١٣٨٠ قبل الميلاد حيث توفي أمنحوتب الثالث وخلفه أبنه أمنحوتب الرابع المعروف باسم "إخناتون" حيث ثار على دين آمون ، وعلى الأساليب القديمة التي يتبعها الكهنة معلنا" أن تلك الآلهة وكل طقوس العبادات وثنية منحطة ، وأنه ليس للعالم إلا إله واحد هو "آتون"، وان الآلوهية أكبر ما تكون في الشمس مصدر الضوء وكل ما على الأرض من حياة. ومهما تكن عقيدته في التوحيد

وجود معتقد خاص يرمز لـه بشخصية دينيـة تسمى (شـي شمس) وهذه الشخصية تتطـابق مـع الشخصية الدينيـة للمعتقد الرافديني القديم المتمثلـة بالإلـه (شمش)، وفـي هذا السياق أيضا، قال الإلـه انليل للإلـه شمس : لأنك تطلع عليهم (الإنسان) كل يـوم حتـى صـرت كأنك واحد منـهم، أي طلوع الشمس على البشر جعل شمس يعطف علـى البشر ويقف بجانبهم ويدافع عنهم في سجال الآلهة، وأيضا هناك ترتيلة بابلية : "يا شمس أنت ملك السماء والأرض وسيد الكائنات العليا والسفلى.. يا شمس رهن يديك بعث الحياة فـي الموتى وإطلاق سراح الأسرى.. أنت القاضـي المستقيم الـذي يـدير شـؤون البشرية، السليل الأمجد الأبـن الأعظم والأنبـل، نـور الأرض، صانع كل ما في السماء وما في الأرض "، والشمس فـي الديانـة الأيزيدية هي قبلة الأدعية وأن شي شمس (إلـه شمش)هو الـذي يقضـي حاجة المظلوم والرزاق وحامي الأيزيدية، كما ان فلسفة الديانـة الأيزيديـة تجزم بان الأرزاق تـأتي من الشمس، وهذا مـا تؤكده العلوم الحديثـة بـان الكائنات الحية لا تستطيع البقاء بدون نور الشمس ودفعت هذه المعطيـات الإيجابية إلى تبني الشعب الايزيدي الشمس بقبلته.

- العقيدة الدينية الأيزيدية تتضمن الكواكب السبعة وبشكل أساسي وجوهري وتعتبر من المقدسات الرئيسية وهذه العقيدة كانت معمولا" بها في الديانة البابلية، والإرث الديني البابلي قد ضاع لدى الأيزيديين بنسبة كبيرة نتيجة مسلسل حملات الإبادة الدموية وتبعاتها المأساوية التي كانت تستهدفهم بالانسلاخ عن عقيدتهم وعلى أثرها تضاءل أداء طقوسهم وعاداتهم وشعائرهم الدينية وبمرور الوقت اضمحلت غالبية هذه المعتقدات البابلية لدى المعتقد الأيزيدي الذي بدوره أجرى تغييرات لتسمية عدد كبير من آلهة بابل تماشيا مع الواقع من جانب، ومن الجانب الآخر لضمان البقاء

، فقد قال ان " أتون" لا يوجد في الوقائع والانتصارات الحربية فقط بل يوجد في جميع صـور الحياة والنماء ، وأن هذا الإله الحق خالق حرارة الشمس ومغذيها ما هو إلا رمز للقدرة الغائبـة. وان هذه هي التي تهب الشمس المتجددة في الظهور والإشعاع والأفول هذه الفلسفة انتقلت إلـى بلاد الرافدين (العراق) وأثرت بشعوب المنطقة القاطنة فيها بذلك الوقت وبدأت تظهر الديانات التوحيدية (الإله الواحد) , ويقول البعض ان ذلك بدأ مع البابليين إلا أن الدراسات تقودنـا إلـى ان الايزيديون هم أول من توصـلوا إلـى فكرة التوحيد فـي العراق وفـارس ، فالـدين الأيزيـدي دين توحيدي يؤمن بالإله الواحد الخالق للكون ألخ).

على مضمون الموروث البابلي وبغض النظرعن التسميات الشكلية.الديانة الأيزيدية تؤمن بوحدانية الله عز وجل وهو خالق الأرض والسماوات والأنس والجنس وانه لا شريك له إضافة إلى الإيمان بوجود الملائكة السبعة والذين يرأسهم طاوسملك ، وفكرة تكوين الخليقة لدى الديانة الأيزيدية تشير بان الله عز وجل خلق الملائكة السبعة (عزازيل (طاوسملك) - دردائيل (شيخ سن) - اسرافيل (شيخ شمش) - ميكائيل (شيخ ابو بكر) - عزرائيل (سجادين) - شمنائيل (شيخ ناسردين) - نورائيل (شيخ فخردين) ، وهذه التراتبية كانت موجودة في الديانة البابلية وبالصورة التي كانت عندها[٣٥] الإله مردوخ يعد كبير الآلهة وهو الذي يرأس الآلهة السبعة العليا في بانتيون بابل الذين لكل منهم مدينته ومعبده ووظيفته ونجمه السماوي ويومه من الأسبوع وفضلا" عن مردوخ ضمنت هذه السبعة :

١- إله الحكمة نابو (مدينته بورسيبا ومعبده ايزيدا وكوكبه عطارد ويومه الأربعاء - يوم عطارد).
٢- إله الشمس والعدالة شمش (مدينته سيبار ومعبده ابابار ويومه الأحد - يوم الشمس).
٣- إله القمر والمعرفة سين (مدينته أور ومعبده اكيشيريكال ويومه الاثنين - يوم القمر).
٤- إله الحرب الدموية وحاكم الجحيم نرجال (مدينته كوت ومعبده اميشلام وكوكبه المريخ ويومه الثلاثاء - يوم المريخ).
٥- إله الحرب الميمونة فارس الآلهة زابابا أو نينورتا (مدينته كيش ومعبده اباتوتيلا وكوكبه زحل ويومه السبت - يوم زحل).
٦- إله الحب والجمال عشتار - مدينتها اوروك ومعبدها آننا وكوكبها الزهرة ويومها الجمعة (يوم الزهرة).

وهذه الآلهة السبعة جسدت وحدة بابل واتحاد مدنها السبع الرئيسية وكواكب المجموعة الشمسية السبعة.

---

[٣٥] (اسرار بابل - ف.أ.بليافسكي - ترجمة توفيق فائق نصار- ص١٤٥ - ١٤٦).



شكل(١٥)

رجال الدين الأيزيدية وبمختلف طبقاتهم

الديانة الأيزيدية ترمزبكوكب عطارد للملك عزرائيل (طاوسملك) ويومه هو الأربعاء كما ترمز بالقمر للملك دردائيل (شيخ سن) ويومه هو الاثنين وترمز بالشمس للملك اسرافيل (شيخ شمش) ويومه هو الثلاثاء وهذه المشتركات نابعة من مصدر واحد هو المعتقدات الدينية البابلية ومنها تجذرت الديانة الأيزيدية.

- كان كهنة المعابد السومرية والبابلية وبمختلف صنوفهم يمتلكون ميزة كتم أسرار عقيدتهم الدينية ولا يجوز البوح بها لعامة الناس وهذه الصفة موجودة لدى الديانة الايزيدية وخاصة ان رجال الدين الأيزيديون من الشيوخ والابيار والقوالين والفقراء يكتمون أسرار العقيدة الدينية فضلا" عن ان التراتبية الدينية مشابهة إلى حد كبير للتراتبية الدينية البابلية، وفي هذا السياق أيضا فان الشرائح الدينية (الشيوخ - الابيار - القوالون - الفقراء) للديانة الأيزيدية تلتزم بمبدأ الوراثة جيلا" بعد جيل وهي بذلك تشبه مبدأ التوريث لكهنة المعابد الدينية لدى البابلين .
- هناك ركن ديني هام ترتبط به معا" الديانات الرافدينية القديمة والديانة الأيزيدية وهذا الركن بشأن صفات الآلهة لدى العراقيين الأقدمين وصفات الصحابة عند الأيزيديين المعاصرين، وهذا بحد ذاته يوثق خبر انحدار العقيدة الأيزيدية من المعتقد الديني الرافديني القديم. تعددت الآلهة لدى

المجتمع الرافديني القديم وقد تم الإشارة إلى هذا الموضوع آنفا"، الإنسان الرافديني آمن بإلهه والذي أناط به مجتمعه أو عقيدته الدينية صفة كانت تتعلق بالطبيعة الأرضية أو السماوية أو البشرية أو النباتية أو الحيوانية، وكان الفرد ملتزما" بعقيدته وبمرور الوقت وكلما كانت تستجد ظاهرة غريبة في بيئته كان يعتقد فيها الإنسان القديم بان هناك روحا" أو قوة خفية تحرك تلك الظاهرة وعلى هذا الأساس تبنت المجتمعات السومرية والبابلية وغيرها معتقدات أخرى قسم منها كان جديدا" والقسم الآخر كان تصحيحا"، كما ان لنضوج الفكر والعقل لدى الإنسان الرافديني الأثر الكبير والذي أنعكس في زيادة عدد الآلهة عند المجتمع ، آلهة وادي الرافدين حملت أسماء عكست واقع الحضارة والتراث الرافديني القديم و معظم تسميات الآلهة قد ضاعت لدى العقيدة الدينية الأيزيدية ولكن الصفات والعقائد والمضامين بقيت كما هي سومرية وبابلية وبحلة أيزيدية وقد أشرت آنفا" إلى الأسباب التي دعت إلى تضاؤل الإرث الرافديني لدى الأيزيدية، ومن أهم[٣٦] آلهة وادي الرافدين :

- ابسو : إله مياه العمق أو أعماق الغمر.
- ابن كيش : إله رعاية الأسماك.
- اتو (الالهة) : آلهة الأشجار.
- ادد : إله الأمطار والرياح والصواعق والزوابع والرعود.
- ارشيكال : آلهة العالم السفلي.
- اشنان : آلهة الغلة والحبوب.
- آن(اتو) : إله السماء.
- انانا (الآلهة) : آلهة الحب والخير والبركة والزرع.
- انكميدو : إله الري والحقل.
- انكي : إله المحيط العذب و الحكمة والعرفان.
- انليل : إله الريح.
- آنو : إله السماء.
- اوتو (شمش) : إله الشمس.

[٣٦] (تاريخ حضارة وادي الرافدين - د. احمد سوسة - ص٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦).

- اي - لكور : إله عالم الأموات.
- ايتانا : يلقب بالراعي.
- ايلبايا : إله الحرب.
- باو : آلهة الزراعة.
- تيامة : آلهة محيط الماء.
- دموزي : إله الخصب والزرع الموكلة إليه رعاية شؤون الحظائر والزرائب والألبان.
- سوموجان : إله النبات والأعشاب والحياة الحيوانية.
- سيرارا : إله شؤون البحر.
- سين : إله القمر.
- شارا : إله الخضرة.
- عشتار : آلهة الخصب والحب عند البابليين.
- كبتا : إله شؤون الفأس وقالب الأجر.
- كيشيتين : إله النبيذ.
- لهار : إله القطعان والحظير والماشية.
- مش - ديا : إله شؤون بناء المساكن.
- نانشة : إله العدل والعلم والرحمة.
- نرجال : إله النار.
- ننتو : إله الخصب والولادة.
- ننورتا : إله الرياح والجو.
- نيدابا : إله شؤون الشعير.
- نينا : آلهة الينابيع والأنهار والأمطار.
- نين كلم : آلهة جرذان الحقل وحشراته وديدانه.

ومن الجهة المقابلة فأن العقيدة الدينية الأيزيدية تتضمن في أحد محاورها تحويل صفات كثيرة هي نفس صفات الآلهة الرافدينية القديمة على عاتق أولياء أيزيديين صالحين وهم يعدون بذلك المسؤولين وكل على حدة عن صفته أمام الله عز وجل، وما هو معروف عند الآثاريين والمؤرخين التاريخيين بأنه يطلق على متكفل صفة ما (بالإله) في التاريخ الرافديني القديم، و أما في الديانة الأيزيدية فيسمى ب(خودان) و تعني هذه الكلمة باللغة العربية (صاحب أو مشرف)،

الديانة الأيزيدية تعتقد على هذا النحو بان " الخودان" هو حلقة وصل ما بين الله عز وجل والعبد، ومن أهم الصحابة لدى الديانة الأيزيدية مع صفاتهم :

- خاتونا فخرا : صاحبة شؤون النساء.
- ملك عبروس : صاحب البرق والرعد.
- شاه سوار : صاحب الحرب والفروسية.
- ممي شفان : صاحب الغنم.
- كافاني زرزان : صاحب الأبقار.
- شيخ موس : صاحب الأحلام والأمراض.
- شيخ مهمرشان : صاحب المطر.
- بيري اورا : صاحب الغيوم.
- شيخ سن : صاحب القمر.
- شيمش : صاحب الشمس والنور.
- شرفدين : صاحب الأشجار والنباتات وثمارها.
- خدر الياس : صاحب البحور والأنهر.
- سخري جن : صاحب الجبال والتلول والكهوف.
- هاجيال : صاحب الجن وشفاء المجانين.
- آلو بكر: صاحب شفاء الناس من الأمراض الجلدية.
- امادين : صاحب شفاء الناس من أمراض القلب.
- ستيابيس : صاحب شفاء الناس من الصرع.
- فخري آديا : صاحب شفاء الناس من الشمرا.
- شيخ مند : صاحب الحية.
- بيري جروا : صاحب العقرب.
- بيري لبنا : صاحب الحب والزواج.
- شيخ حسن الآدي : صاحب القلم والكتابة.
- بيرافات : صاحب الفيضانات والكوارث الطبيعية.
- قرجري : الآلات والعدة.
- غفوري ريا : صاحب الطرق والسفر.
- شيخ بابك : صاحب الصبر.
- بير داود : صاحب التبغ.
- ناسردين : صاحب الموت.

- بير مند : صاحب القبور.
- حسن جنار : صاحب البيدر.
- شخسيباتي : صاحب المراد.
- شيخ بركات الشمساني : صاحب البركة.
- الكأس الفوار أو الإناء الفوار(عبارة عن إناء ينبع منه مجريان رئيسيان يتكون كل منهما من ثلاثة فروع) كان شعارا" لحضارة وادي الرافدين



شكل(١٦)

الإناء الفوار والشيربك

وأتخذه الكثير من الملوك والآلهة و يخلد ذكراه إلى يومنا هذا الشعب الأيزيدي ومن خلال عقيدته الدينية و ضمن أداء مراسيم " الشيربك "، وللشيربك مكانة مقدسة لدى الايزيدية وخصوصا" في أثناء تأدية جولات السنجق(الطاووس) ما بين سكان المدن الأيزيدية حيث ان الشيربك يعد أحد تكويناته ،[٣٧] و (الشكل رقم "١٨") يبين الإله " انكي " (ايا) إله المياه في مشهد ديني يشاهد وهو جالس على عرشه يحمل بيده الإناء الفوار الذي ينبجس منه مجريا دجلة والفرات مع كاهن يقود الملك " كوديا " ملك لكش (٢٠٠٠ ق.م) وهو حليق الرأس إلى ينابيع المياه التي أستوى عليها الإله " أيا " والتي هي سر إدامة الحياة والحضارة على الأرض لتقديمها إلى بني البشر.

[٣٧] (تاريخ حضارة وادي الرافدين - الدكتور احمد سوسة- صفحة ٩).



شكل (١٧)

تكوينات السنجق (الطاووس) والشيربك من ضمنها

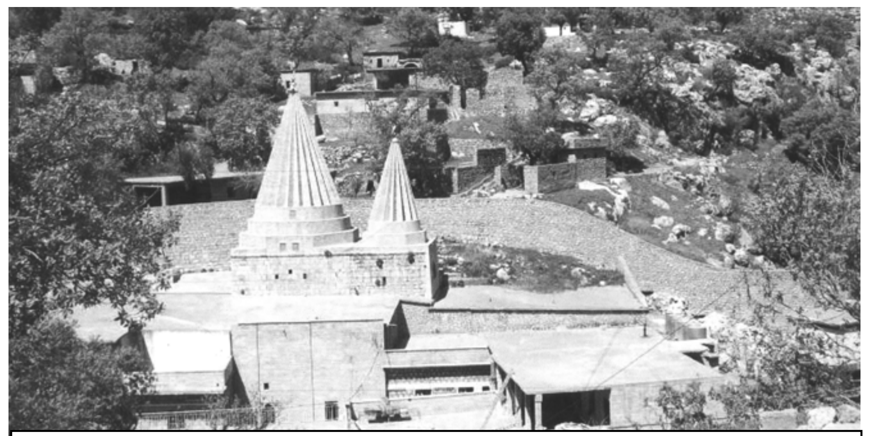
هذا التقليد الديني السومري لم يمت بل ظل يسير في أفقه بين أحضان الشعب الأيزيدي وإلى يومنا هذا، حيث ان التقليد الديني الأيزيدي إزاء الإناء الفوار يكمن في الشيربـك ، هنالك شعائر دينيـة أيزيدية يستوجب



شكل(١٨)

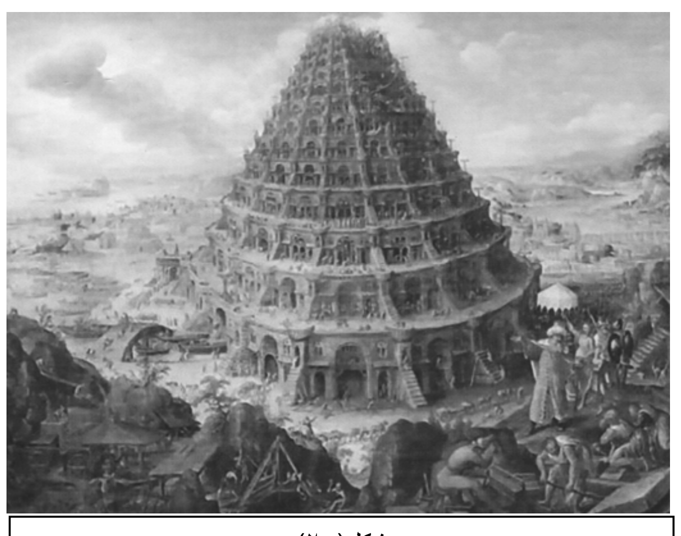
الإله انكي في طقس ديني متمثل بالإناء الفوار

أداؤها من قبل المجتمع الأيزيدي ومنها ضرورة أن تكون هنالك جولات للسنجق (الطاووس) إلى كل القرى والقصبات الأيزيدية وبمصاحبة رجال الدين في كل عام ، و كل سنجق يتكون من عدة تكوينات ومن أهمها الشيربك، حيث تجري العادة قيام أحد رجال الدين من أفراد طاقم السنجق بتعبئة الشيربك بالماء النظيف ومن ثم يتجول بين الجموع بهدف شربهم الماء المقدس الذي هو بداخل الشيربك ومن يحصل من الجموع على قطرة ماء منه فأن الله سيغفر ذنوبه ويوفق أعماله فضلا" عن كونه سيصبح محظوظا" طوال الفترة الزمنية التي تسبق قدوم السنجق مرة أخرى، وهذين التقليدين اللذين يشكلان بدورهما تقليدا" واحدا" لدى السومريين والأيزيديين كلاهما يدخلان إلى نفس المحتوى و الهدف،



شكل(١٩)

المعابد الدينية الأيزيدية



شكل(٢٠)

برج بابل (الجنائن المعلقة)

فالإناء الفوار والشيربك يتخذان شكلا" واحدا" من حيث المظهر والحجم فضلا" عن كونهما يعتبران من المقدسات المباركة ويعنيان بالماء المقدس وأداؤهما يتشابه إلى حد كبير جدا" في أثناء تقديم الماء إلى الإنسان إضافة إلى أن عقيدة هذا التقليد هي واحدة لدى السومريين والأيزيديين.

- شكل المعابد الدينية الأيزيدية والتي تنتشر بكثرة في مناطق الشعب الأيزيدي مستمد من معلم برج بابل (الجنائن المعلقة) .

المبحث الثاني

جذور الشعب الأيزيدي ومصدر تسميته

إن تاريخ الشعب الأيزيدي منحدر من حضارة الرافدين العريقة وعلى وجه الخصوص الحضارة البابلية منها وهذه العراقة تدفع بنا إلى أن نثبت واقعا" تاريخيا" حقيقيا" مفاده إن المكون الأيزيدي مكث في هذه الأرض المباركة آلاف السنين و جذوره تمتد إلى بعد زماني ومكاني غير مسبوق وغزير بالتحولات والمراحل الحافلة بالتغيرات الكبيرة والتي غيرت الخريطة التاريخية والجغرافية والسكانية للشعب الأيزيدي سواء بالإيجاب أو السلب، وهذه المحصلة أو المسيرة التاريخية الطويلة والشاقة للأيزيدية ستترتب عليها بالتأكيد آثار سلبية تمخضت عن رحم الظروف (أساليب بشعة ونظم مستبدة وأعراف أقطاعية وغيرها من المساوئ التي كانت تلاحق الفرد وباستمرار من قبل الأنظمة الحاكمة المتسلطة)التي كانت تسود المجتمعات القديمة إلى جانب آثار إيجابية بصمت الأدوار الايزيدية نحو الأفضل.

الآثار الإيجابية أخذت دروبها بشكل طبيعي وأسهمت بشكل وآخر في نمو التقدم الأيزيدي إلى الأمام وبغض النظر عن الظروف الصعبة التي مرت على الشعب وخير ثمرة من ثمار تلك الإيجابيات هي بقاء المكون الأيزيدي وبكل تجلياته ومقوماته التراثية والحضارية والروحية والفكرية إلى واقعنا القائم، وهذا التحدي الذي لعبه الإنسان الأيزيدي بوجه كل الممارسات المجحفة والهادفة لإلحاق الأذى بذاته ومجتمعه، بحق، يمثل انتصارا" حقيقيا" وثورة بيضاء تضمنت كل الصفات البطولية والإنسانية، أما السلبية منها فأخذت أشواطا" عديدة استهدفت القضاء على مصادر النمو الفكري والجغرافي والسكاني والعقائدي وغيرها من مناحي الحياة المتعددة للشعب الأيزيدي (هذه المناحي سيجدها القارئ بالتفصيل في الفصل الأخير من هذا الكتاب حول مدى الدمار الحاصل نتيجة الحملات الإجرامية التي شنت ضد الأيزيدية)، ومعلوم بان كل حملة دموية من بين تلك الحملات خلفت وراءها آثارا" مؤلمة انعكست سلبا" على جميع الصعد الحياتية للإنسان والمجتمع

الأيزيديين، المآسي والمظالم كانت عديدة ومتنوعة بممارساتها البغيضة على الأيزيديين وتعكزت إلى أساليب بشعة تمثلت بمهاجمة الديار ووضعت الآلة القاتلة (الأسلحة) على رقاب الأبرياء الأيزيديين فأما أن تقطعهم إلى أوصال عديدة أو أن يقبلوا بخيار البقاء في هذا الكون ولكن بثوب آخر، وأما الذي أراد أن يحتفظ بإرثه وتاريخه ووجوده فكان الفرار هو الخيار الوحيد المتبقي له وعلى أثره يقوم بالتوجه إلى مناطق أخرى نائية وهذا الفرد الذي قدر الله أن يكون الفرار من نصيبه لاحقته بعد فترات زمنية متفاوتة جملة من المضايقات والعوازل والسياسات التحريفية التي كانت تهدف لمنع التواصل مع أرثه القديم وعدم مواكبة حياته القائمة على ثوبه الرافديني ، وبمضي المراحل الزمانية والمكانية ووقائعها تراكمت هذه الترسبات المؤلمة على كاهل الشعب الأيزيدي وأفرزت جملة من العوائق الفكرية التي تلت المسلسلات الدموية بعدما عجزت الأخيرة عن تنفيذ أجنداتها بالدم، وأدت إلى ظهور الأفكار المسمومة والتي أبتدعها أصحاب الأقلام المزيفة في كتاباتهم المنحطة بهدف تحريف مسار الانتماء الرافديني للشعب الأيزيدي وهذه الخطورة مازالت تشكل خطرا" حقيقيا" يواجه المصير والمشروع الأيزيديين، ما أود أن أصل إليه بعد تقديم هذا السرد هو قيام العديد من الأطراف والأفراد بتنفيذ وتكريس مظالم جمة بحق الموروث الأيزيدي العريق لأسباب عديدة منها محو الوجود الأيزيدي من التاريخ والخارطة الجغرافية والحصول على مقدراته ونتجت من جراء هذه الآليات غير المبررة ألحاق الحيف الكبير بالشعب الأيزيدي في وضعنا الراهن، فنجد في بعض الأحيان التنافر في الآراء المطروحة إزاء تاريخ وانتماء الشعب الأيزيدي وخصوصا" بشأن مصادر نشوء تسمية الأيزيدية ومنشأ الشعب الأيزيدي على أكمل وجه ، هذه المفارقات والبينيات خلقتها تلك الظروف السيئة وبالرغم من هذه التحديات الخطيرة فقد صمدت إرادة الشعب الأيزيدي أمام تلك التدفقات العدوانية وتصدت لها بحكمتها وعقلها السليم، وما عملنا الراهن لإزالة الغبار عن ماضينا المشرق والوصول إلى امتدادنا السومري البابلي إلا خير دليل على ان المحاولات التي كانت مقصودة بمحو وجودنا في هذا الكون قد باءت بالفشل وولت من دون رجعة.

ما مطروح على طاولة البحث في هذا المبحث هو إبراز مصدر نشوء التسمية الأيزيدية تاريخيا"، وفي هذا السياق فقد عمل الكثير من الكتاب والمستشرقين والرحالة من خلال أجنداتهم التي كانت تهدف للوصول إلى مصدر أو مصادر نشوء التسمية الأيزيدية ، و معظم ما طرحه أولئك من أفكار وأقاويل ودراسات لم

يصل إلى أدنى مستوى الطموح بالنسبة لتطلعات الشعب الأيزيدي الحرة والمبدئية والأخير بدوره أيضا لم يعول على تلك الأفكار الهدامة ولم يضع له أي مسار للسير إزاءها مع انه أدخلها ضمن سياق المؤامرات السابقة التي شنت ضد كيانه مع الذكر بأننا كأيزيديين رحبنا ومازلنا نرحب بأي جهد ينعكس إيجابا" على مبادئ الشعب الأيزيدي القومية والدينية والفكرية والاجتماعية.

أنا بدوري سأعرج إلى مصادر التاريخ الرافديني المتوفرة والمتاحة لي لأجل بيان المصدر الذي ولّدت منه التسمية الأيزيدية وهذا النحو يتطلب المزيد من البحث والنبش في التاريخ الرافديني القديم و الذي يعد بدوره المصدر الأول لنشوء الشعب الأيزيدي والتسمية الأيزيدية أيضا ، وهل الاكتفاء بعبارة إن التاريخ الرافديني القديم والمتمثل بسومر وبابل يعد مصدر نشوء الشعب الأيزيدي وتسميته يشبع رغبة وهدف كتابي هذا ؟، بالتأكيد لا، لأن ذلك يعد مصدرا" عاما" ونحن لا نبحث عن العموميات فقط بل سنأخذ كل الأجزاء التي شكلت حزمة واحدة ولّدت من مخاض مراحلها الشعب الأيزيدي وتسميته العريقة، وفي هذا الجانب فقد قام العديد من العلماء المعاصرين بتبني نظرية جديدة مفادها الاعتماد على التوافق اللفظي والشكلي ما بين تسميات الشعوب أو القبائل أو المجموعات التي وردت في التاريخ القديم وتطابقها مع تسميات الشعوب المعاصرة لأجل الحصول على مصدر الشعب القائم، وما يتعلق بشأننا فأن التسمية الأيزيدية وردت في التاريخ القديم متمثلة بمعبد أيزيدا البابلي والذي كان مخصصا" لعقيدة الإله نابو فضلا" عن العديد من المصادر التاريخية الأخرى التي توثق وجود الشعب الأيزيدي قديما" في أرض وادي الرافدين ، فلو مضينا إلى المفهوم الذي صاغه علماء التاريخ المعاصرين فهذا ينتج لنا بأن الشعب الأيزيدي منتمي إلى الحضارة البابلية أو بالأحرى هو يعتبر ذرية الشعب البابلي، لكن، لا أسعى للتوقف عند هذا الدليل الدامغ و الذي يؤكد قدم التاريخ الأيزيدي وانتماؤه الحضاري والعضوي إلى الشعب البابلي بل سأعمل على إبراز كل المقومات التي تتوفر لدى الهوية الأيزيدية المعاصرة بمجالاتها الفكرية والتراثية والإثنية والدينية والاجتماعية واللغوية والأنثربولوجية وغيرها التي تتطابق بمضامينها ومحتوياتها ووقائعها مع موروثات الحضارة السومرية والبابلية، هذا التطابق أو المشتركات ما بين السلف والخلف دليل على مدى عراقة شعبنا وإثراء لمشروع الهوية الأيزيدية المعاصرة.

المحور الأول

دور المعابد في بلاد ما بين النهرين

[٣٨]إن ظهور المعبد كمؤسسة دينية لم يحدث إلا في القسم الشمالي من العراق وفي حدود منتصف الألف الخامس قبل الميلاد أي منذ بداية سكنى القسم الجنوبي من العراق ، وظهور المعبد كان مرتبطا" أيضا بنجاح فكرة تقديس العوامل الطبيعية، ومادام المعبد كان يمثل منذ بدايته مركزا" للمدينة ومادامت النصوص المسمارية قد بينت ان الحكم في العراق القديم خلال الألف الرابع قبل الميلاد كان حكما" دينيا" أيضا فان هاتين الناحيتين تؤكدان على ان المعبد في مراحله الأولى لم يستخدم للأغراض الدينية الصرفة فقط وإنما للمهام الأخرى التي يحتاج إليها الحكم الديني والمجتمعي معا".

[٣٩]كان المعبد جوهر الحياة في مدن بلاد ما بين النهرين والتعبير عن " روح المجتمع " سواء كان في مدينة أو بلدة أو قرية، وكان المعبد يدين للمجتمع بوجوده ولذا كانت معاييره في صعود، عندما كانت المدن تتعايش على أساس المساواة التقريبية احتفظت آلهتها بشخصياتها المستقلة رغم أن الآلهة كانت تتبادل زيارات المدن في الأساطير وفي الرحلات الطقوسية، ولكن مع مرور الزمن أصبحت المدن تابعة لوحدات أكبر وأصبح لكل مدينة تابعة معبد لإلهها في العاصمة في حين حلت آلهة أقوى في مدن مجاورة محل الكثير من الآلهة المحلية ولم يعد يسمع بها ، وبمرور الزمن أدت عملية التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة إلى بقاء عدد ضئيل من الآلهة وتم الاعتراف بهم اعترافا" عاما" في أنحاء بلاد ما بين النهرين، كانت أحدى نتائج عملية التحالف، ان الروابط المحلية لكل إله كانت تختفي تدريجيا" ليحل محلها تأكيد أشد على تخصص الإله وطورت الآلهة الرئيسة سماتها الخاصة بطريقة مختلفة عن المفاهيم المؤلفة.

---

[٣٨] (حضارة العراق - الجزء الأول - د. فوزي رشيد - ص١٨٥،١٨٤، ١٨٦).

[٣٩] (حضارة العراق وآثاره - نيكولاس بوستغيت – ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي - ص٢٠).

[٤٠]ظهرت المعابد باعتبارها مؤسسة دينية، بل وأول مؤسسة اجتماعية عامة في بلاد وادي الرافدين في حدود ٥٠٠٠ ق.م، وشكّلت مركز الحياة الحضارية فيها ومحور التجمعات السكانية، وهناك أدلة مقنعة على أن القوامين على المعابد كانوا أقدم حكام المجتمعات المتحضرة في وادي الرافدين، وكان المعبد هو المحور الذي تدور حوله النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، ومثّل المعبد طوال مسيرة حضارة وادي الرافدين أحد قطبين رئيسين في النظام الاجتماعي - الاقتصادي - السياسي ، فبالإضافة لكونه مركزا" دينيا" تقام فيه الطقوس والشعائر من احتفالات ومناسبات دينية بما في ذلك إقامة الصلوات وتقديم النذور والقرابين، كذلك كان مركزا" اقتصاديا" واجتماعيا" فعالا" مارس دورا" جوهريا" في الحياة العامة وبلغت هذه الممارسة قمتها في عصر فجر السلالات، ولما كانت المدينة ملكا" للإله الحامي، والمعبد هو الوسيط بين الإله والناس، عليه يفترض ان المعبد مارس دور راعي ممتلكات المدينة من أراض وبساتين لصالح إله المدينة الحامي قبل أن يظهر الملك في فترة لاحقة، وهذا ما دفع بعض الباحثين الأثريين إلى الاعتقاد بان المعبد كان يمتلك جميع أراضي المدينة في العصور المبكرة، وكان السكان على الدوام رهن إشارة المعبد، هذا علاوة على مساهمات المعبد الاجتماعية : فض المنازعات بين الناس، ضمان شرعية العقود، السيطرة على نسبة الفوائد بمنح القروض بفائدة محدودة أو بدون فائدة أحيانا"، قبول الودائع والأمانات، والمساهمة في بعض الإجراءات القضائية أو المحاكمات وبضمنها ما يعرف (بالاختبار النهري)، فضلا" عن اعتراف شريعة حمورابي بالدور الاجتماعي للمعبد، يضاف إلى ذلك ان المعبد كان مركزا" ثقافيا" كهنوتيا" يتعلم فيه الكهنة والكتبة وتحفظ فيه مختلف النصوص الأدبية والدينية والعقود التجارية، وبذلك أصبحت المؤسسة الدينية لحضارة وادي الرافدين أول مدرسة تعليمية في تاريخ البشرية، ورغم التغييرات المختلفة التي حصلت في مكانة المعبد من حيث زيادة أو انكماش أهميته بالعلاقة مع القصر، فقد ظل أحد ركنين أساسيين في صرح النظام الاجتماعي على مدى كافة عهود حضارة وادي الرافدين، وكانت أحدى أكثر واجبات الملك قدسية هي بناء المعابد وترميمها، إلا ان بناء المعبد لم يكن قرارا" اعتباطيا" يتخذه الملك كيفما يشاء، بل كان ينبع من طقوس محددة

[٤٠] (حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - د. عبد الوهاب رشيد حميد - ٩٤ ،٩٥ ،٩٦ ، ٩٧ ، ١٣٢).

تتحقق في حالات خاصة تظهر بشأنها "علامات إلهية " كما في حلم للملك يفسره الكاهن الأعلى أنه أمر من الإله لبناء المعبد، وكان الملك على رأس الكهنة باعتباره ممثل الإله أو نائبه، ولأنه غير قادر على أداء كافة المهام الدينية لذلك يختار بديلا" عنه (الكاهن الأعظم) الذي يتربع على عرش المعبد، وأيضا ضم المعبد أصنافا" متعددة من الكهان والكاهنات للقيام بالطقوس التعبدية والأشراف على شؤون المعبد الإدارية والاقتصادية ، وشكل أعضاء المعبد من الرجال والنساء مجتمعا" خاصا" قائما" بذاته - أو دولة داخل دولة - له قوانينه وحقوقه وواجباته وتقاليده وموارده الناجمة عن عوائد حقوله وورشه وأعماله التجارية والودائع، علاوة على عوائد المحراب : الهدايا والتبرعات والقرابين، وكان المعبد يتمتع بدور مؤثر في تقرير شؤون الدولة والحياة الخاصة لكل الناس، وقد ظل المعبد يحتل مركزا" اقتصاديا" - اجتماعيا" محوريا" في فكر وحياة المجتمع.

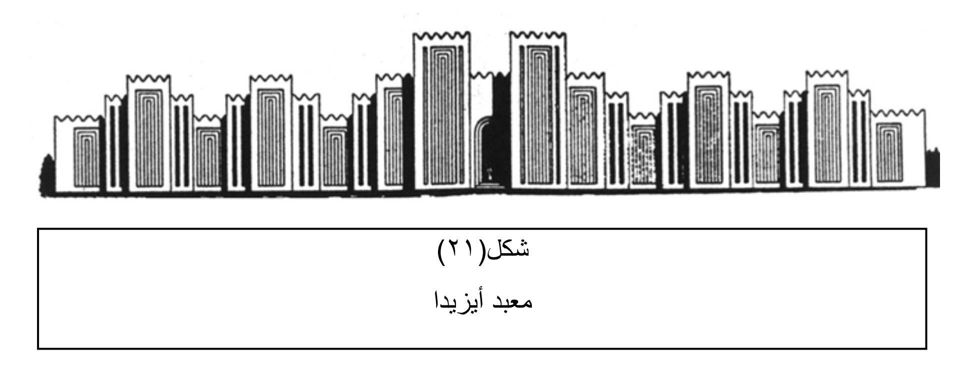
[٤١]إن المعابد قد احتضنت أولى أنواع المدارس في التاريخ وأستمر اهتمامها بشؤون التعليم عبر جميع مراحل الحضارة العراقية ولكن هذا الاهتمام تعاظم منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، إذ ان هذا التاريخ يمثل مرحلة انتقال الحكم من يد السلطة الدينية إلى يد السلطة السياسية ومن أجل أن تبقى هيمنة السلطة الدينية على المجتمع فقد اهتمت بالتعليم لنشر تعاليمها الدينية من جهة ولاستقطاب الناس إليها من الجهة الأخرى ، وكانت المدارس في العصور المبكرة جزءا" ملحقا" بالمعابد وهي أشبه ما تكون بمؤسسة دينية لتدريب الكهنة والأشخاص الذين يلتحقون بوظائف الكتبة في خدمة المعابد والقصور غير انه بمرور الزمن ونتيجة لانتشار الكتابة والمعارف والعلوم انتشرت المدارس بشكل واسع خاصة في بداية الألف الثاني قبل الميلاد، أي في العهد البابلي القديم حيث ظهرت المدارس الرسمية التي كانت تحت إشراف الدولة والمعبد أيضا، والكهنة هم الأجهزة التي كانت تدير شؤون المعابد في العراق القديم وإدارة أي جهاز لابد وأن تتضمن مواقع عمل مختلفة ولكل موقع من هذه المواقع شخص أو أكثر يقوم بتشغيله وبناء على هذه الحقيقة فعلينا أن نعلم مقدما" بأن الكهنة كانوا أيضا على درجات وكل حسب موقع ونوعية عمله، ودرجات الكهنة هي : الآين (= انيتوم واينتوم)، ناديتوم، شوكويتم، قادشتوم، كولماشيتوم، شانكوم، اشيبوم، لوماخم، كودايشوم ونيشاكوم، باشيشوم، ناروم وكالوم، باروم.

[٤١] (حضارة العراق - الجزء الأول- د. فوزي رشيد - ص ١٨٨، ١٩٠).

المحور الثاني

معبد أيزيدا [42]

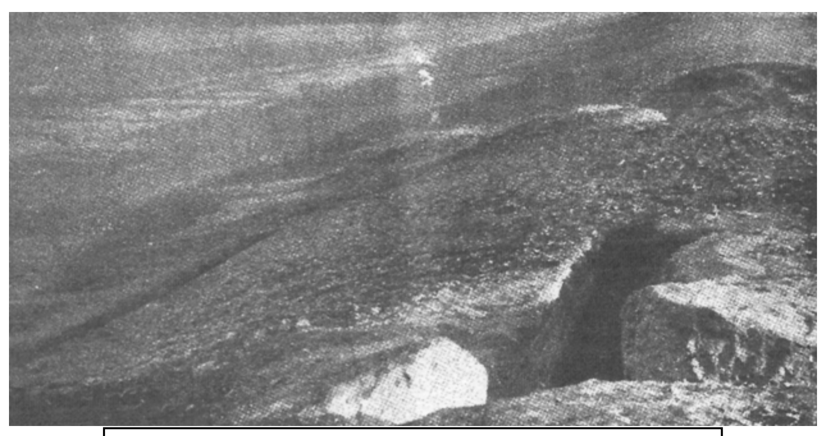
كان معبد أيزيدا مخصصا" لتأدية المعتقدات والعادات والتقاليد الخاصة بعقيدة الإله نابو في مدينة بورسيبا التي هي مدينة بابلية قديمة، تقع جنوب غربها وربها الحامي هو نابو، وقد ساعدها قربها من العاصمة، بابل، على أن تصبح مركزاً دينيا ً هاما ً وقد أعاد حمورابي (حكم في الفترة ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م.) بناء معبد أيزيدا، في بورسيبا، وأعتبر الملوك اللاحقون نابو إلها ً لأيزيدا، خلال فترة حكم نبوخذنصّر (٦٠٤ - ٥٦٤) بلغت بورسيبا أوج ازدهارها، ودمر الملك الاخميني احشورش الأول بورسيبا في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد.



شكل(٢١)

معبد أيزيدا

[42] (كل الأشكال التي وردت في هذا المحور والتي تتعلق بمعبد أيزيدا حصرا" تم أخذها من كتاب معابد بابل وبورسيبا - روبرت كولديفاي - ترجمة د. نوال خورشيد سعيد - ص١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩،١١٢ ، ١١٧،١١٣).



شكل(٢٢)
أطلال من أسوار المدينة (بورسيبا) غرب المعبد

[٤٣]بورسيبا عبارة عن خرائب لتلين هما تل إبراهيم الخليل وتل بيرص، فالتل الأول يغطي المنطقة السكنية القديمة والتل الثاني يغطي بقايا منطقة المعبد الكبيرة التي بنيت بالأجر، وبورسيبا تقع على نهر الفرات وكان يقوم فيها معبده الذي يسمى (أيزيدا) كما كانت هناك معابد حملت هذه التسمية في نينوى وكالح وآشور ، وكانت أبرز صفات نابو هي صفة الحكمة فهو الحكيم الكامل المعرفة وهو يضم في شخصه حكمة جميع الآلهة، وقد أخذ نابو مكانته في النظام باعتباره ابنا" لمردوخ، وقد بلغ الأمر أن منح نابو هيكلا" في إيساكيلا في بابل أطلق عليه أسم أيزيدا أيضا، نابو كان إلها" يرعى البشرية بحكمته وبرعايته للأحوال المعاشية ولذلك كان إلها" شعبيا "يعبده الناس حبا" بصفاته الإنسانية لا إلها" تفرضه الدولة الحاكمة، وفي الحقيقة ان عبادة نابو لم تنحصر ضمن عبادات وادي الرافدين فحسب بل تعدتها إلى مناطق بعيدة في الغرب واننا نجد بعض صفاته لدى الإغريق والرومان في هرمس وفي مركيوري وذلك في حمل الرسائل الإلهية.

[٤٣] (اليزيدية بقايا من دين قديم - جورج حبيب).



شكل(٢٣)

الإله مردوخ

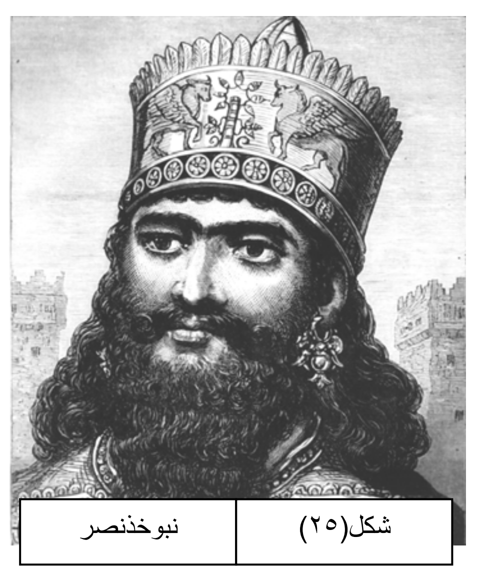


شكل(٢٤)

الإله نابو

[٤٤]يرتبط الإله نابو بالإله مردوخ ارتباطا" وثيقا" وهو إله بورسيبا الذي أشير إلى علاقته بإله مدينة بابل في العهد القديم (أشعيا : الإصحاح، ٤٦:١) نيبو وهو الاسم العبري لنابو وكان نابو لاهوتيا" أبن مردوخ ومرتبطا" به ارتباطا" وثيقا" في أعياد رأس السنة في مدينة بابل، وهناك من يقترح اقتراحا معقولا" مضمونه أنه كما أن مردوخ قد حل محل أنليل في السيادة على مجمع الآلهة، وكما أن أنليل نفسه كان قد أزاح الإله الأعلى آنو إلى الخلف في فترة سابقة ، كذلك كان نابو عندما ماتت الحضارة البابلية أخيرا" إزاء منافسة الأفكار الجديدة من فارس واليونان وفلسطين في موقف ليحل محل مردوخ.

[٤٤] (أساطير الآلهة في بلاد الرافدين - ناجح المعموري ص ١١٩ ،١٢٠).



نبوخذنصر	شكل(٢٥)

[٤٥]هناك أدلة كثيرة على ان المدارس الملحقة بالمعابد أغلبها كانت في المعابد المكرسة لعبادة الإله نابو[٤٦] إله الكتابة والقلم وإله الحكمة والمعرفة وعلى سبيل المثال معبد أيزيدا الذي كان مكرسا" لعبادة الإله نابو في بورسيبا حيث وجدت فيه مجاميع من النصوص المدرسية والنصوص الخاصة بالتراتيم والتراتيل الدينية وغيرها، ومعبد الإله نابو في مدينة نمرود فان معظم النصوص التي عثر عليها كانت من منطقة المعبد أو المنطقة القريبة منه وعلى وجه الخصوص الغرف التي كان يسكنها كتاب المعبد وقد وجدت الرقم مصنفة حسب مواضيعها إلى (٥) أصناف وهي نصوص الفأل ، نصوص خاصة بالفلك، نصوص دينية وتضم التراتيل والتعاويذ والصلوات والأدعية، ونصوص مدرسية قسم منها يضم تأليف أدبية والقسم الآخر نصوص معجمية، ورقم ذات مضامين مختلفة ومن ضمن الرقم رقيم يضم فهرست للرقم المحفوظة مدون عليه مضامين الرقم، ومعبد الإله نابو -شا - خاري في بابل الذي عثر فيه على أكثر من ثلاثة آلاف رقيم طيني ومعظمها نصوص تعليمية.

[٤٧]عثر في معبد أيزيدا على ثلاثة عشر لوحا" من الأجر المنقوش تعود جميعها إلى زمن نبوخذنصر ومعظمها كتب باللغة البابلية القديمة منها الألواح التي تشير إلى مبنى أيزيدا، ومن هذه الألواح :

[٤٥] (حضارة العراق - د. بهيجة خليل إسماعيل - الجزء الاول ص٢٦٤).

[٤٦] (بلاد ما بين النهرين - ل. ديلا بورت - ترجمة محرم كمال - ص٣١٨).

[٤٧] (معابد بابل وبورسيبا - تأليف روبرت كولديفاي - ترجمة الدكتورة نوال خورشيد سعيد - ص١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣).

المخطوطة الاجرية لنبوخذنصر في قاعدة أزيدا وهذه هي ترجمتها حسبما ورد عن ديلتج :

١- أنا نبوخذنصر، ملك بابل، معبود كبار الآلهة، المصلي الصادق.
٢- الذي يساعده مردوخ، الرب الكبير، ربه، ويساعده نابو الابن الأول
٣- حبيب جلالته، الجاد في الوهيتهم، الأبن الحقيقي (اتلبار)
٤- أنا نبوابلام اشمصور ملك بابل وراعي معبدي إيزاكيلا وأيزيدا
٥- أيزيدا ذلك المعبد الحقيقي الذي شيدته في بارسيب وبسور جسيم
٦- من القار و الطابوق المحروق أمرت تطويقه
٧- يا أيها المعبد ؟ خاطب ربي نابو، حدثه عني بأحسن ما تشاء

لوح بخصوص أزيدا وأرضية المعبد (حسبما ورد عن دكتور فايسباخ)

١- أنا نبوخذنصر، ملك بابل، أبن الملك نبوبلاصر ملك بابل
٢- لنابو، لربي، شيدت معبد ازيدا الذي يقع في بارسيبا وبالفضة واللهب والأحجار الثمينة زينت معبده
٣- وجعلت أرضيته مزدانة بالأجر الفاتح، نابو، أيها الرسول السامي، الابن المخلص وحبيب مردوخ
٤- بأوامرك السامية أضرب أعدائي، لأثبت دعائم عرشي، ولأسير بذريتي (بسلالتي)

لوح بخصوص أزيدا وقاعدة اي - الدو - اناكي (حسبما ورد عن ديلتج)

١- أنا نبوخذنصر، ملك بابل وراعي معبدي إيزاكيلا وأزيدا الابن الحقيقي (البار)
٢- أنا نابو - ابلام - اوشور، ملك بابل، أزيدا المعبد الحقيقي في بارسيب
٣- قد شيدت، كما شيدت القاعدة وكذلك مقر الرب السامي نابو في اي - الدو - اناكي
٤- شيدت مقر حكمه (وأقدس قداس) من القار والطابوق وصيرته يضاهي الجبل
٥- نابو، أيها الرب.....،تسلم صنيعة يدي، أعمالي المخلصة، مد في أيامي
٦- لتعمر حكومتي على شفتيك كما تعمر هذه القاعدة

٧- تحت قدميك وبأوامرك
٨- ليطأطئ الأتباع رؤوسهم تحت قدمي

لوح نقوش بلاطة نبوخذنصر في أزيدا

(ا)

١- أنا نبوخذنصر، ملك بابل
٢- أنا ابن نابوبلاصر، ملك بابل
٣- لنيبو، لسيدي، شيدت معبد أزيدا في بورسيبا
٤- من...... البوابة إلى............ البوابة

(ب)

١- من حجرة الأقدار حتى بوابة المدخل (مدخل نيبو ؟)

٢- شيدت " للابن الغفور " لنيبو شارع الموكب، وبقطع الحجارة (؟)

٣- المتأنقة بلطته، نيبو، أيها الوزير المبجل

٤-أمنحني الخلود

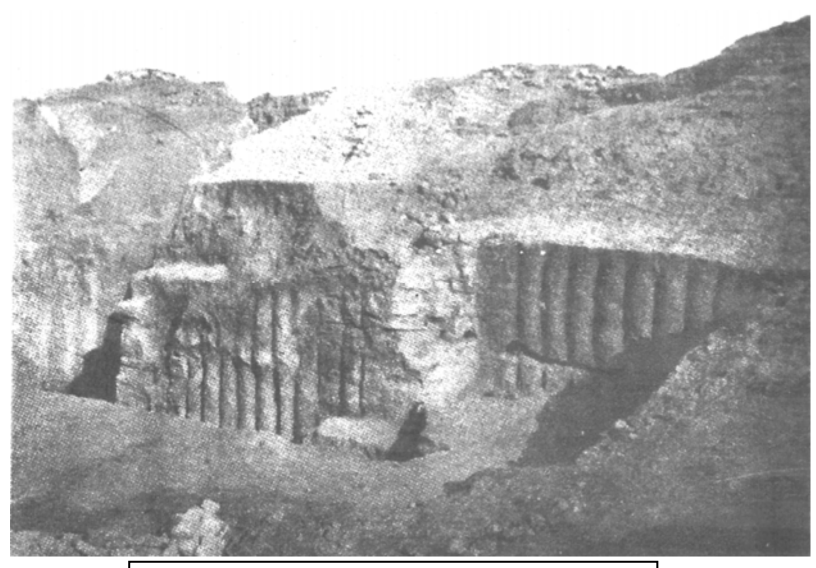
(ج)

١- من............بوابة إلى..... بوابة من حجرة الأقدار
٢- وحتى بوابة المدخل (بوابة مدخل نيبو ؟) شيدت شارع الموكب (؟)
٣- ....
٤- نيبو - أيها الوزير المبجل امنحني (؟) الخلود

[48]لقد تم حفر جزء كبير من معبد أيزيدا في الجهة الشمالية الشرقية وجزء صغير من الجهة الغربية من مبنى الفناء وهذه التنقيبات كافية للسيطرة عما يحيط بالمعبد وبالبرج من الجهات الأربع، وتدلنا الحفريات على وجود مجموعات من غرف متناظرة تحيط كل مجموعة منها بفناء منفرد ثانوي يمكن الدخول إليه فقط بواسطة هذه الغرف، والمنظر الكلي بمجموعه يعطي انطباعا اشبه بفندق أو خان كبير شاهق يضم أعدادا" هائلة من الحجاج الذين يتخذون من الفناء مأوى ويمكن أن تستخدم هذه الغرف في مثل هذه الأماكن المقدسة مخزنا" أو أرشيفا" لحفظ الوثائق أو متحفا" لحفظ النفائس، وقد بني السور الخارجي للمعبد على الطريقة التقليدية التي تتميز بقلة عمدها المزخرفة بالأخاديد وفي السور وسط الأجر المحروق والإسفلت يوجد مكانان لورود الماء أشبه بما هو موجود في معبد نينيب، وهناك مدخل كبير يؤدي إلى الجزء الواقع بين المعبد والزقورة ومدخل آخر يؤدي إلى الساحة الخارجية للفناء أسوة بما هو موجود في ساحة ايتمنانكي الواقعة عند البوابة الشمالية الغربية من المعبد. إن الشارع المبلط بالأجر يمتد إلى الجهة الشمالية الغربية وينتهي عند بوابة صغيرة ولابد أن تكون هنا منطقة أخرى متصلة لا نستطيع تحديد موقعها على وجه الدقة فهي ليست بالسور الذي يحيط بالمدينة ذلك ان أطلال السور المحيط بالمدينة تقع بعيدة إلى الخارج في الجهة الغربية وهو ما يزال بحالة جيدة. إن هذا المبنى هو سور متين من الطوب، ذو أبراج تقليدية ما تزال أطلالها قائمة على هيئة سد منيع يرتفع من الأرض عاليا" ويعتقد البعض إنه بالإمكان العثور على حفر مائية في الأراضي المنخفضة المجاورة.

---

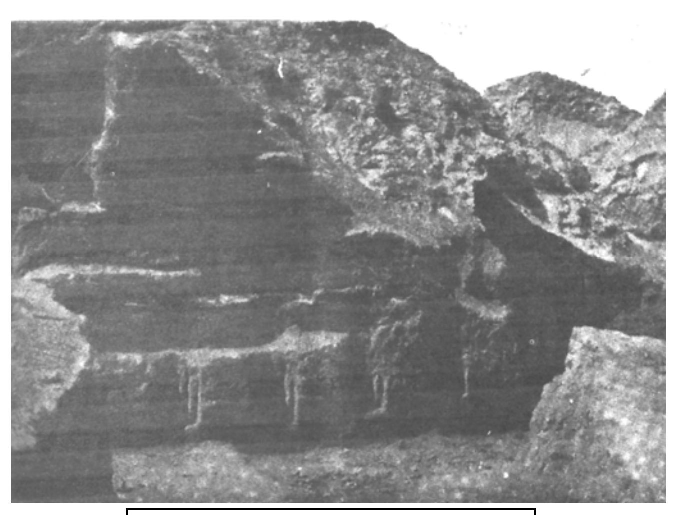
[48] (معابد بابل وبورسيبا - روبرت كولديفاي - ترجمة الدكتورة نوال خورشيد سعيد - ص ١٠٤ ، ١١٧).



شكل(٢٦)
البوابة الشمالية الغربية لمعبد أزيدا

إن للمعبد بوابتين أخريين هي البوابة الرئيسية التي تقع على الجانب الشمالي الغربي المعروف بواجهة برجه الفخمة وبوابة ثانية هي بوابة الخروج أي الكائنة إلى الخلف على الجهة الجنوبية الشرقية قبالة الزقورة، أما فتحات الأبواب في الركن الشمالي فيبدو أنها تمثل مجرى لقناة كانت قائمة هناك في وقت ما. إن البوابة الرئيسية ترينا قبل كل شيء البرج الرئيسي الشامخ ذا الأخاديد الخماسية المزدوجة إذ يقع هذا البرج عند المدخل الثاني ويتصل به صحنان أو باحتان مدرجتان متساويتان فيهما سبعة قضبان مستديرة ثم يأتي بعد ذلك صحن آخر ضيق له أخدودان مدرجان ومن أخرى يلي صحن آخر يشتمل أيضا على أعمدة قضبانية ويبدو وكأن هذه الصحون أو الباجات ترتبط الواحدة بالأخرى بصورة متساوية ومستمرة حتى تبلغ الركن الشمالي. إن هذا التقسيم ينتظم عمقا" وعرضا" ويساور المشاهد بعض الشك فيما يتعلق بارتفاعات هذه الصحون كما هو شأن أبراج المعابد الأخرى إذ لم يعرف ما إذا كانت هذه الصحون ترتفع الواحدة على الأخرى أم انها متساوية في ارتفاعاتها كأسنان المنشار والاحتمال الأول يبدو هنا وكأنه اقرب إلى الحقيقة ذلك لأن الارتفاعات تتصاعد بأسلوب رائع حتى تصل البوابة، أما الجهة الشمالية الغربية فتختلف عن غيرها إذ يوجد هنا على جانبي كل

برج رئيسي سباعي القضبان لبرج رفيع ذو أخدودين كما أن الضمور الكائن بين البرجين يشتمل مرة أخرى على سبعة قضبان مستديرة. إن أبراج البوابة تتميز بنتوءاتها الضخمة القوية إلى جانب قضيبين منفردين آخرين، وفي الجهة الجنوبية الغربية حيث توجد البوابة التي تؤدي إلى الزقورة تم حفر الأخدودين الأولين فقط وأستغني عن الأخاديد الأخرى وذلك بسبب ارتفاع مواد الردم، ومن المدخل الرئيسي يتقدم المرء إلى القاعة أو الردهة ومن هنا إلى الفناء الرئيسـ‍ـــــــــي الكبير



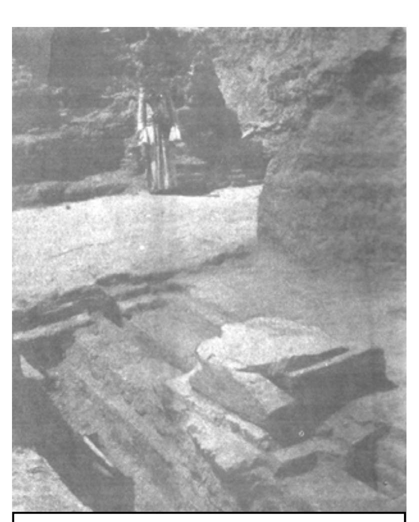
شكل(٢٧)

بوابة غرفة القداس عند الفناء

والذي تقسم سوره حسب الطريقة التقليدية أبراج زخرفية كما يزين المنطقة الواقعة بين كل بابين بروزات على شكل أخاديد وبين هذين البروزين يوجد جدار عليه سبعة قضبان كما أن المدخل الذي يقع قبالة الردهة أو الممر والذي يؤدي إلى غرفة القداس الرئيسية يبرز إلى الأمام بصورة جلية وذلك بسبب الجبهة ذات الأبراج الناتئة التي تزينها أخاديد زوجية خماسية مدرجة ويستطيع المرء أن يرى بوضوح بين سوف الطوب آثار بيضاء هي بقايا مواقع الحلفاء التي كانت توضع بعد كل ثمانية أو تسعة سوف من الأجر ومن هذه البوابة أيضا يدخل المرء إلى ثلاث غرف متعاقبة ومتكافئة والتي يوجد في داخل كل منها مشكاة مع قاعدة أمامية وهذه الغرف الثلاث لها مهام وطابع غرفة القداس ويكاد يكون ارتفاع كل مشكاة بارتفاع رجل وعلى جانبي كل منها مشكاتان صغيرتان تغطيهما عند

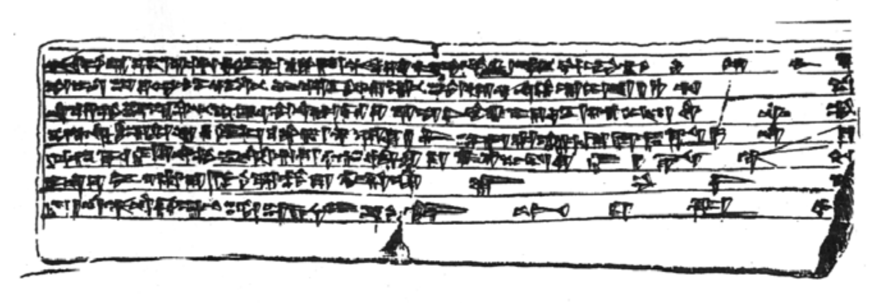
الأعلى ألواح أو مساند خشبية وفي غرفة قدس الأقداس الكائنة على الجهة اليمنى يوجد بئر مسيج رباعي الشكل يقع أمام المشكاة الصغيرة ويشتمل هذا البئر كما هو مألوف على حفر جانبية هي مواطئ قدم تسهل مهمة النزول إليه والذي يدعو إلى الغرابة، هو ان القاعدة التي توجد في غرفة القداس تمتد على عرض الغرفة بأكملها حتى تصل إلى الباب وتتصل بها مباشرة أرضية سميكة تتكون من عدة طبقات مطلية بالإسفلت كما هو شأن القاعدة المذكورة. إن بناء أو تشييد القاعدة لم يكن قد جرى حسب الطريقة التقليدية المألوفة وهي إن السوف السفلى للقاعدة تكاد مساحتها تساوي أو تزيد قليلا على سطحها العلوي في حين نرى غن القاعدة آنفة الذكر قد بنيت على العكس من ذلك أي ان الأسلوب الذي أتبع في تشييدها يختلف كليا" عما هو مألوف إذ أن السوف تتضاءل أو تصغر كلما نظرنا إلى الأسفل حتى تبدو كتلة القاعدة المصنوعة من الأجر المحروق والمطلي بالإسفلت وكأنها مسمار رأسه إلى الأعلى وقاعدته مثبتة نحو الأسفل وقد عثر لدى إجراء عمليات التنقيب في السور الجبار وعلى عمق ٢،٥ مترا" تحت سطح الأرض عثر على كبسولة أو محفظة في داخلها رجل من الفخار يرجع تاريخه إلى ما قبل ٢٥٠٠ سنة إلا أنه قد أصابه التشويه بسبب هذه السنين الطويلة ولم يبق من هذا التمثال الفخاري سوى عصاه الذهبية مع إشارة صغيرة فضية وبعض النحوت الزخرفية التي تمثل ثلاثة من الموسيقيين وكل هذه على ما يبدو كانت متدلية من الحزام وقد تهاوت جميعها فوق أكوام الفخار الكائنة في هذه الكبسولة أو المحفظة، وفي القاعدة عثر على ثلاثة عشر لوحا" من الأجر المنقوش تعود جميعها إلى زمن نبوخنصر ومعظمها كتب باللغة القديمة منها الألواح التي تحمل الأرقام التالية (٢٣ - ١٤ - ١٣ - ١٢ - ١٠ - ٨ - ٤ - ٢١٢٠٣) وهي تشير إلى مبنى أيزيدا والكيسو المحيط بالمبنى وهناك لوح واحد يحمل الرقم (٢١٢١٩) كتب باللغة البابلية الحديثة ويشير هذا أيضا إلى مبنى أيزيدا إلى جانب التبليط وهناك لوح آخر عليه نقوش بابلية قديمة يشير إلى مبنى أيزيدا وكذلك إلى تشييد القاعدة الكائنة في غرفة القداس التي يقترن اسمها مع أي الد واناكي وتتكرر نصوص ثلاثة من هذه الألواح بأسلوب غريب إذ تشير إلى ما هو مكتوب على السور الذي يحيط بقبر نبوخذنصر أما اللوح الذي يحمل الرقم ٢١٢١٦ فقد حفر عليه بآلة حادة ربما بمعول حاد بحيث تشوهت كتابته ويفتقد اللوح رقم ٢١٢٠٧ كلمة مهمة هي (imgur- bel) ويصح الاعتقاد ان تكون الكلمة المفقودة هي " مجلس " في حين أن الكتابة على لوح رقم ٢١٢١٥ تكاد تكون بحالة جيدة وليس لهذه القاعدة

علاقة مع(imgur- bel) ولا مع السور الذي يحيط بقبره، ومن الركن الجنوبي الشرقي للفناء الرئيسي يستطيع المرء أن يصل إلى فناء مجاور هو فناء سي الذي تقع على جبهته الجنوبية الغربية جبهة البرج لغرفة القداس الثانية مع غرفة أمامية وغرفة قدس الأقداس. إن أسوار الفناء مقسمة بشكل بحيث يقع بين كل بابين برجان بأخاديد مع ضمور تتخلله قضبان أو ما يشبه القضبان وتشتمل أبراج البوابة كذلك على أعمال قصبية. إن القاعدة التي تقع في غرفة القداس الأمامية صخرة مكعبة الشكل مثلومة من الأعلى يعتقد أنها كانت تمثل المحراب وعليها بقايا من نقوش تعود إلى زمن نبوخذنصر والغريب في الأمر هو أن هناك قناة تمر عند غرفة القداس الأمامية وكـــذلك عنـــد غرفــة القداس الرئيسية الكائنة في الفناء ثم تتجه صوب القاعدة إذ تنتهي عندها فجأة وتقع فوق هذه القناة الصخرة الأنفة الذكر، ولما كان من المتعذر إجراء تحويلة في مجرى الماء لذا فقد ارتأوا أن ينقل سائل القربان بواسطة هذه القناة عبر الفناة إلى حجرة الآلهة كما انه ليس من الضروري أن يكون سائل القربان هذا دما" وقد عثر هنا على قطعة كودورو جميلة (الكودورو وثيقة خاصة تشير إلى نقل أو تسليف ملكية ما إلى شخص آخر كانت تستعمل في العصور البابلية الوسطى القديمة)، يوجد في الركن الغربي من الفناء الرئيس مدخل يؤدي إلى الجناح الجانبي الذي يتكون بدوره من فناء صغير تحيطه غرف من جوانبه كافة وعلى جدرانه وبين كل بابين يوجد ما يشبه القضبان الناتئة أو الأعمال القصبية الناتئة والتي تبرز إلى الخارج وبصورة خاصة عند الباب الرئيسي، وعلى الجانب الجنوبي الغربي لهذا الفناء الصغير توجد حجرة أمام بابها مشكاة منبسطة وليس أمام هذه المشكاة قاعدة كما هو الأسلوب التقليدي المعروف وتناظر المشكاة هذه تلك الموجودة في غرفة قدس القداس الرئيسية بمكشاتيها الصغيرتين الجانبيتين ويشكل هذا المجمع المغلق جزءا" مستقلا" أو ما يشبه المعبد الجانبي لما له من طابع خاص، كما يستطيع المرء أن يصل إلى البوابة الشمالية الغربية في منتصف الجهة الشمالية الغربية

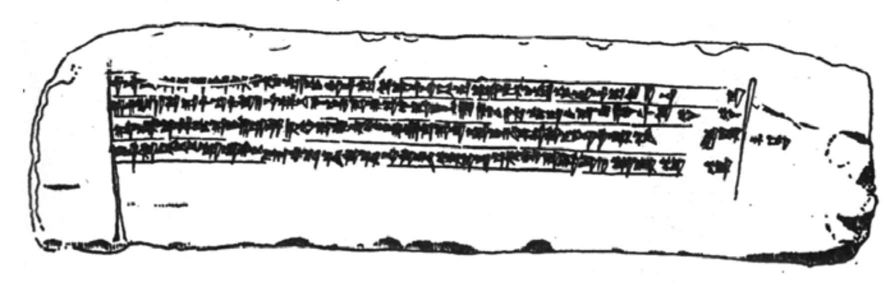


شكل(٢٨) نظرة الى باب القداس عند الفناء الجنوبي الشرقي

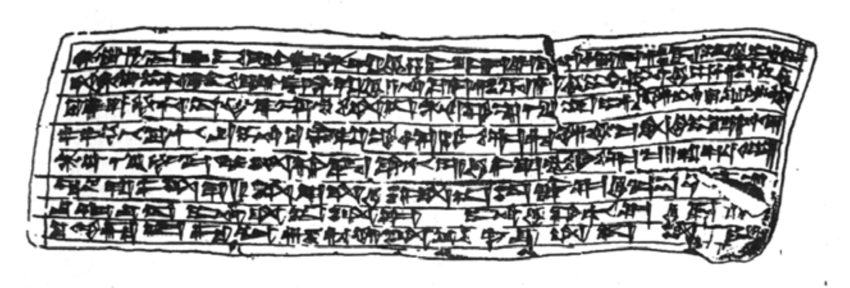
للفناء الرئيسي عبر ردهتين مربعتي الشكل متجاورتين وعند هذه البوابة توجد بضع سلالم من أحجار الكلس الرباعية وصخور (بلوكات) من حجر التورمينا بندا التي تتكرر على سطحيها الكتابة نفسها أو النصوص التي تشير إلى ان نبوخذنصرقد قام بتبليط الطرق بين البوابات الثلاث وبين غرفة القداس بقطع صخرية وتحمل أحجار التورمينا بندا وهذه البوابات الثلاث المشار إليها هي بكل تأكيد بوابات المعبد الثلاثة والتي يتعذر تحديد كل منها على أنفراد، وبالطريقة نفسها فقد تم العثور في المدخل الجنوبي الغربي أي لوح ١٦ على صخور التورمينا بندا أيضا المنقوشة بالأسلوب نفسه وهنا ايضا وعلى الجهة الداخلية لبوابة الممر تم تشخيص آثار لنصوص برونزية مكتوبة في عمودين سبق لرسام أن أنتزعهما من عتبة الباب البرونزية، والمعبد بأفنيته المتعددة ماهو إلا تدرج ضروري لفكرة المعبد ذي الفناء الواحد ويمكن مشاهدة هذا التدرج أيضا في الزخرفة الجدارية وأما المواضع المستعملة في الزخرفة فهي في الغالب بسيطة وتتكرر بصورة مستمرة، أما أطر الأبواب والأبراج الزخرفية للجهات الخارجية والأبراج الأخدودية في جبهة غرفة القداس فتتضاعف مرتين ماعدا جبهة البرج عند المدخل الرئيسي إذ تتكرر أكثر من مرتين وهناك أيضا على سطوح الجدران أعمال قصبية أو قضبانية نصف دائرية والتي تخلو منها في الغالب أبراج المعابد الصغيرة ، ويضاهي هذا المعبد في انسيابه معبد ننماخ، ويحيط بالمبنى سور الكيسو الذي شيد فيما بعد من الأجر المحروق وتناظر كافة بروزاته وزخارفه الأخدودية وقضبانه ما هو موجود في المعبد نفسه وما يزال جزء هذا الكيسو الكائن في الجبهة الشمالية الغربية بحالة جيدة وقد تم رفع سطح الأرض قليلا" ابان تشييده كما هو واضح عند المداخل وهناك ميزة ثالثة يتميز بها المعبد بالإضافة إلى ما تقدم وهو التحديد الذي حدث للمبنى والذي تشير إليه ألواح نبوخذنصر ومن خلفه ويعني بالتجديد هنا العملية الجسيمة لرفع سطح أرض المعبد حتى بلغ مستوى أهملته حفريات رسام كليا، لقد روعي في تشييد المعبد ان يكون المبنى فوق أرض مرتفعة أشبه بالشرفة بحيث تغطي جدرانه المنحدرة بشدة إلى حد ما الجزء القديم من الكيسو وقد شيد هذا الانحدار من الأجر المحروق كما شيد السور الخلفي من كسر الأجر وقد تم العثور على بعض هذه الكسر في الجبهة الشمالية الغربية ، أما معالم أسوار المعبد فتدنو إلى حد ما نحو الداخل ويضم هذا المبنى الضخم أيضا سورا" خلفيا" من الطوب يمتد عبر الغرفة الكائنة



ختم نبوخذنصر (رقم ٢١٢٠٤) مع نقوش
كتابية من معبد أزيدا وسور الكيسو ½ الحجم الطبيعي .



ختم نبوخذنصر (رقم ٢١٢١٩) مع نقوش
كتابية من معبد أزيدا والارضية ½ الحجم الطبيعي .



ختم نبوخذنصر (رقم ٢١٢١٢) مع نقوش
كتابية عن معبد أزيدا والقاعدة (DU) ½ الحجم الطبيعي .

شكل(٢٩)

على الجهة الشمالية الغربية وقد عثر في المبنى العلوي على قطع من الأجر الملون بالميناء وعليها نقوش لأسود وزخارف منبسطة قليلة الارتفاع تشبه ما هو موجود في بابل إلا أنها سطحية وأقل دقة وتنتشر هذه الرسوم فوق الأطلال والخرائب في حين انه لم يعثر في الموقع أو السيتو ذلك لان سوف الستو كما يبدو

كانت مرتفعة ولم يبق من خرائبه ما هو في حالة جيدة وترجع الآثار على البوابة الرئيسية في الجهة الشمالية الغربية إلى المبنى الذي تم تجديده فيما بعد وهنا أيضا تخترق الحفر التي كانت في وقت ما تضم السور المنحدر تخترق بصورة مائلة البروزات والنتوءات الكائنة على الجدار الطيني .



شكل(٣٠)

منظر مأخوذ من على هضبة البرج تمثل اطلال معبد أزيدا

المحور الثالث

خلاصة المبحث

رأينا وقائع المحورين وما يرافقهما من الرونق والمعنى، الوقائع التي رفضت الاعتبارات الماورائية واقتربت من المنهجية، كانت القيم والقواعد العقائدية للمعابد الدينية في بلاد وادي الرافدين من الأساسيات التي أرتكز عليها الإنسان الأيزيدي بدءا" من معبد أيزيدا وإلى يومنا هذا ولعب أدواره الإيجابية في تلك المسيرة الزمنية الشاقة والتي تمخضت عنها أفكار ومسارات أصبحت اليوم أجندات حضارية مباركة نتعكز عليها ونعتبرها في جوهر مشاريعنا الآنية والمستقبلية ناهيك من أحكامها الصارمة والتي ستدخل في حيز حل قضايا الوضع الإنساني والاجتماعي والسياسي و الفكري والاقتصادي للمجتمع الأيزيدي، هذه السمات وغيرها ستسهم بصورة إيجابية وفعالية عالية في تعضيد الأدوار التي سيقوم بها الإنسان الأيزيدي إزاء المشروع القومي الأيزيدي وسيطبق ضمن آلياتها العملية الأسلوب الصحيح والطرح المنهجي في حل الأزمات الانتقالية المضطربة التي ستواجه المشروع المرتقب ان وجدت، تسلح الإنسان الأيزيدي بهذه المبادئ سيدفع بالمسيرة الأيزيدية إلى تخطي أشواط بارزة وهامة ستتمخض من خلالها ظاهرة الانسجام المجتمعي والتي بدورها ستتجاوز عن المظاهر والوقائع المترددة وتساعد في كفاح المجتمع إزاء قضاياه الرافدينية المنشودة، ومما لا شك فيه ان انفراد الشعب الأيزيدي بتجلياته وأجنداته نابع من القوة المطلقة التي تحرك أحاسيسه وشعوره من أجل أن تسود قاعدة المجتمع الاجتماعية والدينية السلوك الإنساني والأخلاقي من جانب، ومن الجانب الآخر لتبث المعاني البطولية والشعور بالمسؤولية لأصحاب القضية الأيزيدية العادلة إزاء المشروع القومي الأيزيدي، هذه الغاية النبيلة ستطغى على الهياكل العملية ومضامينها التي ستولّد الأفكار الصحيحة و الموضوعية إزاء أثبات دعائم المجتمع الأيزيدي بالدروس الإيجابية التي أخذت عن مراحل وأدوار بلاد ما بين النهرين بغية ضمان الاستمرارية في التحكم بمجريات الأحداث الآنية والمستقبلية التي توجه ذاتنا بالطرق التي تليق باسم الأيزيدية .

تاريخ الشعب الأيزيدي يبدأ من نقطة انطلاق معبد أيزيدا، هذا المعبد لعب دوره المهم في بناء الصلات الوثيقة والروابط المتينة ما بين أبناء المجتمع الأيزيدي الواحد فضلا" عن أدائه الدور الريادي و القاضي بتدبير شؤون الأشراف على الدور الأخلاقي والإنساني والنهضوي والتقدمي للمجتمع مع فرض دعائم التطور الحضاري ومنح مفهوم القدرة الانضباطية المتميزة في أداء الأمور بالنسبة لعناصره ، كما كان المعبد يمثل روح المجتمع الأيزيدي من ناحية التعليم وفي كثير من الأمور والجوانب الحياتية الأخرى كالمسائل الاقتصادية والسياسية فضلا" عن ما كان يتمتع به الكهنة والقائمون على مرافق المعبد من قيم مجتمعية فوقية كانت تفوق ما كان يتمتع به عامة سكان المجتمع، لا يمكن تجاهل هذا الترابط الفعلي ما بين معبد أيزيدا والشعب الأيزيدي، المضمون واحد و التسمية واحدة، مضمون معبد أيزيدا أو أهدافه بصورة أوضح كانت تتمثل بالعديد من الأركان الأساسية، وسأعمل على سرد مقارنة مختصرة بين معبد أيزيدا والشعب الأيزيدي بصدد عدد من الركائز :

- معبد أيزيدا كان قائما" لأداء مهام معتقد ديني متمثل بعقيدة الإله نابو، أما الشعب الأيزيدي فهو أيضا لديه معتقد ديني متمثل بالديانة الأيزيدية التي تؤمن بالله عز وجل وتعتبر طاوسملك ملاكا" يحمي البشرية جمعاء من الشرور والنوائب وقد أكدنا سابقا" بان الإله نابو البابلي وطاوسملك الأيزيدي يتمتعان بشخصية واحدة.
- المعبد حمل تسمية " أيزيدا "، وشعبنا أيضا يحمل تسمية "أيزيدية" .
- كان لمعبد أيزيدا أهم عيد وهو عيد آكيتو (رأس السنة البابلية)، ولشعبنا الأيزيدي أيضا عيده القومي والديني الذي يعتبر من أهم أعياده على الإطلاق وهو عيد آكيتو (رأس السنة الأيزيدية) .
- معبد أيزيدا كان يتبنى المعتقد الديني البابلي وخصوصا" ميثولوجية الخليقة البابلية والتي كانت تسمى ب " انما - الش "، والشعب الأيزيدي أيضا ومن خلال عقيدته الدينية التي تشير وتؤكد بصريح العبارة في أقوالها الدينية بأن لالش يعد أقدس مكان للإنسان الأيزيدي في هذه الدنيا والآخرة فضلا" عن تعاليم الديانة الأيزيدية التي تفرض على كل إنسان أيزيدي زيارة معبد لالش مرة واحدة على أقل تقدير كل عام للحج فيه وأدائه المراسيم والعادات والطقوس الدينية ، و لالش هي كلمة بابلية

تعني " العلا " وهي مستمدة من تسمية " انما الش " البابلية التي تعني ميثولوجية الخليقة البابلية.

- يوم الأربعاء كان يمثل قدسية دينية لمعبد أيزيدا كونه عطلة الأسبوع للمجتمع البابلي، ويوم الأربعاء لدى الشعب الأيزيدي يمثل يوما" مقدسا" فضلا" عن كونه عطلة الأسبوع كما كان معمولا" به في المجتمع البابلي.
- الاهتمام البالغ الذي حظي به معبد أيزيدا في بابل من قبل الملك نبوخذنصر وبقية ملوك بابل قد أسس ركيزة أساسية مفادها لا يمكن فصل ملوك وشعب بابل المؤمن بعقيدة الإله نابو عن معبد أيزيدا، وهذا الانسجام موجود لدى عقيدة الشعب الأيزيدي الدينية وخصوصا" في أركانها التي تشير إلى ان نبوخذنصر وبقية القادة والملوك كانوا أيزيديين، وإلى يومنا هذا تبدي كل شرائح المجتمع الأيزيدي النضال و بكل طاقاتها المتاحة لأجل بقاء المكون الايزيدي ضمن كل وجود قائم.
- ما كان معمولا" به في حضارة وادي الرافدين القديمة هو جلب الحية لحراسة المعابد الدينية وبالتأكيد فقد كان معبد أيزيدا أحد هذه المعابد التي كانت توظف الحية كجزء من حماية معابدها ، و الشعب الأيزيدي ومن خلال معتقده الديني يقدس الحية فضلا" عن وجود رسم الحية على أحد جوانب الباب الرئيسي لمعبد لالش (انظر الشكل رقم "٧") وهذا خير دليل على أن رسم الحية الموجود على الباب الرئيسي للالش هو امتداد لتاريخ آباء وأجداد الأيزيديين في سومر وبابل .
- كهنة معبد أيزيدا كانوا يتوارثون مهنتهم الدينية أبا" عن جد، ورجال الدين الأيزيديين (الشيوخ - الابيار - القوالون - الفقراء) يمتلكون مبدأ الوراثة أبا" عن جد وبحسب ما كان معمولا" به في الديانة البابلية.
- التراتبية الدينية لدى كهنة معبد أيزيدا وبقية المعابد الأخرى كانت من أهم الميزات لدى المعتقد البابلي وهذه التراتبية موجودة لدى العقيدة الدينية للشعب الأيزيدي.
- أيزيدا والأيزيدية يحملان نفس المعنى والمضمون العقائدي .

الاستنتاج الحاصل من المقارنة أعلاه يتضمن ركائز جوهرية لا يمكن تجاهل مضمون أي ركيزة فهي تعتبر بحد ذاتها مشروعا" متكاملا" مستوفيا" شروط البحث بشكل مستقل والذي سيفرز نتاجا" فكريا" وتاريخيا" هائلا"، الركائز المشار إليها قبل قليل هي ليست الكمال بخصوص الخصائص المشتركة ما بين

السلف والخلف وما تم إظهاره من مشتركات يعود إلى المصادر التاريخية المتاحة لنا مع اننا نؤمن بان النسبة الأكبر من الحقائق تجاه التاريخ الأيزيدي ما زالت يخفيها التاريخ ومصادره التي لم تقع في أيدينا لحد الآن ونأمل بالعثور عليها اليوم قبل الغد لإبراز بقية الدلائل المتعلقة بموروثنا الأيزيدي.

إن التجاوز عن مراحل الاستفهام والتساؤل الممل هو محور محاولاتنا للتحرر من التقليد الذي حظي به الوجود الأيزيدي طوال العهود المنصرمة، التقليد المزيف الذي قاد قضايا المجتمع الأيزيدي إزاء متناقضات تقيدت بها حرية واستقلال فكر وعقل الإنسان الأيزيدي، وقد تسبب هذا في ممانعة الذات الأيزيدية للتحرر من العوامل الدخيلة الهدامة وبالسرعة القياسية ، وفي ظل هكذا ظروف سيئة كان ولابد للإنسان الأيزيدي التحرك تجاه خلاص الذات من الوجود التقليدي الزائف و تراكمات الماضي الأليم والتهيؤ للمراحل الأنتقالية التي ستؤول إفرازاتها إلى علو الإنسان الأيزيدي على وضعه وسموه فوقه.

إن المحاولات التي جرت على قدم وساق من قبل بعض الأطراف لتحريف الامتداد التاريخي للشعب الأيزيدي إلى السومريين والبابليين، ولّد فراغا" ساد معظم العهود الزمنية المنصرمة والتي جابهت الإنسان الأيزيدي وملأته تلك الأطراف المناوئة بعوامل دخيلة أربكت مسيرة تقدم المجتمع وأعاقت مراحل نموه الفكري والجغرافي والسكاني ، بفعل هذه الظروف الضيقة تخندق الإنسان الأيزيدي في واقع ميؤوس منه وأصطدم بمفهوم كاد يستحيل عليه الوصول إلى سابق عهوده التاريخية، كما وعاش هذا الكائن البريء في بعض أوقاته وهو يفتقد إلى أي امتداد تاريخي ينضم إليه فضلا" عن عدم تمكنه من التعبير عن ذاته الممتدة إلى قدم التاريخ بسبب مواجهته سيلا" من التعقيدات والعراقيل والتغيرات التي أثقلت على عاتقه بشكل سلبي حال دون إبداء كل ما في داخله من إثباتات وحقائق تاريخية تجاه أرثه ومعتقداته ، سار تيار خفي وفي بعض أوقاته كان يعلن عن ذاته المشؤومة وهو يحاول إلغاء وإفناء وجود الأيزيدية من التاريخ ، وتحت ظل هذه المخاطر والتقلبات تذمر الإنسان الأيزيدي من شبح تلك الظواهر السلبية وبدأ ينحاز بجدية إلى التفكير الجلي بالتحرر من القيود التي كان يرزح تحتها طوال فترات زمنية طويلة ، هذه الدوافع وغيرها جابهت الوجود الأيزيدي القائم وفرضت عليه اليقظة من سباته، مما ولّد على أثر هذا الانطلاق الغريزي أرجحيات وأيديولوجيات عديدة تغلغلت في ذاته وظل يرددها مع نفسه :

- من أي المصادر نشأت التسمية الأيزيدية ؟
- هل هناك علاقة لمعبد أيزيدا بأصل انحدار التسمية الأيزيدية ؟
- هل للكيان الأيزيدي وعناصره وجود في هذه الأرض المباركة ؟
- هل هنالك إثباتات محكمة برزت دعائمها وركائزها المباشرة ومسنودة بحقائق وأساسيات مدونة في التاريخ إزاء وجود الكيان الأيزيدي قبل آلاف السنين وخصوصا" العهود الزمنية التي سبقت التاريخ الميلادي ؟
- هل المصادر التي طرحها أناس غرباء بعيدون عن الحقائق التاريخية يمكن الأتكال عليها أم لا ؟
- هل هنالك كيانات مجتمعية أخرى متمثلة بشعوب اليوم الحاضرة عاصرت الكيان الأيزيدي في قديم التاريخ وأثبتت وجودها التاريخي والإثني بوقتنا الحالي ؟
- هل من ضرورة للتعبير عن الذات الأيزيدية ومقارنتها بالشعوب والإثنيات الحاضرة ؟

هذه التساؤلات وسواها أثرت بشكل سلبي وأفرزت حالة سلبية أدت إلى انكماش دور الإنسان الأيزيدي في إمكانية طرح الأجوبة المصحوبة بالحقائق التاريخية إزاء مصدر نشوء الشعب الأيزيدي وتسميته، بهذه المنعطفات الخجولة أصطدم الإنسان الأيزيدي بواقع نفسي مقلق وغاضب أجبره على القيام بتشخيص هذه الآفات وإعطاء الأدوية المناسبة لها بهدف التقدم في مسيرة معنونة بالهوية الأيزيدية الحرة والمستقلة والهادفة بالعمل من أجل إبراز كل مقوماتها العريقة التي تدعو للرجوع إلى سابق عهودها المضيئة وبحلة عصرية تليق بالموروث الرافديني العريق ومتطلبات الوضع الراهن .

أكدنا سابقا" بأنه توجد علاقة موثقة ما بين الإله نابو البابلي وطاوسملك الأيزيدي ولتسليط الضوء مرة أخرى على هذه العلاقة الوثيقة نذكر أهم المشتركات بينهما والتي هي :

- كوكب عطارد يرمز إلى الإله نابو كما يرمز إلى الملك طاووس.
- يوم الأربعاء هو يوم الإله نابو كما هو يوم الملك طاووس.
- الإله نابو كان إلها" لأيزيدا والملك طاووس هو رئيس الملائكة للأيزيدية.

- انما - الش (أسطورة الخليقة البابلية) كانت تمثل أهم عقيدة للإله نابو، لالش (المعبد الديني الرئيس للشعب الأيزيدي) يمثل أقدس مكان لعقيدة الملك طاووس .
- عيد آكيتو (رأس السنة البابلية) كان يمثل أهم عيد للإله نابو أو يمكن أن نعتبر بأن هذا العيد كان عيد الإله نابو، وعيد آكيتو (رأس السنة الأيزيدية) بدوره يمثل عيد طاوسملك للشعب الأيزيدي.
- كان هناك اعتقاد جوهري للمجتمع البابلي ضمن مراسيم أداء عيد رأس السنة مفاده ان كبير آلهة بابل (الإله مردوخ) يضع مقدرات الأرض بيد الإله نابو طوال السنة القادمة، وهذا الأعتقاد هو سائد إلى يومنا هذا لدى الشعب الأيزيدي الذي بدوره يعتقد بأن الله عز وجل يضع أمور الأرض للعام القادم بيد الملك طاووس في ليلة رأس السنة الأيزيدية.
- التراتبية القدسية متشابهة بين الديانة البابلية و الديانة الأيزيدية، حيث ان الله هو خالق الأرض والسماوات ولا شريك له ولا إله إلا هو ، ويأتي في الدرجة الأدنى طاوسملك الذي هو رئيس الملائكة بالنسبة للديانة الأيزيدية ومن ثم بقية الملائكة والأنبياء والأولياء الصالحين ويمثلون الهرم بالنسبة للقدسية الدينية للإنسان الأيزيدي،وهذه التراتبية القدسية تشبه قدسية الديانة البابلية إزاء الإله مردوخ كونه كبير آلهة بابل ومن ثم الإله نابو وبقية الآلهة الأخرى ، ومن هنا نشير بان الإله نابو وطاوسملك يحملان الترتيب الثاني للقدسية الدينية بالنسبة للعقيدتين الدينيتين للبابليين والأيزيديين.
- زيارة السنجق (الطاووس) الذي هو رمز الملك طاووس بين المدن والقصبات الأيزيدية من كل عام بعد عيد آكيتو (عيد رأس السنة الأيزيدية) واستقبال الشعب الأيزيدي له وبالآلاف في ظل أجواء البهجة والسرور تشبه زيارة تمثال الإله نابو في كل عام من معبد أيزيدا بمدينة بورسيبا إلى مدينة بابل في مراسيم عيد رأس السنة الجديدة (آكيتو) والاستقبال الكبير للشعب البابلي لهذا الطقس الديني المقدس.

وقد أردت أن أعيد الأركان التي تتوفر عند الشخصية الواحدة (الإله نابو وطاوسملك) لكونها تمثل عصب مصدر نشوء الشعب الأيزيدي وتسميته التي تكون تحصيل حاصل لمخاض النشوء ومن جانب آخر لتصبح هذه المعلومات أمام أعين القراء وهذا ما سوف يجعلهم يكونون في الصورة التي تظهر وتؤكد

تطابق صفات نابو وطاوسملك مما سيزيد الثقة بما أطرحه من حقائق ملموسة تجاه تاريخنا العريق ، من خلال هذا السياق تظهر لدينا الأدلة الثبوتية إزاء كون العقيدة الدينية الأيزيدية هي أمتداد للعقيدة الدينية البابلية وفي هذا المنعطف الإيجابي يتوجب ذكر التحول الكبير الذي جرى على الهيكل الديني البابلي الأيزيدي بفضل مجدد الديانة الأيزيدية الشيخ عدي بن مسافر (ع) (١٠٧٨ - ١١٦١ م / ٤٦٧ - ٥٤٠ ه) وتمخض على إثره بزوغ الأركان التجديدية للديانة الأيزيدية، الأركان الحديثة مهدت إلى أن لا يبحث الإنسان الأيزيدي إلى أبعد من ذلك أو بمعنى آخر التاريخ الذي يسبق نقطة انطلاق تلك التجديدات، وفي هذا الصدد أنا لست ضد تلك التجديدات، بل على العكس، فما جاء به الشيخ الجليل يمثل منعطفا" إيجابيا" وخلاصا" أكيدا" وملاذا" آمنا" للمعتقد الديني الأيزيدي من عمليات التآكل والتصدع والفناء، ما تم تجديده على يد الشيخ الجليل من أساسيات وركائز لا تناقض الموروث الأيزيدي الرافديني العريق وإنما تعد امتدادا" حقيقيا" لموروث الآباء والأجداد وبحلة جديدة.

إن الخصائص الأساسية المشتركة ما بين الحضارة الرافدينية القديمة والوجود الحضاري الأيزيدي والتي تمت الإشارة إليها بدورها تتجاوز الفكر المجرد والمتشكك في تحقيق مقاصد البث الموضوعي للمشتركات التي تكمن في الديانتين البابلية والأيزيدية من جهة، ومن الجهة الأخرى شخصيتي الإله نابو وطاوسملك، هذه الخصائص تلتقي عند نقطة واحدة تتمثل بكيان ديني وإثني وحضاري وتاريخي واحد تتداخل فيه هذه المعطيات التي لا تقبل القسمة على اثنين بل أيضا تجري على صعيد ثقافي حضاري يقرن ذاته بواقع تاريخي طبيعي مندمج بماضيه وحاضره ومتهيئ لبث الوجود لحاضر و مستقبل الشعب الأيزيدي إلى آفاق أبعد بل إلى بعد أبدي .

معلوم بان التاريخ يتبع مجرى معينا" ليس بمقدور الإنسان أن يغيره أو يلغيه من الوجود، للتاريخ خيوط مادية وفكرية، فربما يستطيع الإنسان أن يدمر ماديات (الهياكل والمعابد والمعالم والتماثيل الأثرية) التاريخ ولكن لا يستطيع أن يجتث روح التاريخ الكامنة في ذات الإنسان الأيزيدي المؤمن بالتاريخ الموضوعي والطبيعي ، خلفت الحضارة الرافدينية التراث الثري والذي يحمل تحت طياته أبرز معالم العالم القديم وطبيعته البشرية الخلابة ، ومن تلك المظاهر البارزة ، معبد أيزيدا الذي كان يمثل المكان المخصص لتأدية المعتقدات والمراسيم الخاصة

للإله نابو البابلي وقد أشرنا إلى مدى تعلق القادة البابليين الكبار من أمثال نبوخذنصر والآخرين بهذا المعبد ، وناقشت الجوانب الحياتية التي كانت تحيط بمعبد أيزيدا وأنا الآن في صدد موضوع آخر وهو معنى تسمية أيزيدا ، وفي هذا الصدد قرأت طروحات باحثين آخرين أعطوا مدلولاتهم الخاصة تجاه معنى هذه التسمية ومنهم من قال بانها تعني المعبد المكين أو المتين أو الرفيع أو الإخلاص وآخرون أدعوا انه يعني الخيرين والانقياء وغيرها من المعاني وهكذا فقد اصطدمنا بعناوين عديدة نحترم بعضا" من تلك الطروحات ولكن جميع تلك الأجوبة لم تكن صائبة وكانت بعيدة عن التطابق مع الواقع العلمي والتاريخي لمعبد أيزيدا و للموروث الأيزيدي أيضا.

أشرت إلى الدلائل الدامغة التي تثبت تطابق مضمون (و أهداف) معبد أيزيدا والشعب الأيزيدي ومضيت بسرد أركان مهمة أخذت أشواطا" بارزة وحقيقية في الأدوار الحياتية للشعب البابلي والتي هي موجودة الآن لدى الشعب الأيزيدي، سأدع تلك الأركان جانبا" بعدما أوفت بالغرض الذي كنت أبحث من أجله وسأعرج إلى نبش التاريخ بهدف الوصول إلى معنى تسمية أيزيدا التي وردت في التاريخ البابلي وما سوف يستنتج من معنى في هذا المنحى سيكون هو الجواب لمعنى تسمية الأيزيدية .

تسمية أيزيدا وردت في المصادر التي أتت بالأحرف اللاتينية على شكل ثلاثة مقاطع وكالآتي (اي - زي - دا، e-zi -da -) ، أي أن لكل مقطع من هذه المقاطع الثلاثة معناه الذاتي ، وعند جمع معاني المقاطع الثلاثة التي ستفرز بعد التحليل والتفسير سنتمكن من التعرف على المعنى الأوحد لهذه المقاطع، ما يستوجب العمل هو الولوج العميق في ثنايا هذه المقاطع الثلاثة بسلاسة وواقعية مادية بغية الوصول إلى هدفنا المنشود وهو التعرف إلى المعنى الحقيقي لمصطلح (أيزيدا).

١- المقطع (اي - e) :

[٤٩] أتى هذا المقطع (اي) بصفة لاحقة ظرف المكان المبهم ولها معنى يضاهي " بجنب "، في متناول، عند خلف، على، ويطابق هذا الحرف أداة الفاعلية - أي وتطرأ عليه التغيرات نفسها التي تطرأ عليها، ومن الأمثلة على هذا الحرف : كا - اي (بجنب البوابة) ، ا - زو وأصلها ا - زو - (- اي) وقد سقطت اللاحقة - اي (في متناول يدك)، ايكيرا - ني (خلفه)، كو - بي (على الساحل).

٢- المقطع (زي - zi) :

المقطع (زي) ورد في عبارات عديدة وجاء بمعنى " إله "، ومن الأمثلة على ذلك :

(دومو- زي = أبن - الإله) - (زي - بابا = الأب الإله) - (اي - زي - كال = إله سومري - أسم معبد) - (نن كي - زي - دا = إله سومري) - (اي - زي - يس = إله مصري) - (اي - زي - ريس = إله مصري).

٣- المقطع (دا - da) :

[٥٠] جاء هذا المقطع (دا -) لاحقة المصاحبة بمعنى " مع " وترد أحيانا" بصيغة (دي)، ومن الأمثلة على ذلك نورد : لا كاشا - دا (مع مدينة لكش)، آن - ك واصلها آن - ك (- دا) وقد سقطت بسبب مجيئها مع لفظة تنتهي بحركة الكسرة التي نستعملها هنا بدلا" من حرف العلة اللاتيني (i) ومعنى هذه الجملة (السماء مع الأرض).

أي إن :

- (اي - e) : بجنب ، في متناول، عند خلف، على (هذه المعاني تشير ضمن سياق مصطلح "ايزيدا" العام إلى إيمان أو وقوف مجموعة وراء هدف

---

[٤٩] (المعجم المسماري - معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية - الجزء الأول - الدكتور نائل حنون - الصفحة ١٠٣).

[٥٠] (المعجم المسماري - معجم اللغات الاكدية والسومرية والعربية - الجزء الأول - الدكتور نائل حنون - الصفحة ١٠٣).

معين يمكن لنا أن نطلق عليه عقيدة أو طريقة أو ظاهرة، كما انه بإمكاننا أن نرادف كلمة "عبدة " مع تلك العبارات المتعددة مجتمعة).

- (زي - zi) : إله (قدوس)

- (دا - da) : مع

وبإمكاننا تحرير عدة معان لهذه المصطلحات الثلاثة وهي :

- مع عقيدة الإله (نابو).
- عبدة الإله (نابو)
- مع عقيدة القدوس.
- عبدة القدوس.
- مع طريقة القدوس.
- عبدة طريقة الإله.

العبارات التي تمخضت عن المقاطع الثلاثة أعلاه تشير بمقتضاها التعبيري بأن هنالك " مجموعة أو جماعة (عبدة) من السكان يشكلون بدورهم شعبا" يسير على خطى أو طريقة أو عقيدة معينة "، هذه العقيدة هي عقيدة دينية تتعلق بالإله نابو، والشعب الذي يؤمن بهذه العقيدة هو من سكنى مدينة بابل ويعتبر أحد عناصر فسيفساء مجتمع الإمبراطورية البابلية، وحينما تتم عملية دمج المعاني المستجدة مع مرادفها المقتضب (مجموعة أو جماعة (عبدة) من السكان يشكلون بدورهم شعبا" موحدا" يسير على خطى أو طريقة أو عقيدة دينية معينة) نستنتج لنا في ضوء هذه المعادلة التاريخية المعنى الأوضح والأوحد وهو " الإلهيين " أو " القدوسيين" أو يمكن الاقتصار على المعنى المشار إليها قبل قليل وهو " عبدة الإله " أو " عبدة القدوس ".

تم بحث معنى أيزيدا وقد وصلت إلى هدفي المنشود واستنتجت المعنى الحقيقي لتسمية أيزيدا وهو (" الإلهيين " أو " القدوسيين" أو " عبدة الإله " أو " عبدة القدوس ")، وبعد هذه الخطوة سأسلك دورا" آخر من البحث وهدفه الوصول إلى غاية بزوغ عقيدة مؤمني الإله نابو أو " أيزيدا " (" الإلهيين " أو " القدوسيين" أو " عبدة الإله " أو " عبدة القدوس) أو بمعنى آخر الأسباب التي دعت إلى ظهورها .

تعني " أيزيدا " مجموعة أو جماعة أو شعب من سكان بلاد ما بين النهرين أخذوا على عاتقهم السير وفق عقيدة (طريقة) معينة تهدف إلى الخضوع والخشوع إلى سيل من الأركان الروحية و العقائدية والفكرية والاجتماعية التي ستفرز بدورها ظاهرة دينية تتمخض عنها جملة من العادات والتقاليد والشعائر والطقوس والمفاهيم والأيديولوجيات تقيد مؤمنيها بخطى إيمانية غير مفروضة بأداء قسري بل مخترقة ذات الإنسان بدوافع ذاتية وبرغبة طوعية مبنية على الإيمان بمعتقد الإله نابو، أما الأسباب التي كانت تقف وراء ظهور عقيدة " أيزيدا " فقد اقتصرت على جملة من العوامل ومن أهمها :

- نضوج عقل الإنسان البابلي وتفاعله مع الواقع بما كان يدفع بشخصه إلى ضرورة التمسك بالإيجابيات دون السلبيات.
- شعور الإنسان البابلي بمبدأ إصلاح المجتمع البابلي وخصوصا" العقيدة الدينية لكونها كانت تمثل عصب الحياة .
- تعدد الآلهة في زمن بابل ما أثر بصورة وأخرى في لجوء الإنسان البابلي وخصوصا" القادة إلى السير وفق بناء عقيدة تختلف بمضمونها مع بقية معتقدات الآلهة الأخرى بدوافع عقائدية أو اجتماعية أو إدارية أو سياسية مع العلم ان قيام الآلهة بالظهور في المجتمع لم يكن بطريقة عشوائية بل كان لقادة الإمبراطوريات والكهنة العظام الدور الرئيس في إمكانية بناء معتقد خاص متمثل بإله ما.
- تذمر الإنسان البابلي من واقعه بعد عدم تحقيق أمنياته وتطلعاته التي كان يعلقها على الآلهة السائدة بمجتمعه ما دفعه إلى تبنى عقيدة أخرى بهدف التعويل عليها لتلبية طموحاته.

يعد مصطلح " أيزيدا " وصفا" مركبا" وتحصيل حاصل أو انعكاس لظاهرة دينية واجتماعية بابلية تمثلت بالجماعة أو الشعب الرافديني الذي سار خلف عقيدة الإله نابو، و الإله نابو كان يمثل الإله القومي لشعب أيزيدا (الإلهيين) لان آلهة كل شعب على حدة كانت آلهة قومية ولم تتعد سلطتها حدود المنطقة القومية التي تقوم بحمايتها ، وكانت لعقيدة الإله نابو عدة معابد في بابل وفي كالح ونينوى وايساكيلا وغيرها وقد اقترنت تسمية أيزيدا بجميع تلك المعابد، أي ان المعبد لم يؤرخ باسم مدنه حصرا" وبالرغم من انتشاره في عدة مدن ولو فرضنا جدلا" بانه جاءت المعابد باسم مدنها لكانت تسمية المعابد التابعة للإله نابو تسمى بمعبد

بورسيبا ومعبد كالح ومعبد نينوى وغيرها ، ورب سائل يسأل ؟ هل يوجد فرق بين العبارتين، المعابد باسم أيزيدا أو باسم المدن التي تنتشر فيها ، وأنا بدوري أقول بانه يوجد فرق كبير بين هاتين العبارتين، فان كان المعبد باسم المدينة فهذا يعني بان أهل المدينة بأكملهم مشمولون بصورة وأخرى بعقيدة الإله نابو وتوجد في هذه العبارة الصفة العامة، ونحن نعلم بان العديد من الملل والشعوب والقبائل كانت تتواجد في كل مدينة ولم تقتصر على مكون ديني أو اجتماعي واحد وأشرت قبل قليل بانه كان لكل مكون إلهه القومي ومن هذا نستنتج بان المدينة كانت تحتوي على عدد كبير من الآلهة وعقائدهم الخاصة، أما إذا كان المعبد مقترنا" بتسمية أيزيدا فهذا يدل على انه هنالك جماعة أو شعب اسمه أيزيدا ("الإلهيين " أو " القدوسيين" أو " عبدة الإله " أو " عبدة القدوس ") في مدينة ما و أخرى من يؤمن بعقيدة الإله نابو، فمعبد أيزيدا في نينوى على سبيل المثال يعني بان هناك شعب أيزيدا متواجد في هذه المدينة إلى جانب الشعوب والملل الأخرى التي تعتقد بمعتقداتها الدينية الخاصة يأخذ مجراه الديني والاجتماعي بشكل موحد وخاص يختلف عن باقي العقائد والمجتمعات الأخرى، وفي هذا الصدد فقد ورد على لسان زينفون المؤرخ اليوناني[٥١] أنه " في حدود سنة (٤٠١ ق.م) كانت هناك ملة تمكث قرب مدينة نينوى تدعى (أزيدي) "، وهذا الدليل التاريخي الموثوق يجذب انتباهنا إلى سماع قول الحقيقة الدامغة التي تؤكد وتوثق قدم الشعب الأيزيدي في التاريخ البشري والحضاري، وأيضا هذا السرد الموثوق الذي أتى به زينفون يبين مدى تطابق وجود الشعب الأيزيدي في مدينة نينوى التي انتشرت فيها وبكثرة معابد ديانة الإله نابو فضلا" عن الشعبية الكبيرة التي تمتعت بها وأعتنق بها الكثير من سكانها ، وهذا الاقتران (تسمية معابد الإله نابو بأسم أيزيدا) لم يأت اعتباطيا" بل أتى عن قصد ولفعل مراد مفادهما الإيمان العميق لذلك الشعب الذي آمن بعقيدة الإله نابو وأينما كان يتواجد عناصره كانوا يرتادون المعابد بالرغم من بعد المسافة بينهم وهذا ما دفع بهم إلى بناء معابد أخرى باسم أيزيدا في أماكن تواجدهم الكثيف، وهذه الشعبية الكبيرة أدت إلى تواجد عدد كبير من معابد أيزيدا على طول وعرض أرض وادي الرافدين، المعبد المقترن ب "أيزيدا" يعني انه كلما أستجد أو أنشأ معبد خاص بالإله نابو أستوجب تسميته ب "أيزيدا " وليس العكس الذي نفهم منه في حالة أنشاء معابد أخرى

[٥١] (حملة العشرة الاف - زينفون - ترجمة يعقوب افرام منصور).

للإله نابو يسمى كل منها بتسمية أخرى ليس بالضرورة بتسمية " أيزيدا "، وقد أشرت إلى ان شريحة كبيرة من سكان وادي الرافدين آمنت بهذه العقيدة التي اتسعت رقعة جغرافيتها وامتدادها السكاني في بلاد وادي الرافدين وبمرور الوقت امتدت إلى مناطق واسعة ، أي ان مريدي هذه المعابد كانوا يسمون بأيزيدا بحسب اللغة السومرية، وباللغة العربية يعني شعب (" الإلهيين " أو " القدوسيين" أو " عبدة الإله " أو " عبدة القدوس ")، أي ان تسمية " الأيزيدية " في وقتنا الحاضر هي تسمية سومرية وإذا أردنا أن نترجمها إلى اللغة العربية فتسمى ب (" الإلهيين " أو " القدوسيين" أو " عبدة الإله " او " عبدة القدوس ").

إن الامتداد الذي تتمتع به تسمية الأيزيدية إلى أيزيدا لم يأت فقط عبر التشابه اللفظي أو الشكلي للتسميتين وإنما هذا الامتداد الجذري للحضارة السومرية البابلية هو ما يتمثل بالعقيدتين الدينيتين المتشابهتين أو بالأحرى العقيدة الدينية الواحدة الممتدة من الديانة البابلية المتمثلة بالإله نابو إلى الديانة الأيزيدية القائمة إلى جانب الإثنية التي أطلقت على كيانها البشري في القديم تسمية " أيزيدا " وفي الواقع القائم "بالأيزيدية " فضلا" عن الخصائص المشتركة الأخرى التي تمت الإشارة إليها في المبحث الأول من هذا الفصل والتي تعد واقعا" واحدا" ما بين البابليين والأيزيديين ، ويعضد هذا الطرح أيضا الكاتب محمود الجندي[٥٢] وهو " يعتقد بان تسميتهم قد استحدثت من اسم العشيرة الأصلية - أزيدي - والذي حرف في أيام الأمويين إلى اليزيدية "، وأنا أقول بدوري بأن الصحيح هو شعب أيزيدا وليس عشيرة ازيدا وبالمحصلة فهذا التوثيق التاريخي يشبع الرغبة الصادقة التي أردت أن تكون ظاهرة للعيان .

ما تم تقديمه بخصوص مصدر التسمية الأيزيدية يكشف لنا بان الشعب الأيزيدي كان حاضرا" في أيام الإمبراطورية البابلية، وربما هناك من يشك حينما يطلع على سردنا التاريخي هذا ويطالب بالمزيد والمزيد من التوضيح وتوفير الحقائق التاريخية له ، وفي هذا الاتجاه أود أن أتكل على أقوال وحقائق كتاب آخرين لهم باع طويل في هذا المضمار وخصوصا" ما ذكره الكاتب ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة - ول ديورانت - نشأة الحضارة /الشرق الأدنى - المجلد الأول (١ - ٢) - ترجمة د. زكي نجيب محمود - ص ٣٠٠) وهو الآتي : " كان

[٥٢] (ما هي اليزيدية ومن هم اليزيديون - محمود الجندي - صفحة ٩).

الشرق الأدنى في عهد نبوخد نصر يبدو للعين البعيدة الفاحصة كأنه بحر خضم يتلاطم فيه خليط من الآدميين، يأتلفون ثم يتفرقون، يستعبدون ثم يُستعبدون، يأكلون ويُؤكلون، ويَقتلُون ويُقتلَون إلى غير نهاية وكان من وراء الإمبراطوريات الكبرى ومن حولها- مصر وبابل وأشور والفرس يضطرب هذا الخليط من الشعوب نصف البدوية نصف المستقرة : الكمريين، والقليقيين، والكيدوكيين، والبثونيين، والأشكانيين، والميزيين، والميونيين، والكريبيين، والبمفيليين، و**اليزيديين**، واللوكوانيين، والفلسطينيين، والعموريين، والكنعانيين، والإدميين، والعمونيين، والمؤابيين، وعشرات العشرات من الشعوب الأخرى التي كان كل شعب منها يظن نفسه مركز الأرض ومحور التاريخ، ويعجب من جهل المؤرخين وتحيزهم إذ لم يخصوه إلا بفقرة أو فقرتين في كتبهم ". ورود اسم الشعب الأيزيدي بين هذا الكم الهائل من الشعوب وفي وقت نبوخذنصر[٥٣] يعد هذا تأكيدا" كليا" وتوثيقا" دقيقا" ليس فيهما أدنى شك حول تواجد الشعب الأيزيدي ابان الإمبراطورية البابلية وتحت تسمية أيزيدا " الأيزيدية "، ويعتبر الكاتب ول ديورانت من أشهر الكتاب وكتابه قصة الحضارة بأجزائه المتعددة يعد من أهم مصادر التاريخ الحضاري والبشري في العالم وقد بيّن فيه بان فسيفساء المجتمع البابلي تتكون من عدة شعوب أو إثنيات ولم يقصد به الكاتب ول ديورانت بان تلك الشعوب المذكورة تدخل ضمن صفة الأديان بل أعتبرها إثنيات لكون التسميات التي وردت على لسانه لا تتعلق بالأديان قطعا" ولم يذكر لنا التاريخ بان تلك الشعوب المذكورة تأخذ طابع الأديان، وفي هذا السياق فان ذكر الشعب الأيزيدي ضمن تلك الإثنيات يعني انه إثنية كانت تؤمن بعقيدة الإله نابو، وهذا دليل دامغ يوثق بأن التسمية الأيزيدية التي تتواجد في التاريخ القديم كانت مقترنة بالإثنية وليس الديانة .

قام كتاب كثيرون بطرح أجنداتهم التاريخية والفكرية بغية الوصول إلى حل إزاء انحدار تسمية الأيزيدية عبر التاريخ وبطبيعة الحال لم يستطع أحد من أولئك من تحقيق مبتغاه مع العلم بان البعض منهم قد دخل في هذا السياق ليس من أجل

[٥٣] (حكم نبوخذ نصر(٦٠٥-٥٦٢ق.م) ثلاثة وأربعون سنة وقد حلم حلماً إن الله سوف يعاقبه بسبب كبرياءه وبالفعل أصيب الملك سبع سنوات بجنون العظمة فأبتعد عن العرش سبع سنوات وعاش في الغابة ولكنه تاب إلى الله فعاد إلى الحكم ، قام نبوخذ نصر بغزو أورشليم عام ٦٠٥ ق.م ، وتوفي عام ٥٦٢ ق.م).

إبراز الهوية الأيزيدية الحقيقية بل أتوا لتحريفها صوب بودقات أخرى مع أنني لا أستبعد كتابا" وهم على عدد أصابع اليد الواحدة حاولوا وبجهد الإمكان الوصول إلى غاياتهم وبدوافع نزيهة بعيدة عن الأجندات الخبيثة.

ذكر المؤرخ اليوناني (توفانيس) بان " الإمبراطور هرقليوس خيم بالقرب من مدينة (يزدم) وهي بالقرب من مدينة (حدياب) فنسب الأيزيدية يكون إلى ذلك المكان ". في هذا الصدد لا توجد مدينة تحمل تسمية يزدم في أربيل أو نينوى والمناطق المجاورة إليهما أيضا، والاعتقاد الأصح هو ان المنطقة التي خيم بقربها هرقليوس كانت منطقة يعيش فيها الشعب الأيزيدي والتاريخ شاهد على إن تلك المناطق ذات نفوذ أيزيدي صرف ومازالت فيها آثار تعود تسمياتها ومعانيها إلى الموروث الأيزيدي ، لذا فان المقصود بها هو ان المنطقة أو المدينة يوجد فيها شعب اسمه يزدم أو أيزيدي أو أيزيدية وليس اسم المدينة يزدم كما ذهب إليه المؤرخ اليوناني.

تطرق آخرون إلى انه نسبة إلى منطقة يزد الفارسية ، فإذا كان أصل الأيزيديين وعاصمتهم هي مدينة يزد، فكان من الأجدر أن تكون في هذه المدينة القاعدة الأيزيدية الأساسية من حيث التواجد السكاني في الماضي البعيد وحاضر اليوم، لكن هذا الأدعاء خاطئ وعار عن الصحة، فلم يذكر التاريخ الأيزيدي بان للأيزيدية تواجد حقيقي ملموس في مدينة يزد أو مناطق بلاد فارس ولم نطلع فيه على آثار أيزيدية لها أبعاد تاريخية ودينية واجتماعية وحتى سكانية كبيرة في هذه المدينة ، وكل ما في الأمر بان هذه المدينة تعود إلى الزرادشتيين وجرت محاولات كثيرة لربط أو إمكانية تثبيت امتداد الشعب الأيزيدي إلى الزرادشتيين وجميع تلك الطرق باءت بالفشل مع اننا لا نستبعد تواجد أفراد قلائل في هذه البقعة الجغرافية وهذا الوجود يعود إلى هؤلاء الأيزيديون الذين فروا إبان حملات الإبادة الجماعية شأنهم شأن بقية الأيزيدية الذين هاجروا إلى الدول الأخرى وخصوصا" جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق، وعليه فانه وإذا افترضنا عدم استبعاد تواجدهم في مدينة يزد أو بلاد فارس على أكمل وجه فهولاء لم يعطوا للتاريخ الأيزيدي قسطا" كبيرا" من الحركة البشرية والحضارية أسوة بأيزيديي العراق وبقية الدول الأخرى التي يتواجدون فيها والذين بدورهم ساهموا في إنتاج

المزيد من النشاط والحيوية تجاه التاريخ الأيزيدي وعقيدته الدينية والقومية والوطنية .

هناك رأي مبالغ فيه هو ان تسمية الأيزيدية أنحدرت من كلمة يزدان أو ايزد والتي تعني في الزرادشتية الإله المقدس ، والزرادشتية هي ديانة وضعية ظهرت في إيران على يد زرادشت ابن ابيورشت الحكيم وتذهب معظم الروايات إلى انه ولد عام ٦٦٠ ق.م، الإله المقدس (ايزد أو يزدان) والذي يعتبر من أهم قدسيات المعتقد الديني للزردشتيين كتب عنه كتاب كثيرون بأن تسمية الأيزيدية ترجع إليه ولكن الحقيقة تقول عكس ذلك لانه كان من الأجدر و الأولوية أن يسمى قوم زرادشت بتسمية الأيزيدية بدلا" من الشعب الأيزيدي نفسه، الأصل أولى قبل الفرع في أخذ الفرضيات و الوقائع ، أليس الزرادشتيون هم المعنيون أولا" بتجذر تسمية شعبهم إلى إلههم قبل الشعب الإيزيدي ؟ المعروف هو أن الديانة الأيزيدية ديانة بابلية صرفة، فتاريخ ديانة الإله نابو هو ١٨٠٠ ق.م[٥٤] على أقل تقدير وهو أقدم من هذا وبكثير، فهناك فرق بحدود أكثر من ألف عام ما بين ديانة الإله نابو وديانة زرادشت وأكثر، وكانت تسمية ايزيدا موجودة قبل زرادشت بألف عام على أقل تقدير، والجميع يعلم بان الديانة الأيزيدية تختلف كليا" عن الديانة الزرادشتية وفي كثير من الأسس والأركان الدينية الأساسية ومنها :

- الديانة الأيزيدية تفرض الصوم على معتنقيها بينما لا يوجد الصوم في الديانة الزرادشتية.
- الديانة الأيزيدية تتبنى الشمس وتعتبرها قبلتها بينما الديانة الزرادشتية تقدس النار دون الشمس.
- الديانة الأيزيدية تؤمن بالثنائية المتجسدة في وحدة ا الواحد الأحد (الأيزيديون يؤمنون بأن الخير والشر يأتيان من مصدر واحد وهو ا عز وجل)، بينما الديانة الزرادشتية تؤمن بوجود إلهين أحدهما للخير (اهورا مازدا - إله النور) والآخر للشر (اهريمان - إله الظلام).
- الأيزيديون يدفنون موتاهم في القبور بينما الديانة الزرادشتية تضع الأموات في أعلى المرتفعات لتأكلهم الحيوانات.

[٥٤] (استندت إلى هذا التاريخ كون الملك حمورابي قد جدد معبد أيزيدا في فترة حكمه وهذا يدل بأن معتقد الإله نابو كان موجود و المنعطف التاريخي الذي أشرت إليه هو موثوق ولم أحصل من خلال المصادر التاريخية المتاحة لي على ما يشير في أي سنة نشأ معتقد الإله نابو ومعبد أيزيدا).

- لا يوجد أي نص ديني أو تاريخي أو ثقافي أيزيدي وعلى الإطلاق يتبنى ذكر كلمة زرادشت لذا فكيف يمكن الربط بين هاتين الديانتين جذريا".
- الديانة الأيزيدية ظهرت في بلاد وادي الرافدين (العراق) بينما ظهرت الديانة الزرادشتية في بلاد فارس.
- الديانة الأيزيدية تتبنى العقيدة الدينية البابلية القديمة بينما الديانة الزرادشتية تبنت رسالة مؤسسها زرادشت.

هناك إجحاف و سوء فهم عند البعض إزاء اسم الإله ايزدان أو ايزد ويعتبرون بان ما موجود لدى المعتقد الديني الأيزيدي من تسمية " يزي " تعود إلى الموروث الديني الزرادشتي وهذا يعتبر خطأ فادحا" وخطيرا" وقع فيه الكثير والكثير من الكتاب، والتسميتين اللتين وردتا في الديانتين الأيزيدية والزرادشتية (يزي - ايزدان او ايزد) هي شبيهة من حيث اللفظ ولكن لكل تسمية من التسميتين الآنفتي الذكر عقيدتها وتاريخها الخاص، حيث أن كلمة " يزي " تعني الله باللغة العربية بالنسبة للديانة الأيزيدية، و هي تتكون بالأصل من حرفين فقط لا ثالث لهما، والحرفين كانا يشكلان كلمة (زي - zi) ويعني ذلك بإله (قدوس)، أما الحرف (ي) فهذا يعد "يا" المخاطبة ، و بعد قيام الشيخ عدي بن مسافر (ع) بطرح رسالته الإيمانية المباركة في المجتمع الأيزيدي تحولت عقيدة وتسمية (إله) إلى المفهوم الديني العام لدى معظم ديانات سطح المعمورة والذي يتعلق بالله عز وجل، وقد أشرت آنفا" بأن الشيخ عدي(ع) يمثل مجدد الديانة الأيزيدية، أي جدد المعتقد(الديانة) البابلي بتغييرات جذرية أدخل فيها أركانا" دينية سماوية ضمن الهيكل الديني البابلي وهي تتطابق و تتلائم مع عقيدة الديانات السماوية بالمعنى المعاصر مع الحفاظ على الأركان والركائز والتقاليد والعادات والطقوس والشعائر البابلية الصرفة، وتحول المعتقد الجديد على يدي الشيخ الجليل إلى معتقد متعلق بالإثنية الأيزيدية وكما كان معمولا" به مسبقا" لكن دون التطرق إلى تسمية المعتقد التجديدي بالبابلي وفيما بعد أقترن المضمون الحديث(التجديد) الولادة بالأيزيدية مباشرة وبمرور الوقت تحولت التسمية من الديانة البابلية إلى الديانة الأيزيدية ومن هذا المنطلق أتسمت تسمية الأيزيدية بالطابع الديني فقط دون النظر ومن قبل الغالبية إلى ان التسمية الأيزيدية وقبل ان يدخل أسمها في تركيبة الديانة التجديدية فقد كانت أثنية تؤمن بعقيدة الإله نابو وهذه النظرة غير المتكاملة ألصقت بالشعب الأيزيدي إلى عام ٢٠٠٣م وبعد هذه الفترة ظهرت الحقيقة

التاريخية التي تفيد بأن المكون الأيزيدي يعد إثنودينية، الديانة الأيزيدية إلى جانب القومية الأيزيدية (سأقف بالتفصيل عند هذا الموضوع في الفصل القادم).

[٥٥]حاول بعض الأيزيديين المحسوبين على التيار القومي العربي جعل تسمية الأيزيدية امتدادا" إلى يزيد بن معاوية لكن خابت كل محاولاتهم بالسقوط ، لم يكن هنالك أي مسوغ واقعي لهذا الرأي المخادع وما أستند عليه هو فقط كون التسميتين (الأيزيدية) و (يزيد) متقاربتين من حيث اللفظ، و الشعب الأيزيدي أقدم بكثير من يزيد بن معاوية[٥٦]، ومن زاوية أخرى يضيف أمبسن إلى نظرية البروفسور جاكسن بأنه لا يوجد دليل يؤكد على أن الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أسس خلال مدة حكمه الذي أستمر ثلاث سنوات ونصف من (٦٨٠ - ٦٨٣ م) ديانة جديدة، وهذا يعني بأن يزيد بن معاوية لم يخلف ديانة أو جيشا" من بعد الدولة الأموية.

وكتاب الأنساب للسمعاني جاء فيه " وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان (أعمال نينوى) ونواحيها من اليزيدية، وهم يتزهدون في القرى التي في تلك الجبال ويأكلون الحلال، وقلما يخالطون الناس، ويعتقدون في يزيد بن معاوية الإمامة وكونه على الحق " . قبل أن أخوض في إيجابيات وسلبيات هذا الطرح، سأحل الأشكال أو اللغط الذي أتى به السمعاني في كتابه وهو عبارة " ويعتقدون في يزيد بن معاوية الإمامة وكونه على حق "، إذا تعمقنا في هذا الأمر سنجد الحقيقة التي تعاكس ما جاء به السمعاني تماما"، معلوم أن السمعاني قد عاش بين الفترة (٥٠٦ - ٥٦٢ هـ) والشيخ عدي بن مسافر (ع) عاش بين الفترة (٤٦٧ -

---

[٥٥] (ماهي اليزيدية ومن هم اليزيديون محمود الجندي - صفحة ٢٠١ : قام الأمير بايزيد بفتح مكتبه - الأموي - في السابع من آذار ١٩٦٩ في منتصف بغداد على شارع الرشيد قريبا" من عمارة مصرف الرافدين تطل لافتة كبيرة باسم مكتب الأموي وهذا المكتب يمكن معرفة طبيعته والغرض من تأسيسه من البطاقة الشخصية المطبوعة باسم مؤسسه وهي كما يلي : - مكتب الأموي - للدعوة العربية - أسسه : الأمير بايزيد الأموي أمير الأمويين- هدفنا :أحياء عروبة طائفتنا الأموية اليزيدية - وسيلتنا : نشر الدعوة القومية بالحقائق الروحية والزمنية - شعارنا : عرب (أمويين القومية - يزيديين العقيدة).

[٥٦] (سادس خلفاء المسلمين وثاني خلفاء بني أمية، وقد حكم لمدة أربع سنوات ، وحياته انحصرت للفترة ٦٤٥ - ٦٨٣ م).

٥٤٠ هجرية) وقد ذهب العديد من الكتاب والمؤرخين والمستشرقين إلى القول الذي أدى إلى إلصاق تبعية الايزيدية إلى يزيد بن معاوية وتعويله على الشيخ عدي بن مسافر (ع) بانه هو من دعا أول مرة بذلك الانتماء، لكن، القول الصحيح والحقيقة الدامغة لا تتفق مع هذا الطرح ، يشير تاريخ حياة كل من الشيخ الجليل والسمعاني بأنهما قد عاشا في فترة زمنية واحدة تقريبا"، وربما حينما زار السمعاني منطقة الأيزيدية من أعمال نينوى كان الشيخ على قيد الحياة وان كان بعكس ذلك فلم يتجاوز الفرق بينهما الكثير، إذن، كيف أستطاع الشيخ عدي بن مسافر (ع) ان يتبع شعبا" كاملا" (الشعب الأيزيدي) ليزيد بن معاوية في غضون مدة زمنية قليلة لحين فترة مرور السمعاني في المنطقة وادعاء الأخير بتبعية الأيزيدية لمعاوية ، وهذا ما لا يتم تصديقه بتاتا" من الناحية التاريخية والعملية مع العلم ان أدوات نشر التعاليم والمراسلات معدومة تماما" في ذلك الوقت بين صفوف الأيزيدية، وفي هذا الخصوص فان كل ما جاء على لسان هولاء الكتاب والمؤرخين والسمعاني من بينهم بخصوص تبعية الأيزيدية إلى يزيد بن معاوية عار عن الصحة، لكون الديانة الأيزيدية (البابلية) كانت موجودة في المجتمع الأيزيدي قبل ظهور الشيخ عدي بن مسافر (ع) ، أما الجانب الإيجابي الذي نتخذه من طرح السمعاني فهو التوثيق التاريخي الذي يقضي بان الشعب الأيزيدي كان موجودا" في التاريخ ومنذ القدم تحت أسم الأيزيدية.



شكل(٣١)

حمورابي

يقول الكاتب زهير كاظم عبود[٥٧] بان " ثمة من يقول إن الملك البابلي حمورابي كان قد حارب الأيزيدية لإخضاعهم، وأستطاع أن ينتصر عليهم وأن يأخذ منهم أسرى وسبايا في العام ١٧٨٥ - ١٧٥٥ قبل الميلاد، ويدلل هذا الخبر، على افتراض صحته، على وجود الأيزيدية أيام الملك البابلي، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر هناك من يذكر ان أحدى زوجات الملك البابلي هي أيزيدية، وان معلمين لأبناء الملوك كانوا من الأيزيديين، وهذا الأمر يتطلب البحث والتقصي والتنقيب في كتب التاريخ " . ذكر الكاتب بين أسطره بانه " ثمة من يقول ان الملك البابلي حمورابي كان قد حارب الأيزيدية لإخضاعهم، وأستطاع أن ينتصر عليهم وأن يأخذ منهم أسرى وسبايا في العام ١٧٨٥ - ١٧٥٥ قبل الميلاد، ويدلل هذا الخبر، على افتراض صحته، على وجود الأيزيدية أيام الملك البابلي "، الكاتب يشكك في هذا السرد ويطرح افتراضا" لصحة ذلك وأنا بدوري أقول بان هذا الخبر لا يحتاج إلى الافتراض بل هو صحيح ولا غبار عليه وخصوصا"[٥٨] ان مع نشأة عبادة نابو جرت محاولة لكبت هذه العبادة أوائل أيام حكم حمورابي بسبب المنافسة الشديدة التي كانت تقوم بين بورسيبا وبين بابل في التراث والدين ولكن المقاومة الشعبية التي لقيتها هذه المحاولة دعت حمورابي إلى تغيير سياسته مما جعل عبادة نابو تنتشر انتشارا" واسعا". و هذا السرد التاريخي يبين مدى صحة ما ذهب إليه الكاتب في الوقت الذي كان هو يفترض صحته ، وما المقاومة الشعبية التي وقفت بوجه حمورابي إلا خير دليل على أن ذلك يعني بان مجموعة من الأفراد والذين بدورهم يشكلون شعب أيزيدا قد وقف وقاوم بالضد من محاولات حمورابي لكبت عبادة الإله نابو مع العلم ان فترة حكم حمورابي كانت (١٧٩٢ - ١٧٥٠ق.م) والتاريخ الذي أشار إليه الكاتب ينحصر ضمن فترة حكم حمورابي وهذا الانسجام في الطروحات يفرز لنا وجود واقع تاريخي ملموس اسمه وجود الشعب الأيزيدي في قدم التاريخ، كما سأعرج على أحدى العبارات الأخرى التي ذكرها الكاتب ومنها " هناك من يذكر ان أحدى زوجات الملك البابلي هي أيزيدية، وان معلمين لأبناء الملوك كانوا من الأيزيديين، وهذا الأمر يتطلب البحث والتقصي والتنقيب في كتب التاريخ ". أنا أيضا أتفق مع الكاتب بخصوص البحث والتقصي والتنقيب في كتب التاريخ بهدف تثبيت هذا

---

[٥٧] (عدي بن مسافر - مجدد الديانة الأيزيدية - ص ٩٣),

[٥٨] (اليزيدية بقايا من دين قديم - جورج حبيب - ص١٩ ، ٢٠).

الخبر تاريخيا"، التنقيب المطلوب في تصحيح ذلك الخبر موجود، وقد أشرت سابقا" بان هنالك أدلة كثيرة على ان المدارس الملحقة بالمعابد أغلبها كانت في المعابد المكرسة لعبادة الإله نابو إله الكتابة والقلم وإله الحكمة والمعرفة وعلى سبيل المثال معبد أيزيدا الذي كان مكرسا" لعبادة الإله نابو في بورسيبا حيث وجدت فيه مجاميع من النصوص المدرسية والنصوص الخاصة بالترانيم والتراتيل الدينية وغيرها، فهذا يثبت بان معبد أيزيدا يشكل أول معبد للتعليم على مر التاريخ، و القوامين على المعابد كانوا أقدم حكام المجتمعات المتحضرة في وادي الرافدين ويضاف إلى ذلك ان المعبد كان مركزا" ثقافيا" كهنوتيا" يتعلم فيه الكهنة والكتبة وتحفظ فيه مختلف النصوص الأدبية والدينية، إذن ، هذا يعلل بان المتعلمين في الدرجة الأولى كانوا من كهنة وكتبة المعبد وخصوصا" معبد أيزيدا ، لذا، لا ضير في أن يكون القائمون على معبد أيزيدا هم الذين كانوا معلمين لأبناء الملوك، وأكدت بان الشعب الأيزيدي كان له الوجود الفعلي في أيام الإمبراطورية البابلية وبذلك فليس هنالك مانع من أن تكون أحدى زوجات الملك البابلي أيزيدية، وتذكر العقيدة الدينية الأيزيدية بان الملك نبوخذنصر كان أيزيديا" (معنى نبوخذنصر هو (الإله نابو يحمي ذريتي) بحسب اللغة البابلية).

بعد سقوط الدولة البابلية عام (٥٣٩ ق.م) اندثرت المعالم الحضارية لوادي الرافدين وهدمت مؤسساتها و قتل مدافعوها الأشداء وهجر كل من كان على نقيض توجهات وأوامر الأقوام الغازية، وبالتالي فإن استهداف العقائد الدينية كان على أولوية أجندات القوات المحتلة، وبما انه كان لديانة الإله نابو الشعبية الواسعة في هذه البلاد فمن البديهي أن يتم استهدافها والقيام بالمحاولات الدنيئة لاقتلاع جذورها ومحوها من الوجود، وعلى أثر سقوط الإمبراطورية البابلية مزقت شعوب المملكة البابلية وعلى إثره تبعثر سكانها إلى جهات الأرض الأربعة، وبخصوص هذه الهجرة من بابل إلى المناطق النائية الأخرى ، نلاحظ في وقتنا الحاضر ألقاب تحمل تسميات قريبة جدا" من تسمية الأيزيدية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، هناك لقب الأزدي والذي يعود إلى أهم الأقوام العريقة في شبه الجزيرة العربية ما قبل الإسلام (مع أن الخبر بحاجة إلى التقصي والتنقيب بهدف التأكد من أثباته على أكمل وجه)، والمعلومات المتوفرة العامة التي تتحدث عن أصول الأزد تتركز حول آراء أبداها أكثر المؤرخين إزاء "نزوح الأزد عن مأرب كان قبيل انهيار السد بزمن قليل في عهد عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن نحو سنة ١١٥ قبل الميلاد، على إثر علامات

ظهرت لهم تنذر بخرابه، ومن المؤرخين من يرى انهم نزحوا جميعًا عن مأرب في عهد عمرو المذكور بعد خراب السد، وغرق جناتهم، وذهاب أشجارهم، وإبدالهم خمطًا وأثلاً وشيئًا من سدر قليل، ويشكك الشيخ حمد الجاسر في تحديد رحيل الأزد من اليمن بخراب السد، فيقول: "وانتقال تلك القبائل - أو جلها - من اليمن أمر معقول ومقبول، ولكن كونها انتقلت إثر خراب السد أمر مشكوك فيه، ذلك ان المتقدمين يؤرخون حادثة الخراب بأنها في عصر الملك الفارسي دارا بن بهمن، ودارا هذا هو الذي غزاه لإسكندر الكبير في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، والأدلة التاريخية والنقوش التي عثر عليها في أمكنة كثيرة في جنوب الجزيرة وشمالها، وفي أمكنة أخرى خارجها، تدل على انتشار كثير من تلك القبائل التي ورد ذكرها خارج اليمن قبل سيل العرم، وليس من المعقول أيضًا ان تلك الرقعة الصغيرة من الأرض، وهي مأرب تتسع لعدد كبير من السكان يتكون من عدد من القبائل، والأمر الذي لا ريب فيه أن انتقال تلك القبائل كان في فترات متفرقة، وفي أزمان متباعدة، فعندما تضيق البلاد بسكانها ينتقل قسم منهم بحثًا عن بلاد تلائم حياتهم ". في هذا الاتجاه أيضا فقد أشار السيد محمود الجندي بانه[٥٩] " جاء في أقوال الثقاة المبهجة للقلب وفي مسودات الدواة المنيرة للعقل وما صح من ان سلسلة نسب حكام الجزيرة - جزيرة بني عمر - تنتهي بالصحابي البطل خالد بن الوليد وان أول شخص تولى من أجدادهم حكومة الجزيرة كان يدعى سليمان بن خالد وقد كان هؤلاء ينتحلون في بداية عهدهم النحلة (اليزيدية - الأيزيدية - اليزدانية) "، وعن مدى صحة وقبول نزوح الشعب الايزيدي إلى الجزيرة العربية بعد سقوط بابل أو قبلها فهناك معتقدات أيزيدية معروفة ومنها تقديس الطاووس[٦٠] " وكان هذا منتشراً بين العرب قبل الإسلام، حين كان العرب يعبدون الأصنام والأوثان والرموز وكان من بين كبار رجال العرب من يعبد الطواويس وموضع الطواويس في داخل حجرة الحجر الأسود ومن بين من كان يقدس الطواويس ويتعبدها أبو سفيان صخر بن حرب، ومن يتابع مشاهد فلم (الرسالة) الذي أخرجه مصطفى العقاد سيلمح مشهداً ثابتاً يتمثل في قيام أبو سفيان وزوجته بنقل الطواويس من دارة الكعبة إلى دارهم القريبة منها "، وهذا السرد التاريخي يمكن الاعتماد عليه إزاء توثيق وجود الأيزيدية تاريخيا" في الجزيرة

[٥٩] (ما هي اليزيدية ومن هم اليزيديون - محمود الجندي - صفحة ١٦).

[٦٠] (التنقيب في التاريخ الايزيدي القديم - زهير كاظم عبود).

العربية ، ومن زاوية أخرى فقد آمن عدد كبير من سكان الجزيرة العربية قبل الدعوة الإسلامية بالإله سن والإله شمش وهذين الإلهين مازالا موجودين في العقيدة الدينية الأيزيدية إلى يومنا الراهن وهذا دليل آخر يثبت مدى صحة تواجد الشعب الأيزيدي في وقت من الأوقات في الجزيرة العربية، ومازلنا في نطاق الهجرة بعد احتلال بابل، فهناك أيزيديون في جمهوريات عديدة منها أرمينيا و روسيا الاتحادية و جورجيا وتركيا وسوريا وغيرها، وفي هذا الصدد لم يذكر لنا التاريخ بان جغرافية الأيزيديين تضم العراق والسعودية واليمن و سوريا وتركيا وأرمينيا وجورجيا وروسيا وغيرها من الدول، بل ان سبب انتشار الشعب الأيزيدي في هذه المناطق الجغرافية التي تتباعد بعضها عن البعض بآلاف الكيلومترات يعود إلى ما بعد احتلال الإمبراطورية البابلية عام (٥٣٩ ق.م) ورحيل سكانها إلى بقاع شتى.

إن النمط الذي سار عليه الشعب الأيزيدي عبر التاريخ، توجد مثله أنماط تاريخية عديدة تعود إلى شعوب هي حاضرة في الوقت الراهن ،غير أنه من الصعوبة بمكان في أحيان كثيرة تحديد النمط الذي ينتمي إليه هذا الشعب أو ذاك، إذ قد لا تتوفر لدى العديد منها سمات واضحة بدقة كافية وهذا مرهون قبل كل شيء بأن العديد من الشعوب تمر بمراحل التطور والانتقال إلى نمط آخر فيتغير لدى العديد من فئات البشر أدراك الذات، أي أدراك الانتماء إلى هذا الشعب أو ذاك، وما دامت هذه الأصول متباينة من مجموعة إلى أخرى فأن نتائجها ستكون متباينة أيضا، ومن جهة أخرى فأن الظاهرة البشرية التي تتعلق أما بأعداد السكان أو بكثافتهم أو بحرفهم ومستوى معيشتهم وما يتصل بالأديان واللغات والعادات والتقاليد المتعارف عليها، كل ذلك من شأنه أن يخلق فروقا بين المجموعات البشرية المختلفة، والتراث الحضاري والظواهر الطبيعية والبشرية كلها تعمل متكاتفة ومتكاملة على خلق هذه الاختلافات ، نفهم من هذا مدى تأثير الظروف الطبيعية على عادات وسلوك المجتمع وعند زوالها نتيجة لتقدم الفكر الإنساني في الاختراع والإبداع تزول هذه العادات والطرق الشعبية، من هنا إذن، الصراع لخلق علاقة عملية بين الطبيعة والمجتمع جعلت البيئة الطبيعية كأساس رئيس للسلوك والحياة الاجتماعية، فالسلوك والحياة الاجتماعية هما نتيجة لتفاعل الطبيعة والبشر، لذا يعتبر الشعب الأيزيدي ظاهرة اجتماعية حضارية تاريخية تكونت بذاتها دون تدخل المحيط الخارجي في نشوء كينونته عبر المراحل والعهود الزمنية المتعاقبة، يمكن لنا أن نعتبر ظهور معتقد أيزيدا في التاريخ العراقي القديم

نقطة انطلاق الشعب الأيزيدي وبداية ظهوره في هذه الأرض المباركة. في ظل هذا المخاض العسير، فان تجربة الصابئة المندائيين هي الأقرب إلى تسمية الأيزيدية من ناحية انحدار التسمية، فتعني كلمة " مند " العلم أو المعرفة وقد انحدرت تسمية المندائيين من تسمية معابدهم التي تسمى بالمند على غرار تسمية الأيزيدية التي انحدرت من معبد أيزيدا، وفي هذا الصدد أيضا فان التسمية الآشورية التي تجذرت من الإله آشور هي أيضا تشبه التسمية الأيزيدية التي انحدرت من معبد أيزيدا ، حيث ظهرت عقيدة الإله آشور في مدينة نينوى قبل الميلاد بمئات السنين وفيما بعد برزت أثنية متمثلة بتسمية الآشوريين، حيث سمي كل شخص مؤمن بعقيدة الإله آشور بالآشوري وفيما بعد أصبحت هذه الجماعة المؤمنة بتلك العقيدة تسمى باسم الآشوريين وعلى غرار هذا فان تسمية الأيزيدية تجذرت من معبد أيزيدا وبطبيعة الحال فهذا يعني بان كل شخص آمن بعقيدة الإله نابو سمي بأيزيدا (" الإلهيين " أو " القدوسيين" أو " عبدة الإله " أو " عبدة القدوس ") في القديم ، وبالأيزيدية في ظل الواقع الراهن .



شكل(٣٢)

المعابد(مند) الدينية للصابئة المندائيين

المبحث الثالث

التقويم الأيزيدي

[٦١]عيد آكيتو كان عيدا" يحتفل به السومريون في فترة الاعتدالين، والاحتفال الذي كان يجري في موسم الربيع يسمى من قبل السومريين (ياكيتو) ومن قبل الأكديين كان يدعى (بعيد رأس السنة) لان التسمية za-mu-a ومرادفها في الأكدية zag- muk - ka، وآكيتو تعبير عن نوعية الاحتفالات التي كان يقوم بها السومريون في نفس الفترة، لذلك نجد ان الخلط بين التسميتين خلال الألف الثاني قبل الميلاد قد حدث ضمن الفترة التي أضمحل فيها السومريون واختفى معهم الاحتفال الخاص بفترة الخريف (بذر البذور) لهذا لابد أن يذكر شيئا" عن عيد آكيتو منذ نشأته وأصل تسميته، منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد بدأت النصوص الكتابية في العراق تذكر أسم (آكيتو) وأستمر ذكره حتى العصر السلوقي، آكيتو تعني بشكل خاص أسم لأحد الأعياد العراقية المهمة وكذلك المكان الذي تقام فيه احتفالات العيد المذكور وظهرت كلمة آكيتو في النصوص السومرية بالصيغ التالية :

a-ki-te-. A-ki-tum

a-kitg-a(ezen-)a-ki-tum وفي النصوص المتأخرة ظهرت الكلمة على شكل :

a-ki-it أما في النصوص الأكدية فقد ظهرت كلمة آكيتو بمعنييها بصيغة :

Bitakitim - akitum لوحدها :

---

[٦١] (مجلة سومر - الجزء الأول والثاني - المجلد السادس والأربعون - راجحة خضر النعيمي - ص ١١٣ ، ١١٥).

وفي الواقع فأن المختصين لم يتفقوا حتى الآن حول أصل هذه الكلمة، أهي سومرية أم أكدية أم انها غريبة الأصل ؟ إلا ان بعضهم يعتقد ان أصلها لابد أن يكون من أحدى هاتين اللغتين، ومع هذا فليس من السهولة بمكان تبيان أصل نطق الكلمة وتاريخها في كلتا اللغتين السومرية والأكدية لكن من الأفضل تفسير الكلمة على انها سومرية لارتباطها بالطقوس الدينية، إلا انها من الصيغ الشاذة، من المعتقد ان أصل العيد الأنف الذكر كان للاستسقاء أي إنزال المطر بطرق سحرية على نحو ما يفعل كثير من الأقوام في مختلف العصور وعلى هذا الاحتمال يمكن تحليل كلمة آكيتو على أنها كلمة سومرية مركبة على الوجه التالي :

a-ki(e)-ti-a)

a هي كتابة مقطعية ل" a" التي تعني الماء ومجاز المطر و (ki) بمعنى أرض و " e " هي أداة ظرف المكان المبهم التي تعبر عن القرب المباشر، وقد اختفت في كلمة آكيتو لاندفاعها مع حرف " ا " السابق لها و "ti " بمعنى يقرب.

إن إعطاءنا الفعل " ti" معنى يقربه يعتمد على المصطلح الاقتصادي su-ti ويعني حرفيا" تقريب اليد إلى شيء ما أي بمعنى يتسلم وعليه (a-ki-ti) بمعنى تقريب الماء إلى الأرض أي إنزال المطر لأن (ti- a) هي صيغة المصدر، ويمكن ترجمتها بمعنى " إنزال " ولهذا السبب نعتقد أن عيد آكيتو كان موجودا" في العراق قبل ظهور الكتابة المسمارية بفترة طويلة.

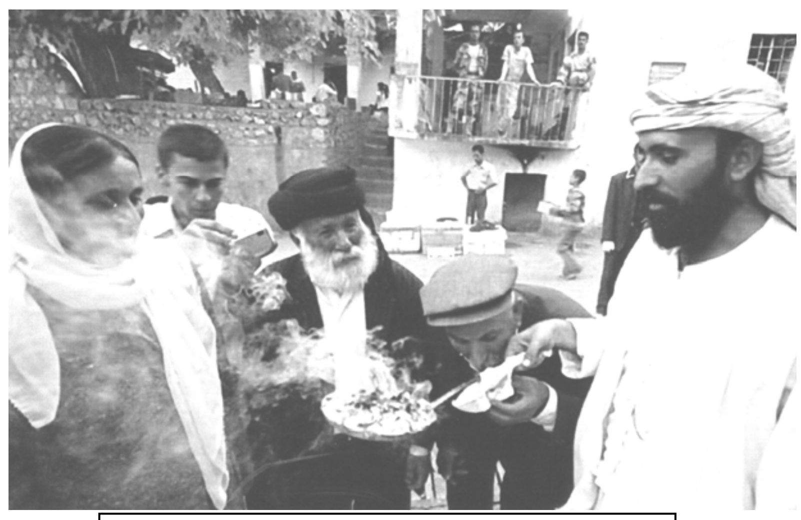
ومن المعلومات المتوفرة تاريخيا" لدينا تبين ان الطرق وبالأخص مدينة بابل كانت تعاني في بداية الألف الأول قبل الميلاد من هجمات بعض قبائل البدو الآراميين ومن هجمات الفرس الاخمينيين في الفترات المتأخرة ، وهذا يدفعنا إلى الظن بان احتفالات عيد آكيتو للفترة المذكورة كانت معرضة للإلغاء باستمرار وبالفعل فأن النصوص العائدة إلى نفس الفترة قدمت لنا إشارات عديدة حول إلغاء احتفالات عيد آكيتو، وقد ورد في تاريخ السنة الخامسة عشرة من حكم الملك (اي - اولماش - شاكن - شومي) بحدود (١٠٠٠ق.م) بأن الإله مردوخ لم يخرج في نيسان وبعد عشر سنوات من التاريخ المذكور، لدينا خبر آخر يعود إلى زمن الملك (نبو - موكن - ايلي) مفاده ان الإله مردوخ لم يخرج تسع سنوات متتالية وكذلك الإله نابو، وأيضا جاء في أخبار السنة التاسعة من حكم الملك البابلي

(نبونائيد) بحدود (٥٥٥- ٥٣٩ق.م) لم يذهب الملك في شهر نيسان إلى بابل ولم يذهب الإله نابو إلى بابل ولم يخرج بعل بسبب إلغاء احتفالات عيد آكيتو .

[٦٢]أخذ عيد آكيتو بالانتشار ليشمل معابد معظم المدن في بلاد وادي الرافدين وكانت مراسيمه تدور حول نقطتين أساسيتين في معتقدات البابليين، الأولى قصة الخليقة البابلية (انما - الش) التي تروى قصة الصراع بين الآلهة القديمة بزعامة تيامة والآلهة الفتية بقيادة مردوخ الإله الأعظم لبابل وهو الصراع الذي انتهى بمقتل تيامة وقيام مردوخ بشطر جسمها إلى شطرين خلق منهما السماء والأرض، والثانية هي الزواج المقدس، تبدأ أعياد آكيتو في اليوم الأول من نيسان وتستمر أحد عشر يوما" وكانت الأيام الأربعة الأولى مخصصة لإقامة الصلوات وقراءة التراتيل والأناشيد الدينية في معبد ايساكيلا الخاص بالإله مردوخ، وفي مساء اليوم الرابع يقوم الكاهن بقراءة قصة الخليقة البابلية كاملة والتي تحكي، كما قلنا قصة انتصار الإله مردوخ على تيامة وجيوشها، أما اليوم الخامس فأنه مخصص للقيام بطقوس التطهير إذ يقوم كاهن متخصص برش المعبد بالماء المقدس وبترتيل تراتيل معينة ثم يحرق البخور ويذبح كبشا" ويمسح جدران المعبد بدمه لأجل أن يزيل ذنوب السنة بكاملها، بعد ذلك يلقي بالكبش في مياه النهر وكان على هذا الكاهن أن يبقى خارج المعبد في العراء إلى حين الانتهاء من احتفالات عيد السنة لانه أصبح في اعتقادهم نجسا" من خلال تلك العملية، وفي هذا اليوم أيضا يصل الملك إلى المعبد ويقوم الكهنة بتقديمه إلى تمثال الإله مردوخ ثم يترك لوحده مدة من الزمن، بعد ذلك يدخل كبير الكهنة فيخلع عنه تاجه وشارات الملوكية ويضعها أمام تمثال الإله، عندئذ يركع الملك أمام الإله ويردد اعترافا يؤكد فيه انه لم يذنب ولم يهمل وأنه عمل على حماية بابل والحفاظ عليها وعلى معبدها العظيم ايساكيلا وأقام الطقوس والشعائر الدينية على أتم وجه، بعد ذلك يصفع الكاهن الملك على وجهه ويعرك (يفرك) أذنه وكلما كانت الصفعة أقوى كانت ضمانا" أكيدا" لرضى الإله مردوخ وبركاته، والراجح ان هذا الأجراء من جانب الكاهن كان لتذكير الملك بطبيعته البشرية لكي لا يصيبه الغرور فالحصول على رضا الإله أمر واجب وان استمراره في الحكم مرهون بموافقته ، وفي مساء اليوم نفسه يشارك الملك والكهنة في نحر ثور أبيض ضحية

[٦٢] (حضارة العراق - الجزء الأول - مجموعة باحثين " د. فاضل عبد الواحد علي" - ص٢١٦ ، ٢١٧).

للإله نبو (ابن الإله مردوخ) الآتي إلى بابل قادما" من مدينة بورسيبا (معبد أيزيدا) المجاورة كما تصل آلهة أخرى من نفر الوركاء وكوثي وكيش، أما



شكل(٣٣)

رجل دين أيزيدي يؤدي طقس البخور

مراسيم الأيام الخمسة المتبقية من عيد آكيتو فانها لم تصل إلينا لحد الآن ولكن هنالك إشارات عديدة إلى تفاصيل عن أعياد رأس السنة البابلية في نصوص مسمارية متفرقة تشير إلى ان مشاركة الملك في هذه الأعياد أمر واجب وانه إذا تعذر حضوره تلغى الاحتفالات مثلما حصل زمن الملك نبونائيد، من جهة أخرى كان عيد آكيتو يتضمن مسيرة كبرى إلى بيت آكيتو الذي ربما كان معبدا" يقع على مقربة من قناة خارج أسوار المدينة، وكانت المسيرة إلى بيت آكيتو تمر خلال بوابة عشتار المزينة بالأجر الملون تمثل الثيران والاتنان وكان الملك في مقدمة المشاركين في هذا الموكب حيث أنه " يمسك بيد الإله مردوخ " على حد تعبير النص البابلي يقوده من معبد ايساكيلا إلى بيت آكيتو، ويعتقد بعض الباحثين انه بعد وصول موكب الإله إلى بيت آكيتو تجري تراتيل قصة الخليقة البابلية وتمثيل وقائعها للتأكيد على ضرورة انتصار قوى الخير المتمثلة بالإله مردوخ على قوى الشر (تيامة) انطلاقا من الاعتقاد القائل بإمكانية استحداث الشيء عن طريق تقليد عملية حدوثه من خلال الطقوس، كما يعتقد أيضا ان الأيام المتبقية من

عيد رأس السنة البابلية كانت تتضمن طقوس الزواج المقدس وتقرير المصير للسنة المقبلة.



شكل ٣٤)

احتفالات الشعب البابلي بعيد رأس السنة (اكيتو)

[٦٣]تبدأ مسيرة موكب الإله نابو في مدينة بورسيبا إلى بابل في اليوم الخامس من نيسان وكانت نقطة أنطلاق المسيرة من منصته المصنوعة من الطابوق والقار الخاص بالمعبد اي- شيدو - انا ويذهب أولا" إلى حجرة تقرير المصائر التي زينها الملك نبوخذنصر بالفضة (نركال - اواصر - ٥٥٧ - ٥٥٥ ق.م) بالذهب، ويبدو أن الإله نابو يستخدم في ذهابه إلى الحجرة المذكورة العربة وليس السفينة فيمر أولا" بطريق مرصوف بأجر ناصع اللون ويستمر هذا الطريق حتى البوابة العالية وبعدها يبدأ شارع الموكب المرصوف بالأحجار الحمراء المهندمة وخلال مسيرة موكب الأله نابو عبر شارع الموكب يستريح عند البوابة الملونة لحجرة تقرير المصائر وقد تستمر هذه الاستراحة حتى صباح اليوم التالي أي إلى يوم ٦ نيسان وبعدها يبدأ الموكب مسيرته باتجاه النهر عبر بوابة الدخول، وعند اجتياز الموكب البوابة المذكورة يكون بذلك قد غادر منطقة " أي - زيد " الخاص بمدينة

[٦٣] (مجلة سومر - الجزء الأول والثاني - المجلد السادس والأربعون - ص١٢٥ - ١٢٦).

بورسيبا.ويركب الإله نابو خارج أسوار المدينة السفينة ويسير شمالا" باتجاه مدينة بابل وعند مرسى الإله نابو في بابل تربط السفينة ويكمل الموكب مسيرته عبر الطريق المسمى بطريق الإله نابو وعبر البوابة المدعوة اوراش والمصوفة بأن عويلها (يرعب) العدو وبعدها يمر عبر شارع الموكب الخاص بالإله نابو والمدعو نابو حاكم رعيته حتى مدخل أيزيدا الخاص بمعبد ايساكيلا (وشارع الموكب هذا قد رفع مستواه الملك نبوخذنصر ورصفه بالطابوق والقار)، وبعد استراحة يقضيها الإله نابو في أيزيدا الخاص بمعبد ايساكيلا الذي كانت بوابته مغطاة بالذهب الأحمر يذهب لزيارة والده مردوخ، والواقع لا يمكننا أن نعرف بالضبط مدة بقاء الإله نابو في كل محطة من محطات الطريق الذي قطعه، وبعد انتهاء احتفالات رأس السنة يعود الإله نابو إلى مدينته ويصادف وصوله إلى حجرة تقرير المصير الخاصة بمدينة بورسيبا في اليوم الخامس عشر من نيسان ومنها يعود ثانية لمنصته في معبد ايز-شيدو-انا، يمكن أن نرتب أيام الاحتفالات الخاصة بعيد رأس السنة في مدينة بابل بحسب التقويم الآتي :

١-٤ نيسان : لا توجد لدينا معلومات عما يجري في اليوم الأول من نيسان من طقوس خاصة باحتفالات عيد رأس السنة - آكيتو - ولكن أحداث الأيام الثلاثة التالية لليوم الأول تعطينا القناعة لان نفترض بان أحداث اليوم الأول تشابه أحداث الأيام الثلاثة التالية له، وهذه الأحداث كانت عبارة عن إجراء التطهيرات اللازمة للمعبد وتلاوة الصلوات وإجراء الطقوس الدينية التي تمهد لاحتفالات الأيام التالية، هذا وفي نهاية اليوم الرابع يقوم كاهن "اوري كلو"بتلاوة قصة الخليقة.

٥- نيسان : يوم الكفارة عن الملك.

٦- نيسان : وصول موكب الإله نابو وبقية الآلهة المشاركة في الاحتفالات إلى مدينة بابل بواسطة القوارب.

٧ - نيسان : زيارة الإله نابو لوالده الإله مردوخ ، وعلى أغلب الظن يمثل في هذا اليوم بشكل رمزي نزول الإله مردوخ إلى جبل العالم السفلي ومجيء الإله نابو لتحريره، وفي هذا اليوم و اليوم التالي له تكون المدينة في حالة هياج .

٨- نيسان : تقام تمثيلية رمزية يعرض خلالها عمل الإله نابو على تحرير والده الإله مردوخ من حجزه في جبل العالم السفلي .

٩ - نيسان : يوم الفرحة بانتصار الإله مردوخ على قوى الظلام وتصور هذه الفرصة بمسيرة موكب الإله مردوخ وبقية الآلهة إلى حجرة تقرير المصائر وهناك يقدم إلى الإله مردوخ ولاء الطاعة، وبعد ذلك يبدأ بتقرير المصير للملك والأيام التالية.

١٠ - نيسان : مغادرة الموكب حجرة تقرير المصير وتكملة مسيرته حتى بيت آكيتو بواسطة السفن، وفي بيت آكيتو يقوم الملك ببعض الطقوس ويعرض هداياه الخاصة بالمناسبة ومن ثم يجد نعمة الآلهة عليه، ومن المعتقد أنه كانت تقام بعد ذلك وليمة كبرى .

١١ - نيسان : يوم عودة الموكب إلى مدينة بابل من أجل إنجاز عملية الزواج المقدس في مساء اليوم نفسه .

١٢ - نيسان : تبدأ عملية ثانية لتقرير المصائر تتبعها إقامة وليمة ونهاية الوليمة تمثل خاتمة الاحتفالات، هذا وقد يجوز ان تبدأ الآلهة بالرجوع إلى مدنها في نفس اليوم أو في الأيام التالية لأننا رأينا فيما تقدم بأن رجوع الإله نابو إلى حجرة تقرير المصائر الخاصة بمدينة بورسيبا يصادف في اليوم الخامس عشر من نيسان.

يستمد التقويم الأيزيدي من عيد رأس السنة السومرية البابلية (آكيتو)، حيث يصادف عيد رأس السنة الأيزيدية (العيد القومي والديني الأيزيدي) في أول أربعاء من شهر نيسان من كل عام بحسب التقويم الأيزيدي (التقويم الأيزيدي يتأخر ثلاثة عشرة يوما" عن التقويم الميلادي)، و التقويم الأيزيدي يسبق التقويم الميلادي ب(٤٧٥٠) سنة من الآن، أي بهذه الصورة (٤٧٥٠ ق.م + ٢٠٠٩ ميلادي = ٦٧٥٩ أيزيدي).

الشعب الأيزيدي نظم أموره وأحواله وقضاياه ضمن الواقعين المكاني والزماني بالاستناد إلى هذا التقويم الرافديني وظل يمرر ذاته بالتعكز إلى تقويم آبائه وأجداده آكيتو و بالرغم من الظروف التي كادت أن تمحوه من الوجود، حيث أتسم الانضباط لدى الشعب الأيزيدي بالقوة الوجدانية الباطنية التي تغزو الفكر المجرد من الواقع الطبيعي من خلال الاتكال على هذا الإرث المجيد والذي ظل يدوّن أحداث ووقائع الأنشطة والأفعال الأيزيدية وإلى يومنا هذا ، التوغل في الأركان العملية والفكرية التي تسهم في خلق النظم والقيم، يعتمد بالأساس على

مدى توثيق مدياتها ومضامينها بالعامل الزماني، هذا الاقتران ما بين الوقائع والأحداث تمسك به الإنسان الأيزيدي وأصبح بمثابة مصدر ومركز انطلاق المراحل التاريخية والأدوار الأيزيدية في الماضي والحاضر.

إن المبدأ الذي سار عليه الشعب الأيزيدي طوال مسيرته التاريخية تتعدد فيه المنافع والآراء الجلية وآمن بجوهر الامتداد إلى الحضارة العراقية القديمة والتي تعتبر عندنا الذات الواحدة، بلوغ التحديات الناجمة من التحولات الانتقالية التي منعت فرض أحكام هذا الامتداد دفع بالشعب الأيزيدي إلى أعادة أمجاد هذه الانتصارات ضمن تحديد وقائعه التاريخية وخاضعا" بذلك للرجوع إلى ذاكرة وأرشيف التقويم السومري البابلي الأيزيدي الذي يعد المسلسل الذي يحوي كل الحلقات التاريخية الأيزيدية، هذا التقويم حدد الولاء الأيزيدي التام صوب مجده وقدره المبارك في الوقت الذي يفتخر الإنسان الأيزيدي بالارتقاء إلى هذا التقويم السومري البابلي الذي يعد إنعاشا" دائما" للشعب الأيزيدي واتكاله عليه جاء ليستطلع المقابل بما يحمله من حضارة ومنجزات خلابة تتضمن قيما" إنسانية وأخلاقية مطلقة وهي تعتبر كمحتوى ينتمي إليها شعبنا لتمجيد مشاريعه وأفكاره وماضيه على أكمل وجه نحو الأفضل والأنسب، التقويم السومري البابلي (آكيتو) يمثل اعتبارا" معنويا" وتراثا" حيويا" وثباتا" وقوة مادية وفي ذات الوقت يشكل أيضا ظاهرة حضارية دافعت ومازالت تدافع عن مفهوم إيجابي خاص تجاه المواقف المناقضة والهدامة التي جابهت في العهود المنصرمة والراهنة، الإدراك بشأن هذا الواقع الضروري الذي ينطوي على أواصر التقدم والازدهار لواجب وعقيدة شاملة تقدس الحياة والكرامة الإنسانية بالنسبة لتطلعات الإنسان الأيزيدي .

الولوج في عمل تأسيس واقع اجتماعي عقائدي يستطيع من خلاله الإنسان الأيزيدي أن ينظم ذاته وسلوكه وأعماله وأفعاله وأفكاره وكل ما يتعلق بحياته في زاوية خاصة من زوايا التاريخ الرافديني دفعه إلى أن يوثق تلك الأعمال والبطولات وفق واقع يحفظ مدوناته وأرشيفه وذلك من خلال هذا التقويم، التقويم السومري البابلي الأيزيدي يعتبر التحدي الأكبر بالنسبة لتلك المراحل والحقب التاريخية ، فتقويم آكيتو هو أحد أهم مقومات الحضارة الرافدينية القديمة وهو يعد حلقة وصل ما بين ماضي وحاضر هذه الحضارة، وبما أن التقويم السومري البابلي موجود عند أحفاده الشعب الأيزيدي فهذا يعني بأن بلاد ما بين النهرين سارية في مجدها وحضارتها وعجلة تقدمها وتطورها لم تتوقف عند نقطة معينة، و بقى الشعب الأيزيدي محافظا" على امتداده التاريخي والحضاري السومري البابلي هذا، و أحد أهم أركان هذا الامتداد الجذري هو التقويم الأيزيدي الذي يستمد من التقويم السومري البابلي (آكيتو).

الفصل الثاني

مراحل نشوء القومية الأيزيدية

الفصل الثاني

مراحل نشوء القومية الأيزيدية

توطئة :

أصبحت قضية البحث عن الهوية القومية العنوان الفكري والسياسي الأبرز في أجندات الإنسان والمجتمعات المعاصرة بصورة عامة وخصوصا" في المجتمعات الشرقية، وإذا ذهبنا مع المثل الروماني القديم والقائل بأن كل الطرق تؤدي إلى روما أو إلى المثل العربي الذي يقول بأن كل الطرق تؤدي إلى الشعر، فأنا بدوري أقول بان في عصرنا الراهن كل الطرق تؤدي إلى المعترك الذي يتطلب ضرورة إبراز الهوية القومية للشعب ، فما يحصل في منطقتنا الشرق الأوسطية من اندلاع للحروب وظهور ردود الأفعال المتأججة ما بين الدول أو بين المكونات الإثنية للدولة الواحدة سببه قضية البحث عن الهوية القومية بنسبة عالية تفوق حجم باقي المشاكل الأخرى، في وقتنا الحاضر إن لم يملك أي شعب هويته القومية فسوف يزول عاجلا" أم آجلا" من الخارطة البشرية والاجتماعية والتاريخية، ونتيجة لهذه المعضلات التي تقف إزاء بقاء الكيان المجتمعي من عدمه نحن مضطرون إلى أن نثبت للشعب الأيزيدي هويته القومية المتمثلة بالقومية الأيزيدية والتي تتوفر لها المقومات الحضارية والتراثية والعديد من الركائز القومية الأخرى، العمل على المنطلق القومي الأيزيدي ليس ردة فعل أو إمكانية للجوء إلى اصطناع هوية قومية زائفة بهدف تغطية أو ملء الفراغ الناشئ عن عدم وجود الهوية القومية لشعبنا ، في وقتنا الحاضر يتوجب للشعب امتلاك هوية قومية بغض النظر عن إيمانه بها من عدمه وان لم ينخرط في هذا المضمار فهناك كثير من الشعوب المتنفذة ستقوم بملء الفراغ الناجم عن هويته القومية غير القائمة وبعناوين هويات قومياتها سواء من باب الرضا أو القسر، ورب سائل يسأل ، لماذا إلى وقتنا هذا لم تكن للشعب الأيزيدي هويته القومية بصريح العبارة ؟ سؤال محترم وسيجابه جوابا" محترما" أيضا، قلت أكثر من مرة بان الشعب الأيزيدي ظل يعاني من الويلات والمجازر إلى عام ٢٠٠٣ (سقوط النظام

الدكتاتوري في العراق وبزوغ الحرية والديمقراطية) وبمجرد زوال الظلم فقد باشر الإنسان الأيزيدي بالنضال من أجل نيل حقوقه القومية المشروعة، هذا يعني ان غياب هوية القومية الأيزيدية للشعب الأيزيدي طوال الفترة المنصرمة كان بسبب الأنظمة الحاكمة والتي منعت الشعب الأيزيدي من الارتقاء بالمشروع القومي الأيزيدي وبيان هويته القومية، و المثول أمام هذا الواقع القومي لشعبنا الأيزيدي ليس كما أشرت إليه من باب ملء الفراغ فقط بل لشعبنا تاريخ حافل وتراث ثري وحضارة مباركة فيها من الأركان والمداميك والمقومات ما لا يعد ولا يحصى وهي تتلائم وتدخل في استنهاض وتقدم أي مشروع آني أو مستقبلي ولتطبيقه على الأرض، والقيام بهذا الواجب الشريف هو لإبراز ما يمتلكه الشعب الأيزيدي من مقومات تاريخية وحضارية وتراثية للرأي العام المحلي والأممي، ويقينا" فان عدم استجابة الشعب الأيزيدي إلى هذا المعترك القومي سيؤدي إلى زوال تلك العناصر التاريخية لشعبنا يوما" بعد يوم وتتصدع وتتآكل في ظل أعباء الظروف السلبية وفي كل الأحوال فأن بزوغ تلك المقومات الحضارية التي تنضوي تحت لواء القومية الأيزيدية فيه نفع تجاه الذات والمحيط وهو أفضل وأنسب من أن تكون تلك المعطيات في الخفاء أو تحت الأنقاض.

الدعوة إلى بزوغ هوية القومية الأيزيدية للشعب الأيزيدي تهدف إلى :

- التأكيد على استقلالية الشعب الأيزيدي وبيان انتمائه الحضاري الرافديني.
- إبراز الحقيقة التاريخية والحضارية المطلقة للشعب الأيزيدي والمقترنة بصحة الواقع التاريخي الرافديني وإفرازاته غير المتصدعة بتآكلات الأزمنة والأمكنة.
- توجيه فكرة الإنسان الأيزيدي إلى قواعد خاصة تهدف إلى تثبيت سلوك النظم المجتمعية الموحدة في الكيان الجغرافي والسكاني والاجتماعي الواحد وليس الانحياز إلى الواقع العنصري الذي يتشبث بذاته فقط .
- الدعوة إلى سلوك ومجاراة القيم الأخلاقية والإنسانية التي يقيم تحتها الوئام والتآزر والوفاق ونبذ الحقد والبغض.
- الأخذ بالتعددية الفكرية لتنوير المجتمع الأيزيدي وضرورة انتهاجه للمنطق الذاتي الإيجابي لدرء المخاطر والسلبيات عن كيانه وليس الاتكال على الغير في تنفيذ هذه المهمة الحساسة .

- شق طريق النضال السلمي في تحقيق كل قصد من مقاصد الواقع القائم وضمان تحقيق النظرة المستقبلية للشعب الأيزيدي ووطنه الرافديني .
- ضبط نظم التربية والأخلاق وفق منظور خاص يتبناه الشعب الأيزيدي في تطلعاته وأهدافه النيرة الآنية والمستقبلية .
- الاقتراب من المقابل وليس إلغاؤه بهدف العمل معا" لنيل الأهداف والمبادئ الإنسانية والوطنية.
- الحفاظ على التطور والنمو الطبيعي الأيزيدي بثوبه التاريخي والحضاري والإيمان بالحقيقة العقائدية الأساسية التي تستمد من الموروث الحضاري والتراثي السومري البابلي .

هذه الأهداف وأهداف أخرى كلها تجب عن التساؤلات المتشككة بوجود القيم الحضارية الأيزيدية بتأن وإخلاص و بأجوبة تثري الواقع وتجاوزه وتعطي الحقيقة الدامغة أمام كل متشكك بتاريخنا وحضارتنا ومقومات قوميتنا كما إنها تحقق بالمستجدات والتداعيات قبل الولوج في هياكلها الظاهرية و الضمنية وهذه البادرة بطبيعة الحال ستقود المجتمع الأيزيدي إلى بر الأمان وستحقق كل رغباته الموضوعية بعقلية إيجابية لا تصطدم بالواقع إلا إيجابا"، كما ان مقومات القومية الأيزيدية ستعاصر الوجود القائم بفخر واعتزاز ومن جهة أخرى ستثقف ذاتها بذاتها ان تطلب الأمر مع انها تتسم بالانفتاح والتعددية وتنسجم مع العقائد الإيجابية السليمة للمحيط، وتجدد قابلياتها الفكرية بدقة عالية ، هذه الصفات وغيرها تعتبر منفعة عامة تبرر الجهود من أجلها والخضوع تحت لوائها.

المبحث الأول

الإثنودينية الأيزيدية

[٦٤]يتمسك معظم العلماء بنظرية أحادية المركز التي تقول ان التفاوت العرقي جرى بعد نشوء هيئة الإنسان المعاصر في مركز واحد (يعتقد انه في شرق البحر المتوسط والمناطق المجاورة لجنوب أوربا وشمال أفريقيا وغرب آسيا)، وفي نهاية العصر الحجري القديم على الأرجح ظهر مركزان لنشوء الأجناس وهما المركز الغربي (شمال شرق أفريقيا وجنوب غرب آسيا) والمركز الشرقي (في جنوب شرق وشرق آسيا) وفي فترة لاحقة توزعت المجموعات البشرية على الكرة الأرضية وامتزجت فيما بينها فكونت الأجناس المعاصرة.

[٦٥]لقد توصل العلماء الجيولوجيون إلى ان أحدث فترة جيولوجية في تاريخ الأرض الطويل هي الفترة المسماة (بليستوسين) ويتميز هذا العصر بتطور الأنواع البشرية وظهور النوع البشري الذي ننتمي إليه والذي ينطبق عليه اسم (الإنسان العاقل، ففي هذا العصر سارت الإنسانية في تكوين حضارتها الأولى التي انبثق فيها الفكر الإنساني الأول وقد أختلف الجيولوجيون في تقرير مدة هذا العصر إلا انه يمكن حصره في الفترة التي تبدأ قبل حوالي ستمائة ألف عام وتنتهي في حوالي ١٥ ألف سنة قبل الميلاد، أي ما يساوي أكثر من نصف مليون سنة.

---

[٦٤] (إثنوغرافيا شعوب العالم الدكتور مجيد حميد عارف - ص٨٠).

[٦٥] (تاريخ حضارة وادي الرافدين - الدكتور احمد سوسة - ص١٢٠).

[٦٦] كانت القبيلة أول صورة للنظام الاجتماعي الدائم ونقصد بالقبيلة جماعة من أسرات ترتبط بأواصر القربى وتشغل بقعة من الأرض على سبيل الشيوع ولها طوطم مشترك وتحكمها حكومة بعينها وفق قوانين معينة .

[٦٧]عن تشكيل القبيلة لقد وطد التطور التدريجي لقوى الإنتاج والانتقال إلى الحياة المقيمة التجمع التعاوني البشري، ونجم عن هذا كبح "الفردية الحيوانية"، وبارح القطيع البدائي المكان لتنظيم اجتماعي أرقى، أرتقت البنية القطيعية أساسا" في ثلاثة مناحي، بداية، مكن نمو إنتاجية العمل الناس من الحياة في تجمعات أقل عددا"، أتت من القطيع لكنها استمرت في إقامة علاقات اقتصادية معه، تعتبر هذه التجمعات متقاربة ويمكن أن تساعد بعضها، كانت قمة المجتمع البدائي (الشكل الاجتماعي الأساسي)، هي التجمع المبني على القبيلة أي التعاونية المتحدة بمصالح اقتصادية وروحية، التجمع البدائي العشائري (القبلي) الذي ولّد في ظل النظام الأمومي الجماعي.

[٦٨]مع مرور التشكيلات البشرية للنظامين الإقطاعي والرق ومع تطور التعاون الذاتي ما بين الشعب الواحد الفتي فضلا" عن تقوية الصلات الاقتصادية في كيانه ظهر نمط من الإثنية ترتقي بمستوى تطور أعلى و احتوت فئات القبائل والأقوام المختلفة في بيئة جغرافية ما كان يسير وفق أهداف وأفكار وأطر معينة بهدف مواجهة التأثيرات الآنية التي كانت تعترض مسيرة الإنسان فضلا" عن قيامها بالعمل من أجل تحقيق الطموحات الذاتية التي من شأنها ستدفع واقع عناصرهم القائم إلى الأمام بخطوات غير مسبوقة ومشهودة، الإثنية[٦٩] هي جماعة مستقرة

---

[٦٦] (الحضارات القديمة - الجزء الأول - إشراف ف. دياكوف / س. كوفاليف - ترجمة نسيم واكيم اليازجي - ص٢٣ ، ٢٧).

[٦٧] (قصة الحضارة - ول ديورانت-المجلد الأول (١ - ٢) نشأة الحضارة / الشرق الأدنى - ترجمة د. زكي نجيب محمود - ص٤٠).

[٦٨] (إثنوغرافيا شعوب العالم - الدكتور مجيد حميد عارف - ص١٦).

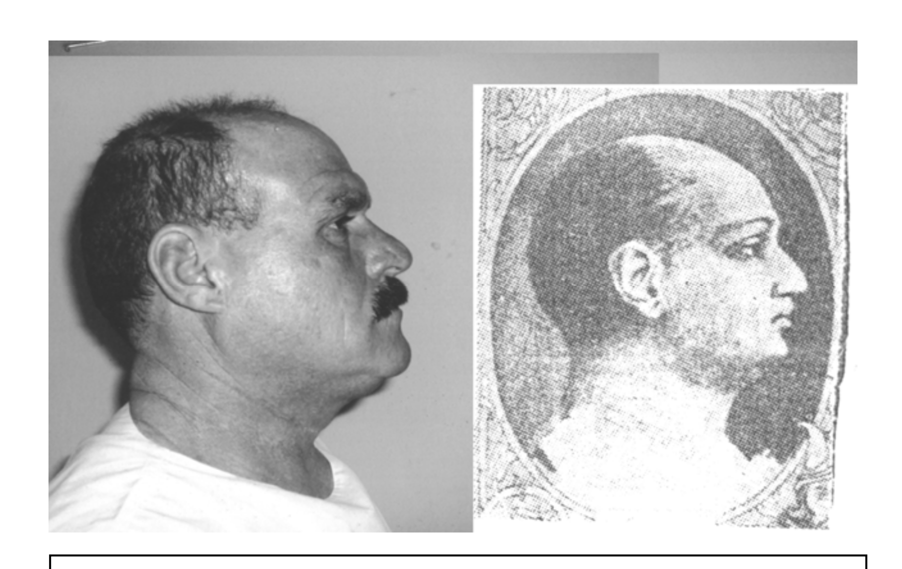
[٦٩] (إثنوغرافيا شعوب العالم - مجيد حميد عارف - ص١٥ : الإثنية كلمة ذات جذر لغوي إغريقي تعني شعبا" أو قوما" ، والمقصود بالإثنية مقومات رئيسية تتكون منها وتشمل اللغة والعادات والتقاليد والأعراف والمصالح المشتركة إضافة للتاريخ المشترك وهو في هذا مستقل

من البشر تكونت تاريخيا" على أرض معينة و أخذت دور الصراع الفطري مع مناحي الحياة المتعددة والذي تمخضت من جراء تفاعلها إفرازات سلبية واجهت أحوالها وظروفها الأجواء غير المستقرة والتي أدت إلى تضييق نظرتها النهضوية وتقييد حركتها التقدمية إلى حد كبير ، تلك الأجواء بالفعل أثرت وبشكل سلبي على مجمل متطلبات الحياة اليومية من القوت والمأمن وغيرها من الأمور الحياتية التي كانت تحيط بالإنسان ، وكل إثنية كانت تمتلك مجموعة من الصفات التي تشترك مع عدد من الإثنيات الأخرى المحيطة بها ، كما ان التركيب الإثني للبشرية يتغير باستمرار، ففي بعض الأحيان تظهر تشكيلات إثنية جديدة، ولكن التوحيد والاندماج بوجه عام يؤديان إلى تقليص أجمالي عدد الشعوب، هنالك ثلاثة عناصر مرت عبر مراحل التاريخ و أدت إلى نشوء ما تسمى بالإثنية، وهذه العناصر هي (القبيلة، القوم، الأمة) ، فان أقدم هذه العناصر تاريخيا" هي قبائل أو مجموعات نشأت في مرحلة نظام المشاعية البدائية، وهذه القبائل أو المجموعات تكونت في ظروف استثنائية ومرحلية نتيجة مخاض الأدوار والمراحل التي قام بها الإنسان البدائي وبمرور الوقت دفعت بالقواعد البشرية التي تشكلت على هيئة مجموعات وقبائل إلى الإدراك بالمخاطر الجمة التي كانت تلاحق نفوسها ما اجبرها على تكاتف بعضها ببعض بهدف التصدي للواقع اليومي المزري ، ذلك الواقع الذي كان صعبا" للغاية المكوث فيه ان لم تكن القبيلة أو المجموعة في غاية من الحذر واليقظة بأمورها الفعلية التي إذا تنصلت عنها عناصرها كان الفناء من نصيبها، لاشك ان أغلب هذه القبائل قد انقرضت من تسمياتها الأولية التي عرفت بها منذ أيام تأسيسها أو نشأتها في القدم ولكنها حافظت على عناصرها وتكويناتها العقائدية والاجتماعية والتي توارثت ذاتيا" جيلا" بعد جيل تحت مسميات وعناوين أخرى تحمل نفس المضامين والمحتويات والموروثات المعمول بها منذ القدم ، وهذا هو واقع معظم القبائل أن لم يكن كلها، كذلك هناك ظواهر طبيعية أخرى لها تأثيرات مباشرة على المجتمع أو البيئة، حيث أن المحيط الطبيعي يؤثر على المجتمع ما يؤدي به إلى تكوين تنظيمات اجتماعية متعددة لتساعده على مواجهة تحديات الظروف المحيطة أو التكيف لها

عن الرأس اي العناصر البشرية التي تورث بايلوجيا" في حين تكون المجاميع الإثنية ناتجة عن التطور الحضاري التاريخي للمجتمع).

سواء كان ذلك في استغلال ما تقدمه البيئة من ثروة أو في شكل التحكم في ظروف البيئة.

[٧٠] " تؤكد أنثربولوجية السومريين على ان آثار السومريين تدل على انهم كانوا قصار القامة ممتلئي الجسم ذوي جماجم مستديرة وحواجب بارزة ، وكانت رؤوسهم مكتلة الشكل على وجه التقريب ، جباههم منسرحة قليلا" إلى الوراء تكاد تكون مربعة وعيونهم مائلة إلى الأسفل ، أنوفهم بارزة مصفحة ليست كأنوف الأجناس السامية ، شعر رأسهم طويل مضفور بشكل ضفائر مرسلة على الكتفين من الأمام على الجانبين ". إن ما جاء في هذا المقتطف يصب في خانة الأنثربولوجيا الأيزيدية أيضا وخصوصا" سكان الشعب الأيزيدي في سنجار والذي يحمل إنثربولوجيا أسلافه السومريين والبابليين .



شكل(٣٥)

وجه سومري ووجه أيزيدي يبين مدى تطابق الانثربولوجية السومرية الأيزيدية

[٧٠] (تاريخ حضارة وادي الرافدين - الدكتور احمد سوسة - ص٣٧١) .

وقد أشرت إلى ان هنالك ثلاثة عناصر مرت عبر مراحل التاريخ أدت إلى نشوء ما تسمى بالإثنية وهذه العناصر هي (القبيلة، القوم، الأمة)، وأحد أهم هذه العناصر والذي يعتبر بالمنظومة الأولية و الأساسية في تكوين الإثنية هو القبيلة.

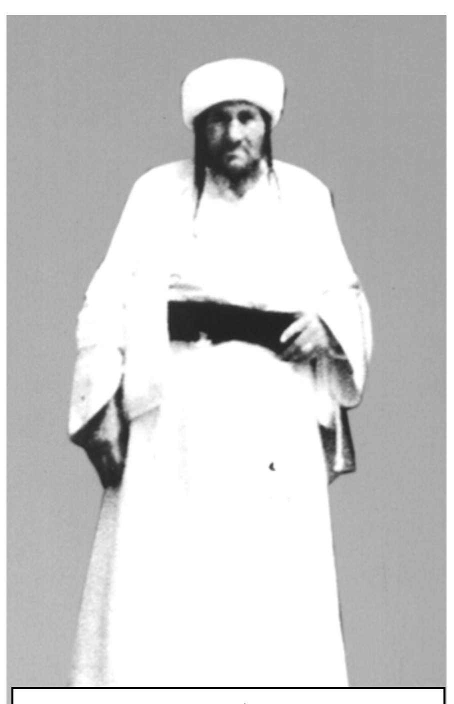
إن للقبيلة الدور المهم والبارز في الدفاع عن مبادئ الشعب الأيزيدي وما الوجود الأيزيدي القائم إلا خير دليل على ان القبائل الأيزيدية وعلى مر الدهور كانت السباقة في النضال من أجل بقاء المكون الأيزيدي ضمن كل وجود وهذا العمل البطولي كان نابعا" من شعور القبيلة الغريزي تجاه أرثها الرافديني وهي تعلم بان هذا الإرث لا يقدر بثمن ولا بأي شيء آخر فلولاه ليس للأيزيدي مكان في هذا الكون وهذا التعبير عميق بإحساسنا وشعورنا وجاء ليؤكد بان الشعب الأيزيدي يعني التراث والحضارة والتاريخ القديم وفي الأتجاه المقابل فحينما نتحدث عن التراث والحضارة والتاريخ القديم فكأنما نقصد الأيزيدية وهذا ليس انحيازا" باطلا" بل الحقيقة بعينها، لابد أن أنحاز إلى الدور الرئيس الذي لعبته القبيلة في مضمار نشوء الإثنية الأيزيدية، حينما ظهر معتقد الإله نابو كانت القبيلة في أوج عظمة التطور والرقي وهي لعبت أدوارا" مشرفة تجاه إيمانها المطلق بمعتقد الإله نابو فلولا القبيلة ومساندتها له لما انتشرت رقعة مؤمني نابو بالسرعة القياسية.

إن للقبائل الأيزيدية جذور في القدم من التاريخ الرافديني ومازالت عدد من كياناتها شاخصة وباقية إلى يومنا هذا وهي تتجدد بأدوارها التاريخية البارزة في بناء المجتمع الأيزيدي والرافديني على أكمل وجه، وعند الاطلاع على التاريخ الرافديني سنجد ان فيه إلها" يسمى سموقان = إله الماشية وكان له بالتأكيد مؤمنيه، وسموقا هي من أكبر قبائل الأيزيدية على الإطلاق وقاعدتها السكانية تتمثل في سنجار وهي تتمتع بأسلوب حياة خاص يختلف عن باقي الكيانات العشائرية وخصوصا" في تربية المواشي .



شكل(٣٦)

رجال أيزيديين من قبيلة سموقا الأيزيدية



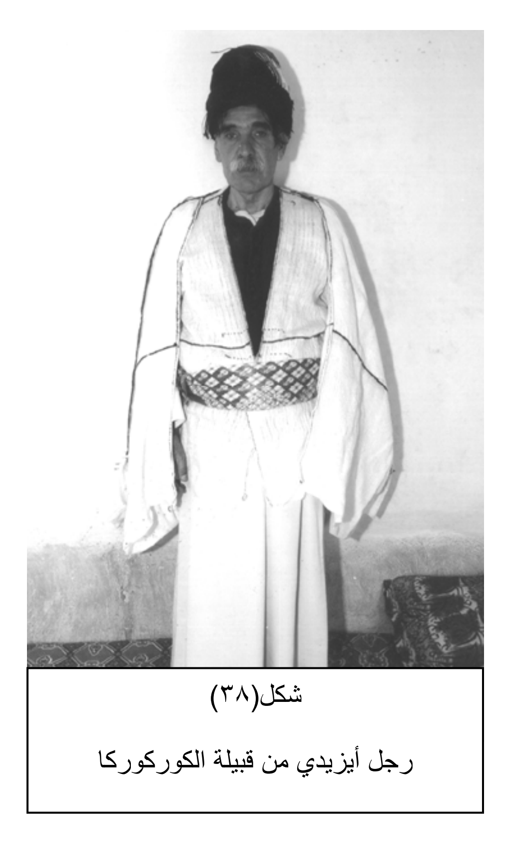
شكل(٣٧)

البابا جاويش وهو من طبقة البير

لدى المجتمع الأيزيدي طبقة البير والتي كانت قبل مجيء الشيخ عدي بن مسافر (ع) على هيئة قبيلة وفي نفس الوقت شريحة دينية واجتماعية مهمة و تعد أحدى أهم الطبقات الدينية في واقعنا الراهن وأقدمها على الإطلاق والتي يعود تاريخها لآلاف السنين بحسب طروحات علماء الدين الأيزيديون ، وما يعضد هذا الرأي التاريخي والسديد من الناحية الواقعية[٧١] هو نص عثر عليه في معبد عشتار للفترة (٤٨٩ - ٤٨٥ ق.م) و النص عبارة عن عبدة تشتري حريتها وحرية أبنائها الستة وجاء في هذا النص :

(.... بير) اقويا، والتي على (يدها اليمنى أسم نابو شوم اش) كن، والد طابيا، بل او بالط....ويلي ذلك : بير وقايا، بل ابالط، بل ادين، بل اشلم، نابو دالا..... الخ "، هذا هو النص الذي ذكرت فيه كلمة بير ولمرات عديدة كما توجد هذه الكلمة في نصوص أخرى وكلها تدل على ان تسمية (البير) قديمة وجذورها تصل إلى ما قبل الميلاد، وغالبا" ما يتطرق علماء الدين الأيزيديون إلى ان عناصر طبقة البير هم من مؤمني طاوسملك الأولين (الإله نابو)، وفي هذا السياق يردد البعض من الكتاب ان كلمة البير فارسية وتعني شيخ الطريقة وهذا غير صحيح لكون كلمة البير يعود تاريخها إلى زمن إمبراطورية بابل وبعد سقوط الأخيرة وسيطرة الأخمينيين والساسانيين على زمام أمورها تم أخذ هذا المصطلح وبقية المصطلحات الأخرى من أرث بابل إلى الحضارة الفارسية .

[٧١] (مجلة سومر - المجلد السابع والثلاثون - الجزء الأول والثاني - صفحة ٦٦).



شكل(٣٨)

رجل أيزيدي من قبيلة الكوركوركا

قبيلة الكوركوركا من القبائل المعتبرة والكبيرة في مجتمعنا الأيزيدي و تتمركز في مدينة سنجار، وتسمية هذه القبيلة (الكوركوركا) ذكرت في التاريخ القديم الذي يسبق التقويم الميلادي وجاءت ضمن العبارة التي تفيد بأنه[٧٢] " يقع بيت آكيتو آشور خارج أسوار المدينة (آشور) وإلى الشمال من بوابة (الكوركوركي) "، وحكاية الأبواب تأتي على خلفية قيام الإمبراطوريات والممالك بإقامة الأسوار العالية حول مدنها وعواصمها خشية من الاعتداءات المتكررة على كياناتها وهذا ما دفع بالمدافعين عن بلادهم ومدنهم بصورة خاصة إلى بناء أسوار عالية تحتوي على عدة أبواب ، وهذه الأبواب كانت تسمى باسم المناطق أو الشعوب أو القبائل الكبيرة ذات النفوذ القوي والتي كانت تواجه أو تقابل تلك الأبواب ، أما التسمية التي أطلقت على البوابة بالكوركوركا والتي تمت الإشارة إليها آنفا"، فأنها لم تأت مصادفة ، بل ان السبب الذي جعل من تسمية هذه البوابة بالكوركوركا هو الوجود

[٧٢] (مجلة سومر - الجزء الأول والثاني - المجلد السادس والأربعون - راجحة خضر النعيمي - ص١١٦)

الحقيقي لهذه القبيلة في نينوى قديما" وحديثا" وكانت تمتلك مناطق مكتظة بعناصرها في مواجهة لباب المدينة الذي سمي باسم قبيلة كوركوركا .



شكل(٣٩)

أيزيدية تركيا ومن قبيلة الخالتا

كما أشرت إليه فانه ما تزال هنالك بقايا لقبائل وعشائر أيزيدية عريقة كانت لها تاريخ حافل في الماضي البعيد وهي حاضرة بكياناتها إلى الآن، ومن تلك القبائل، قبيلة الخالدية التي تعتبر من بقايا سكان المنطقة المسماة (ولاتي خالتا أو خالديا أو وطن الخالدية)، وبسبب القتل والترهيب والمحاولات التي جرت لسلخ الأيزيدية عن هويتهم الحقيقية وإجبارهم على الدخول في بودقات أخرى لا تمت للأيزيدية بصلة في بلاد الأناضول دفع بسكان الخالدية إلى ترك مناطقهم وعلى أثر هذه المواجهات العنصرية تفرق السكان وتشردوا إلى بقاع العالم ومنهم من هرب إلى أرمينيا وبقية جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق، وفي هذا الصدد يعضد طرحنا السيد طه باقر بقوله[٧٣] حول حضارة خلديا العريقة الآتي :" الإله الأعظم لحكومة اراراتو (الخلدية) الواقعة في أعالي بحيرة أورمية و وان أقام له ملكها (اشبوئيني) مسلة في كيلة شيني (قرب راوندوز) رمزا" لانتصاراته

[٧٣] (طه باقر - مقدمة في تاريخ الحضارات).

على الآشوريين (٨١٠ ق.م) "، كما وإذا أطلعنا على السناجق (الطواويس) الأيزيدية التي وزعت وفق الجغرافية الأيزيدية نرى بأن أحد هذه السناجق قد خصص لمنطقة الخالدية الأيزيدية بالنحو الآتي :

١- سنجق بلاد الهكارية ولالش.
٢- سنجق منطقة تكريت.
٣- سنجق لمنطقة سنجار وما يجاورها.
٤- سنجق لبلاد الخالدين.
٥- سنجق منطقة حلب والشام وحران وسروج وأورفا
٦- سنجق لمنطقة بلاد سعرت وشرقي الأناضول.
٧- سنجق لمنطقة قفقاسيا (بلاد المسقوف)

والقبائل الأيزيدية التي ذكرتها تعتبر غيضا" من فيض وهي التي ذكرها التاريخ القديم وفق المصادر المتاحة لي، وفي الاتجاه المقابل فأن للمجتمع الأيزيدي العشرات من القبائل المعتبرة والتي كان لكل واحدة منها الحجم السكاني الكبير والمنطقة الجغرافية الشاسعة التي احتوت سكانها و بمرور الزمن واستمرار الحملات الدموية على الشعب الأيزيدي فقد تضاءلت القبائل الايزيدية يوما" بعد يوم بسبب قتل عناصرها وفرار المتبقين إلى مناطق متروكة ونائية والقسم الآخر خضع إلى أجندات الأطراف الغازية، كيف ستبقى القبائل الأيزيدية ونحن ندرك بانه في حملة إبادة واحدة قادها أمير راوندوز (١٨٣١م) أستشهد فيها أكثر من مائة وعشرون ألف أيزيدي فضلا" عن عشرات الآلاف من الأسرى والمفقودين والفارين، إذا كان حجم حملة إبادة واحدة بهذه الخسائر الفادحة في الأرواح والممتلكات، فكيف بالقبيلة الأيزيدية وهي قد تعرضت إلى المئات من حملات الإبادة ؟

من أهم العشائر(القبائل) الأيزيدية المعاصرة في العراق والتي نجت من الحملات الدموية هي : بكران - بردحلي - بلسين - خالتي - بيريي - ترك - جيلكا - جلكا - جفريا - هبابات - حليقي - ختاري - خيسك - دملي - دنادية - رشكان - روبنشتي - سموقا – شهوان - فقراء - قائدية - قيران - ماموسي - مندكان - مسقورة - مهركان - هسكان - هكاري - هويرية - حراقية - الدخي - كوركوركا.

[٧٤]المجاميع البشرية عبر التاريخ ناتجة عن التعزيز والتطور الحضاري والتاريخي للمجتمع ، وتؤدي الحركة المجتمعية إلى تكوين عدد من التشكيلات الإثنية وبتسميات أخرى أشد تماسكا" وكثافة للسكان وتلاحما" إداريا" وثقافيا" واقتصاديا" ، ويمكن لنا أن نصف ذلك التركيب الإثني لهذه المجاميع المتطورة التي تمخضت عن مراحل الجهود البشرية الحثيثة عبر التاريخ بمصطلح " الشعب " الذي يعني جماعة من الناس تكونت تاريخيا" مرتبطة بأرض مشتركة نشأت عليها وبثقافة وإدارة مشتركة ارتأت لنفسها أن تكون وحدة واحدة تجابه القضايا المصيرية ، كما نرى بين التشكيلات البشرية جماعات إثنودينية، نشأت هذه الجماعات في العهود القديمة على الأغلب ، وقد أشرت سابقا" ان آلهة كل شعب على حدة كانت آلهة قومية ولم تتعد سلطتها حدود المنطقة القومية التي تقوم بحمايتها ، ومن ضمن تلك الظواهر أيضا، فقد اعتبرت المعتقدات والشعائر الدينية بمثابة أحدى السمات المميزة للقبيلة، وأدت بعض الفوارق الدينية في بعض الأحوال دورا" مهما في التمييز الإثني بين مجموعات السكان المتشابهة جدا".

إن تحديد التركيب القومي للسكان في سائر بلدان العالم مسألة بالغة الصعوبة والتعقيد وخاصة عندما لا تتوفر فيها إحصائيات مفصلة عن التركيب القومي، وكثيرا" ما يتعذر علينا أن نحدد ما الذي تمثله هذه المجموعة أو تلك من السكان، هل تعتبر هذه المجموعة شعبا" (أثنوسا") وجزءا" من الشعب (مجموعة إثنوغرافية) ومجموعة الشعوب (تشكيلات ما وراء الإثنية) أو تشكيلة ما أخرى سياسية، عرقية، دينية، الخ ؟

قبل ولادة عصر القوميات كانت الدول أو الطبيعة الجغرافية الإدارية تبنى على أساس ديني لا قومي، مثلاً"، كانت الشعوب الأوروبية تنضوي تحت الحضارة المسيحية الغربية وكانت اللغة السائدة في الغرب هي اللغة اللاتينية، بينما سادت في الشرقين الأدنى والأوسط ، الحضارة الإسلامية واللغة العربية، وفي عصر النهضة تبنت أوروبا اللغة اليونانية القديمة والحضارة الرومانية، بعد ذلك احتلت الحضارة الفرنسية المكان الأول لدى الطبقة المثقفة في أوروبا كلها، ومنذ نهاية القرن الثامن عشر فقط، أصبح المنظار إلى الحضارة هو المنظار القومي، أو الإثني، ونجد ان الوعي الديني الطائفي ما يزال يحل محل الوعي الإثني في أحيان

[٧٤] (أثنوغرافيا شعوب العالم - الدكتور مجيد حميد عارف - ص ١٩ ، ٢٢ ،١١٨ ، ١٢١).

كثيرة حتى الآن ويتجمع سكان بلداننا من الناحية الإحصائية حسب السمة الدينية بصورة رئيسية، وتنتمي المجموعات التي لا تعتنق الدين الإسلامي الذي يسود في هذه البلدان إلى الأقليات القومية وعلى سبيل المثال تعتبر من الإقليات القومية في ايران ليس فقط الأرمن واليهود والآثوريون بل حتى المجوس (الزرادشتيون)[٧٥]، و أثر الدين الهندوسي تأثيرا" هائلا في الحياة الاجتماعية والثقافية لشعوب جنوبي آسيا التي لها لغات مختلفة، ولا شك في ان الشعوب الهندوسية في هذا الإقليم تشكل الآن تشكيلة بشرية معينة. إن انتشار الدين الإسلامي في جنوب الفلبين أدى إلى فصل ما يسمى شعوب مورو إلى مجموعة إثنودينية مستقلة وكان التقارب الإثني بين الشعوب الكبرى في الفلبين التي تعيش في الوديان مرتبط إلى حد معين باعتناقها الدين المسيحي، كذلك تلعب الفوارق الدينية دورا" مهما للتمييز الإثني ، ومنذ ألفي سنة ما قبل الميلاد بدأت تظهر الأديان التي مازالت قائمة حتى وقتنا الراهن وكان الدين اليهودي الذي ظهر في الشرق الأدنى دين إشراكي في بادئ الأمر ولكنه تحول إلى دين وحداني فيما بعد .

الإثنية الأيزيدية تحركت وفق قاعدة سلوك خاصة حددت البراهين والآراء والمظاهر العامة بعد تفسيرها وفق منظور موضوعي طبقا" للأحداث، ومع انتقاء المواقف البناءة والأفكار النيرة بين تلك الأدوار ومن ثم الخوض بمخاض التطورات والتحولات، برزت نظم وقيم ومعتقدات ثابتة وموضوعية صلبة وأصبحت بمثابة ملجأ أو مصدر فكري وعقائدي واجتماعي وأخلاقي وإنساني يترتب على تلك الجماعة (الإثنية الأيزيدية) الخضوع إليها بحرية وإخلاص لكون ذلك كان من صنيعة عناصرها الموحدين دون أن يكون هنالك طرف آخر ساهم أو شارك في أطوار مخاض نشوئها، الإثنية الأيزيدية ظهرت من تلقاء نفسها و تعد مجموعة من السكان تحركت بطريقة أو بأخرى لمواجهة الأزمات والأدوار الانتقالية التي كانت تطفو على السطح نتيجة لتذبذب القاعدة الفكرية والاجتماعية والسياسية و الاقتصادية و الدينية بغية الوصول إلى الغاية المنتظرة وهي الحفاظ على المعتقد الديني الذي آمنت عناصرها به إيمانا" عميقا" ومطلقا" فضلا" عن صون المكتسبات الشخصية والمجتمعية الدنيوية ، هذا التذبذب الذي شكل هاجسا" آنيا" لتلك المجموعة جعل الإنسان يعاني باستمرار ويتكبد خسائر

[٧٥] (الزرادشتيون هم ديانة وفي نفس الوقت تم الاعتراف بهم كقومية خاصة لا تنتمي إلى أية قومية أخرى في موطنهم الأصلي إيران).

مادية وذاتية جسيمة، ووصلت عناصر هذه المجموعة إلى قناعة تامة حول الإيمان بواقعهم الديني الذي كان أحد أهم الدعامات الأساسية للحفاظ على كيانهم و مشاعرهم وإيمانهم فضلا" عن اعتقادهم السائد بان مبدأ الدين سيقضي على التناقضات والغموض الذي ساد أجواءهم لفترات زمنية طويلة ، واقتنعت ميول وعواطف وإيمان هذه المجموعة (الإثنية الأيزيدية) بسيل من المواقف والأفكار النيرة، ومنها إيمانهم بمعتقد الإله نابو، جميع عناصر المجموعة أتحدوا إزاء موقف أصيل وطبيعي موحد، موقف يؤيد الدور الذي يقوم به العقل و المواقف في تنشيط نظام غريزي محض يدفع بهم إلى الذرى والرقي، الإله نابو أصبح إلها" موحدا" وقوميا" لتلك المجموعة، هذه المجموعة وضعت لذاتها تسمية عقائدية وهي " أيزيدا " (" الإلهيين " أو " القدوسيين" أو " عبدة الإله " أو " عبدة القدوس ")، وبمفهومنا الحديث أصبح إلها" قوميا" للشعب الأيزيدي وتحت مسمى آخر وهو طاوسملك.

[٧٦] " تروي المخطوطة السريانية الشرقية المرقمة (٩٦٠) الموجودة في المتحف البريطاني ترجمة القديس معين العربي قائد جيش شابور الثاني في سنجار (أواسط القرن الرابع الميلادي) الذي أصبح فيما بعد مطرانا" فتقول : سمع القديس في أواخر حياته بوجود عبادة وثنية في منطقة الفرات بالقرب من مدينة أسمها اغريبوس، فقصد هذه المدينة ثم وصل منها إلى قرية أسمها شدوة فوجد فيها مذبحا" مكرسا" للإله نابو، وعند اقترابه من القرية سمع أصوات الفرح وأنغام الآلات الموسيقية تنبعث من القرية، ذلك أن القرويين كانوا يرقصون تكريما" للإله نابو ، أن هذه النبذة لتدلنا في الواقع على أكثر من نبأ واحد، فهي تدلنا على وجود عبادة (نابو) في أماكن نائية، ثم تدلنا على ما كان يلقاه عبدة نابو من ملاحقة، وآخر ما نسمع عن نابو هو ما جاء في ابن النديم بعد ذلك بما يقرب من خمسمائة عام حيث ورد اسمه بشكل (نابق) بالقاف والذي هو خطأ نساخ فقد ورد ذكره مع آلهة حران حينما ذكرت أيام الأسبوع لكل إله هكذا : يوم الأحد للشمس وأسمها ايليوس، يوم الاثنين للقمر واسمه سين، يوم الثلاثاء للمريخ واسمه آريس، يوم الأربعاء لعطارد واسمه نابق(نابو)، يوم الخميس للمشتري واسمه بال (بيل)، يوم الجمعة للزهرة واسمها بلثي، يوم السبت لزحل واسمه قرنس، ان خبرا" من هنا وخبرا" من هناك ليدل على أن عبادة نابو ظلت منتشرة

---

[٧٦] (اليزيدية بقايا من دين قديم - جورج حبيب - ص٢٤،٢٥).

في أنحاء متفرقة من هذه المنطقة بعد سقوط دولة بابل بزمن بعيد، ففي مدينة الحضر حيث كانت تكثر أسماء العلم المركبة مثل شمشيهب وعيدسميا وجدنا أسماء مثل نبوجين ونبونا ونبودين وردنب تحمل كلها أسم نابو مركبا"، ان ذلك زمن يعود إلى أوائل التاريخ الميلادي مما يدل على ان عبادته كانت مستمرة بشكل ما في ذلك الوقت ". وهذا السرد التاريخي يبين تشظي الجماعة المؤمنة بمعتقد الإله نابو بعد سقوط بابل إلى مناطق نائية وهذا دليل على مدى إيمان هذا الشعب بمعتقد الإله نابو بالرغم من تشردهم القسري، كما ان استمرارية وحيوية هذه الديانة بعد عدة قرون من احتلال بابل مؤشر إيجابي يحفز ويوثق الحقيقة التامة حول بقاء هذا المعتقد الديني باسم الإله نابو إلى زمن ليس ببعيد في التاريخ وبمرور الوقت بقي شعب أيزيدا (الشعب الإيزيدي) مؤمنا" بمعتقده هذا وإلى يومنا تحت أسم الديانة الأيزيدية .

ينطبق مصطلح الإثنودينية على الشعب الأيزيدي لكون الأخير يحمل الإثنية الأيزيدية إلى جانب الديانة الأيزيدية فضلا" عن امتلاكه العديد من المقومات الأخرى التي سيتم البحث بشأنها بشكل مفصل في الفصل القادم ، الإثنودينية الأيزيدية بدورها حافظت على كيانها ومنذ تأسيسها من معبد أيزيدا وإلى الآن، الشعب بقى كما كان عليه منذ زمن بابل، والعقيدة الدينية بدورها هي أيضا بقيت كما كانت عليه ومنذ نشوء معتقد الإله نابو، وفي هذا الصدد يتوجب قول الحقيقة التي تفيد بان الظروف السلبية التي أحاطت بالإثنودينية الأيزيدية وعلى مدى آلاف السنين أفرزت عامل الجمود تجاه مسيرتها النهضوية والتقدمية وتأخرت في مواكبة مسيرة بقية الشعوب التي هي أيضا تندرج تحت مصطلح الإثنودينية والتي أخذت أشواطا" كبيرة من التقدم والازدهار وأصبحت رسالاتها وعناوينها ومضامين عقائدها ظاهرة للجميع على عكس الإثنودينية الأيزيدية التي ما زالت تحت الأنقاض وتراكمات الماضي الأليم وهي غائبة بصورة أشبه أن تكون كلية عن الرأي العام، ولهذا فقد تبنت بعض الأطراف العديد من الخرافات والأقاويل والطروحات الكاذبة والتي هي بعيدة كل البعد عن أجندات وأهداف ومضامين الإثنودينية الأيزيدية، فما تمتلكه بقية الشعوب من مقومات يؤهلها للدخول تحت لواء هذا المصطلح الإثنوديني فأن للإثنودينية الأيزيدية أيضا العديد من المقومات التي تجعلها تقع تحت لواء المصطلح الإثنوديني، هنالك شعوب عديدة تمتد جذورها إلى قدم التاريخ ومازالت تمتلك طابعها الإثنوديني الصرف ، اليهود ديانة بذاتها لها جذورها التاريخية التي تمتد إلى آلاف السنين، هذه المجموعة التي

تعتبر إثنودينية يهودية أتسمت بمفهوم القومية المعاصر في وقتنا الحالي، أي انها قومية يهودية إلى جانب الديانة اليهودية في ذات الوقت، ولم نسمع في كتب التاريخ الحديث بان اليهود هم قومية غير اليهودية، الكل متفق مع ان هذه الإثنودينية اليهودية تحمل الديانة والقومية بغض النظر عن التناقضات القومية ذات الطابع السياسي أو ما شابه ذلك، وكذا الحال مع الصابئة المندائية والزرادشتيين والهندوسيين وغيرهم من الشعوب ، لذا تتسم الإثنودينية الأيزيدية بانها تحمل الديانة والقومية في ذات الوقت ، ولا يجوز تجريد القومية الأيزيدية من كيانها الإثنوديني الذي لا يمكن ربطه بأي حدث سياسي أو بفكرة تجلت في ظرف ما لتشبع رغبة أو موقف سياسي ولمصلحة جهة ما وما دخل الكيان الإثنوديني الأيزيدي في هذه الشؤون الضيقة التي تتغير أنشطتها وفعالياتها وأفكارها بمرور الزمان والمكان.

التركيب الإثني الأيزيدي مرتبط بأرض نشأ عليها ، وبعقيدة وثقافة حرة خالصة، الإثنية الأيزيدية ارتبطت بأرض بلاد وادي الرافدين وأصبحت هذه الأرض ينبوع الحياة ومسرحا" لمجريات الأحداث والوقائع الأيزيدية التي تمخضت عنها تحولات تاريخية كبيرة، التركيب الإثني الأيزيدي أرتبط بعقيدة دينية خاصة تمثلت بالإله نابو قديما" وبطاوسملك حديثا"، هذه العقيدة ولّدت سلوكيات و أطباع خاصة مكنتها من التغلب على الوقائع والأفكار المجردة من السلوك الإنساني والأخلاقي والاجتماعي، كما إن عقيدة الإثنودينية الأيزيدية امتلكت ومازالت تمتلك ثقافة دلت على دورها الريادي في تحديد الواقع الثابت والشامل لقاعدة الإرادة المطلوبة التي تتطلب منها اتخاذ القرارات المناسبة والصائبة إزاء كينونتها التي كانت ومازالت تجابه الانقلابات والتحولات الانتقالية الخاطفة التي تعترض طريقها بهدف النيل منها.

أود أن أتطرق إلى الإثنودينية الآشورية التي كانت في وقت ما تمتلك الإثنية الآشورية والديانة الآشورية (الإثنودينية الآشورية) والتي كانت بمحتواها هي الأقرب بكثير إلى الإثنودينية الأيزيدية ، حيث كان الإله آشور إلها" قوميا" للشعب الذي سمي باسم إلهه آشور وعرف ذلك الشعب بالآشوريين فيما بعد وبعد ظهور السيد المسيح (ع) و دخولهم الديانة المسيحية وانسلاخهم عن الديانة الآشورية المتمثلة بالإله آشور أدت هذه المتغيرات إلى فقدان الشعب الآشوري الديانة

الآشورية (معتقد الإله آشور) وبذلك فقد هذا الشعب مصطلح الإثنودينية الآشورية وبقت فقط الإثنية (القومية) الآشورية إلى جانب الديانة المسيحية.

ظاهرة الديانة الأيزيدية غير التبشيرية :

أديان عديدة تعتنقها شعوب الأرض قاطبة يكتنفها التشابه لدى البعض منها إلى حد ما في بعض العادات والتقاليد والمبادئ والأركان الأساسية، وفي الوقت نفسه توجد اختلافات كبيرة وكثيرة بمضامينها العقائدية لدى بعضها الآخر، وسأضع ظاهرة واحدة من بين هذا الكم الهائل من الأركان والظواهر التي تحتضن في ركن الدين على طاولة البحث وأترك الباقي لكونها لا تصب في صلب موضوع.

ظاهرة الديانة الأيزيدية غير التبشيرية هي موضع البحث الذي سوف أكون بصدده ، حيث يمتاز بعض الأديان بظاهرة التبشير في معتقداته الدينية وبعضها الآخر يمتاز بالظاهرة غير التبشيرية وحتى الأخيرة أيضا تتفرع إلى أشكال منها ما يفرض على الإنسان بضرورة ولادته من أبوين كالديانة الأيزيدية والآخر يتمسك بولادته من الأم دون الأب كاليهود أحيانا" عند بعض مفاهيمهم المتعددة ، ظاهرة غير التبشيرية لدى العقيدة الدينية الأيزيدية هي بالأساس تستند إلى هوية الإنسان الأيزيدي من الناحية الإثنية أو القومية بالمفهوم السياسي المعاصر[٧٧]، و

---

[٧٧] (لتثبيت ذلك سأنطلق بطرح مثال لكي نفهم ماذا نريد من هذه الظاهرة المبطنة التي لم يستطع أحد من الكتاب والمؤرخين وعلماء الدين من الوصول إلى جني الحل المرضي لها أو حتى التقرب إليها ، على سبيل المثال لا الحصر وبدون رتوش و إطالة وبشكل مختصر ، لدينا عائلتان ، أحدهما وهي متكونة من رجل وامرأة متزوجين وهما ينتميان لقومية غير أيزيدية ويدينون ديانة ما غير الأيزيدية أيضا، والعائلة الأخرى هي أيضا متكونة من امرأة ورجل ينتميان للقومية الأيزيدية وديانتهما أيضا أيزيدية ، العائلة الأولى (القومية والديانة غير أيزيديتان) شاء القدر لعنصري العائلة أن يصبحا ملحدين لا يؤمنان بالدين الذي كانا عليه منذ نشأة ذرية آبائهم وبمرور الوقت وأيضا شاء القدر وبعد الحادهما أن يؤمنان بالديانة الأيزيدية (في هذه الحالة الدين الأيزيدي لا يسمح بذلك ولكن لنفرض إذا أصر الإنسان على مبدئه لكونه آمن بأفكار العقيدة الأيزيدية) إيمانا" مطلقا" ليس فيه أدنى شك وليس له شبيه في المجتمع الأيزيدي ، و بعد فترة زمنية ولنقل بعد خمسة سنوات رزقت هذه العائلة بطفل ، وصلت إلى مربط الفرس الذي أريد أن أمسك به ، وهو ، هل الطفل سيكون أيزيديا" لكونه ولد من أبوين أيزيديين ؟ ، الجواب على ذلك هو كلا. سأعرج إلى العائلة الأخرى (القومية والديانة

أيزيديتان) التي بدورها تسير في قطار العمر ووصلت في أحدى الفترات الزمنية إلى أن لبست قناعا" ألحاديا" لا يؤمن فيه الزوجان بالدين ولا يعترفان بأي معتقد من المعتقدات الدينية الأيزيدية ودون دخولهما إلى دين آخر، وبمضي الوقت ولنفرض بعد خمس سنوات أيضا ، رزقا بطفل ، فهل هذا الطفل هو أيزيدي ، الجواب نعم ، لماذا ؟ ، لانه يوجد العشرات من هكذا نماذج في المجتمع الديني الأيزيدي (وهذا موجود في معظم الأديان) بل أسوأ من هذه العائلة المفترضة في مجال بحثنا بمئات المرات وقد رزقوا بأطفال عديدين وكلهم الآن أيزيديون مع بقاء الأب والأم أيزيديان من وجهة نظر المجتمع الأيزيدي ، وجهة النظر هذه هي المبدأ الإثني(القومي)الذي أراد أن يكون تحصيل حاصل لظاهرة الديانة الأيزيدية غير التبشيرية . نستنتج من مثال العائلتين بأن العائلة الأولى وبالرغم من ان عنصريها اعتنقا الديانة الأيزيدية لكن طفلهما لم يحصل على الهوية الأيزيدية ، فلو كانت الظاهرة غير التبشيرية للديانة الأيزيدية تقصد الإيمان فقط بالعقيدة الفكرية والروحية والتي تسير في هذا النحو معظم أديان سطح المعمورة ، لأستحق الطفل المولود من هذه العائلة الهوية الأيزيدية ، لكون العائلة آمنت بالعقيدة الفكرية والروحية وعادات وتقاليد الديانة الأيزيدية بالتمام والكمال وبحسب كل متطلباتها والتزاماتها ، إذن فأين تتجه البوصلة التي ستمدنا بالهوية الأيزيدية هذا سنراه في العائلة الثانية ، العائلة الثانية وبالرغم من كونها قد انسلخت من كمال العقيدة الدينية الأيزيدية بمحض إرادتها ولكن طفلها حصل على الهوية الأيزيدية ، فلو كانت ظاهرة غير التبشيرية تستند على العقيدة الفكرية والروحية والعادات والتقاليد للديانة الأيزيدية ، لمنع هذا الطفل من الحصول على الهوية الأيزيدية لكون أبويه الطفل قد ألحدا وانسلخا من العقيدة الدينية الأيزيدية قبل ولادته بعدة سنوات ، إذن ، الحقيقة الدامغة إزاء ظاهرة غير التبشيرية للديانة الأيزيدية هي ان الهوية الإثنية (القومية) الأيزيدية أو صلة الدم الأيزيدي هي المقصودة دون غيرها ضمن إطار أو مضمون هذه الظاهرة ، فحينما تنص العقيدة الدينية الأيزيدية على ضرورة حصول الأيزيدي على الهوية الأيزيدية من خلال ولادته من أبويين أيزيديين حصرا"، هذا يفهم منه ان المراد منه هو صلة الدم الأيزيدي أو القومية وليس العقيدة الدينية التي تندرج تحت لوائها الأركان والمبادئ الفكرية و الروحية والعادات والتقاليد والشعائر والطقوس. وبما إننا في صدد الأمثلة إزاء موضوعنا الراهن سأعرج إلى طرح مثال آخر سوف يعضد طرحي هذا إلى حد كبير وسيفي بالغرض ، على سبيل المثال ! هناك فرد أيزيدي يؤمن بالديانة الأيزيدية والقومية الأيزيدية معا" وبعد فترة زمنية لنقل قد وصل إلى الثلاثين من عمره أنسلخ عن ديانته الأيزيدية وآمن بديانة أخرى غير أيزيدية ، في هذه الحالة فهل سيتمكن هذا الإنسان الذي أنسلخ عن ديانته الأيزيدية الاحتفاظ بقوميته الأيزيدية ؟ ، الجواب كلا ، لأنه قد حصل لأناس في المجتمع الأيزيدي ان انسلخوا عن ديانتهم الأيزيدية لأسباب شخصية والآن هم ينضوون تحت لواء قوميات أخرى غير القومية الأيزيدية وحتى العقيدة الدينية الأيزيدية تمنع التعامل مع الشخص الأيزيدي الذي ينسلخ عن مضمونه فكيف بهذه الحالة بإمكان ذلك الشخص المنسلخ أن يكون جزءا" من القومية الأيزيدية ، إذن ، هذا التحصيل الحاصل لهذا المثال يؤول إلى ان الفرد الأيزيدي حينما يفقد العقيدة الدينية الأيزيدية تحت أي ظروف كانت سوف يصبح خارج الكيان الأيزيدي وهو بدوره سوف لن يرتبط لا من قريب ولا من بعيد بأي شيء أيزيدي ،

البحث في هذه القضية الحساسة والصعبة يدفعني إلى تحليل وتفسير ملفات وخيوط أخرى بغية الوصول إلى ماهية ظاهرة غير التبشيرية في الديانة الأيزيدية والتي تعتبر عقيدة فريدة من نوعها بين ظواهر الأديان البشرية ومطلوب البحث في أبعادها الموضوعية الأكثر عمقا" وليس الاكتفاء بذكر عنوانها دون الخوض في التفاصيل، ومن خلال السرد التفصيلي سيتبين بأنه مجرد كون الديانة الأيزيدية غير تبشيرية فأنها لذلك في الوقت ذاته تعتبر قومية بذاتها.

إن الديانة الأيزيدية غير التبشيرية تحتم على الإنسان الأيزيدي (ذكرا" أم أنثى) أن يكون مولودا" من أبوين أيزيديين (أب أيزيدي، أم أيزيدية) حصرا" وبعكسه لا يمكن اعتبار الكائن المولود منهما أيزيديا"، إذن، نحن عند نقطة هامة وحساسة يجب الوقوف عندها عن كثب وهي نقطة الأبوين الأيزيديين (الزوج والزوجة) واللذين من خلالهما يولد النسل الأيزيدي، هذا الترابط الأسري ما بين

ونحن في هذا المخاض العسير فلابد من التعريج على الآراء التي تحوم حول مبدأ القومية المعاصرة والذي يفيد بأن للقومية عدة معان وتعريفات في الوقت الذي تعد فيه تلك التعريفات مبهمة وغامضة ولم تأخذ هدفها المطلوب ولهذا فلا يمكن لنا أن نتعكز على أحد هذه الآراء المطروحة طالما ليس هناك أتفاق مرض و عملي وواقعي مقبول من قبل الجميع إزاء وضع التعريف الشامل والدقيق لمفهوم القومية ، وفي خضم هذه الآراء المتعددة فأنا سوف أضيف مفهوما" آخر إلى تلك المفاهيم الشائكة وهو ان الديانة الأيزيدية والقومية الأيزيدية تكمنان في بودقة واحدة لا يمكن فصل أحدهما عن الأخرى مطلقا" وحينما يفقد الإنسان الأيزيدي أحد هذين المقومين فأنه يفقد الكيان الأيزيدي برمته ، وقد أشرت إلى ان الشعب الأيزيدي ينطبق عليه مصطلح الإثنودينية وهذا بحد ذاته يعبر عن ان الديانة والقومية متحدتان لا يجوز تفريقهما عن بعضهما وفي حالة فقدان أي من هذين المقومين سيزول المصطلح الإثنوديني عن الشعب الأيزيدي وبهذا فان المقومين (الدين والقومية) يقعان في بودقة واحدة تكمن فيها القومية الأيزيدية والديانة الأيزيدية ، فالديانة الأيزيدية تعد عقيدة دينية نادرة كونها تمتلك ظواهر وأركان ومنها حيث تمتاز بالظاهرة غير التبشيرية والتي تعتبر ظاهرة خاصة لها من الالتزامات والأحكام يصعب تواجدها في بقية الأديان ، أما القومية الأيزيدية فهي لا تتغير بتاتا" لأنها تتعلق بالدم الأيزيدي ، وما أريد أن أصل إليه هو أن القومية الأيزيدية تعد ظاهرة اجتماعية موضوعية تتعلق بالجانب العضوي والعقائدي معا" ، وهذا المفهوم الخاص يشير بمقتضاه إلى ان هنالك علاقة طردية ما بين القومية الأيزيدية والديانة الأيزيدية و لا يجوز غياب أحد هذين المقومين ويستوجب وجودهما معا" لدى الفرد الأيزيدي حتى يتمكن من الحصول على الهوية الأيزيدية ، وفي حال غياب أحد هذين المقومين فأن الهوية الأيزيدية ستزول عن الفرد الأيزيدي).

الزوج والزوجة والذي يمكن أن نطلق عليه العائلة الأيزيدية يحتاج إلى التفسير الدقيق والمعرفة الصريحة والجريئة الطرح عدة أسئلة بخصوص كيان تلك العائلة ومنها :

- متى نشأت وترعرت تلك العائلة في بادئ الأمر ؟
- من هي العائلة الأيزيدية الأولى التي تبنت النسل الأيزيدي وفق منظور وعقيدة ظاهرة الديانة الأيزيدية غير التبشيرية ؟
- إلى أي حلقة زمانية ومكانية في العمق التاريخي البشري تنتهي ذرية تلك العائلة (الأبوين الأيزيديين) ؟
- من أي تاريخ بدأت نقطة انطلاق النسل الأيزيدي من الأبوين الأيزيديين الأولين ؟

إذن، استنادا" إلى المعتقد الديني الأيزيدي والذي ينص على ان النسل المولود يدخل بودقة الهوية الأيزيدية من خلال أبوين أيزيديين، لذا يتوجب علينا أن نسأل ذاتنا قبل الغير لاستقبال تلك الأسئلة المشار إليها آنفا"، أي من أين ابتدأت هذه الفكرة أو الذرية الأيزيدية الأولية ومن أي الأشخاص بالذات، سوف أبسط هذه القضية بشكل أسهل حتى أتمكن من طرح الجواب الشافي عليها بصورة جوهرية وموضوعية مفهومة لا مبهمة، أنا كإنسان أيزيدي ولدّت من أبوين أيزيديين، وكذا الحال مع أبي وأمي فأنهما أيضا ولدا من أبوين أيزيديين وكل على حدة وآباؤهم وأجدادهم وهلم جرا أيضا ولدوا على نفس طريقة العقيدة الايزيدية المعروفة، وإذا أستمر البحث عن مصادر ولادة آبائنا وأجدادنا بتدرج ذرية العائلة وبنفس التراتبية سيصل الدور الأخير إلى :

- العامل الأول : الانتهاء بأبوين أيزيديين أولين تشظى الشعب الأيزيدي منهما .

أو :

- العامل الثاني : ظهرت في المجتمع الأيزيدي شخصية دينية مرموقة طرحت رسالتها الدينية بهدف تنظيم أمور المجتمع الأيزيدي.

أو ربما :

- العامل الثالث : هنالك أمر آخر غير هذين المفهومين أو النظريتين المشار إليهما آنفا".

العامل الأول : إن ضرورة تواجد أبوين (أب أيزيدي و أم أيزيدية) تفرعت منهما ذرية الأيزيديين وسيعتبران بدورهما مؤسسي الذرية الأيزيدية في غاية من الأهمية وخصوصا" فقد أشارت الميثولوجيا الأيزيدية إلى انه " بعد الجدل بين آدم وحواء بأيهما يلتحق النسل، فقد قررا الاستمناء في جرتين منفردتين، وبعد تسعة أشهر تمخضت جرة آدم عن (شيت وهورية)، ومنهما تناسلت الأمة الأيزيدية، أما الأخرى فتمخضت عن ديدان ". وبطبيعة الحال يجب أن نوضح بان كل عقيدة دينية هي عبارة عن جملة طروحات وأحاديث فكرية ومضامين روحية تفرز حزمة من التقاليد والعادات والطقوس والشعائر وغيرها من الأمور الدينية التي تؤدى من قبل الإنسان بحسب مدى إيمانه بها، ولا يمكن للمؤمن الأيزيدي أن يتجاوز عن هذه المعتقدات شأنه شأن بقية المؤمنين من عامة البشر، لذا، أعتقد بانه بالإمكان أن نعتبر هذا الطرح صحيحا" وإيجابيا" إذا أعتمد على الميثولوجيا التي تبنتها العقيدة الدينية الأيزيدية ولكن من الناحية العملية يحتاج إلى مزيد من الشرح والتعمق في أطره المادية والتي من الضروري توفير الأدلة الموضوعية الملموسة إزاء مدى تطابقه مع الواقع التاريخي البشري، وإذا أردنا أن ننساق إلى الخلاصة المستنتجة التي تؤول إلى إن ذرية الأيزيدية نشأت من (شيت وهورية) وتوارثت زيجات هذه الذرية عبر التاريخ ووصل الحال بها إلى أن تمثلت جماعة متكونة من الأفراد أو بمثابة شعب متكامل له ثقله السكاني، فمن الطبيعي أن يمر هذا الشعب بمراحل التطور البشري المعمول بها عمليا" وتاريخيا"، لذا فمن الواجب الوقوف عند هذا الحد وجعل المتبقي من الخطوات الكفيلة بذلك مرهونة بروح العقيدة الدينية الأيزيدية ومدى إيمان الإنسان بالله ومشيئته وقدرته على خلق الشؤون وإدارة حياة المخلوقات ونحن نؤمن بالله وما ينبثق ويتجلى عن رسائل الرسل والأنبياء والأولياء والصالحين من مضامين إيمانية مباركة، إذن، لا يمكن اعتبار طرحي بخصوص الميثولوجيا الأيزيدية لا شيء أو أنه أتى من الفراغ، بل أعتبره مستنبطا" من الأفكار الروحية والإيمانية التي ضمنتها العقيدة الدينية الأيزيدية، وبما ان الطرح مرهون بالعقيدة الدينية فسأتوقف عن البحث أمام الاستنتاج النهائي لهذا العامل وساترك ما يتجلى عنه إلى بقية المسائل الدينية الأخرى التي تلتف حولها المعجزات الإلهية.

العامل الثاني : الشطر الثاني من بحثنا للظاهرة غير التبشيرية للديانة الأيزيدية ينص على ظهور شخصية دينية بين الشعب الأيزيدي طرحت الرسالة الإيمانية بغية تنظيم المجتمع الأيزيدي وغيره من الأمور، من هذا المنطلق يذكر لنا التاريخ الأيزيدي بانه ظهرت لدى المجتمع الأيزيدي شخصية دينية مرموقة و المتمثلة بالشيخ عدي بن مسافر (ع) ، أود أن أسير على قاعدة تتمكن أن تفحص وجود الشيخ ودوره البارز على الصعيد الديني الأيزيدي وهل كانت له البصمة الفعلية في نشوء الظاهرة غير التبشيرية و بأي مسوغ أو أسس علمية وموضوعية واجتماعية قام الشيخ الجليل بتبني هذه الفكرة التي أخذت مداها العملي وسارت بنمو طبيعي بمرور الوقت ضمن نطاق الشعب الأيزيدي، لا يمكن أن نعتمد على فكرة ان الشيخ عدي بن مسافر (ع) قد دعا إلى ضرورة اقتصار حدود الديانة الأيزيدية على شعب أو جماعة أو قبيلة ما دون أخرى و أقتلع الأيزيدية من بين كل الشعوب والملل والقبائل التي كانت تتواجد في تلك البيئة لتبني رسالته فيما يتعلق بالظاهرة غير التبشيرية، الأيزيدية كشعب كان موجودا" منذ زمن سومر وبابل وبغض النظر عن التسميات المتعددة، والخبر الذي مفاده ان الشيخ الجليل هو مؤسس ظاهرة الديانة الأيزيدية غير التبشيرية يعد من غير المنطقي، حيث انه لم يشر أي تاريخ أو معتقد أو تراث أيزيدي وحتى الموروث العائد إلى الشيخ الجليل إلى ذلك التأسيس، ما أردت أن أستنتجه هو إن الشعب الأيزيدي كان حاضرا" قبل وجود الشيخ عدي بن مسافر (ع) والأخير سواء لجأ إلى الشعب الأيزيدي أو ظهر منه فقد وضع أسس دينية تجديدية عاصرت الأديان السماوية الأخرى ويمكن أن نصف الشيخ بأنه مجدد الديانة الأيزيدية، و مصطلح مجدد الديانة يقر بان الدين الأيزيدي كان قائما" وموجودا" بين المجتمع الأيزيدي قبل ظهور الشيخ عدي بن مسافر(ع) والأخير قد جدد بعض أركانه القديمة.

العامل الثالث : العامل الأخير يفسر الظاهرة غير التبشيرية للديانة الأيزيدية بانها تمخضت ونتجت عن مراحل تطور و نمو العقيدة الدينية لدى الإنسان الأيزيدي ضمن سياق الأدوار الطبيعية للبشر، ما أود أن أتساءل بشأنه هو في أي الظروف التاريخية و العملية أصبحت الديانة الأيزيدية غير تبشيرية ؟، الولوج إلى هذا المضمار يضع على عاتقي إبراز حقيقة هذه الظاهرة ويدفع بي إلى أن أبحث عن اتجاهات الأطر التاريخية الرافدينية بغية الوصول إلى هدفي المنشود، بعد سقوط إمبراطورية بابل عام (٥٣٩ ق.م) على يد القوات الغازية والتي كانت أجنداتها واضحة ومحدودة الاتجاهات ومن أهمها بسط السيطرة على بلاد وادي الرافدين

والقضاء على مقدراتها ومعالمها ومجالاتها الحياتية المتنوعة، والإنسان الرافديني بدوره وصل إلى قناعة تامة بان أمور البلاد ازدادت سوءا" ووصلت إلى نهاية المطاف وبمرور المراحل الزمنية المتعاقبة والتي انعكست سلبا" على مجمل مجريات حياة المواطن الرافديني ومؤسسات الدولة المحلية وقع ما توقعه القاصي والداني من سكان بابل وإمبراطوريتها بصورة عامة من حدوث مشاكل وإعاقات ظهرت على إثرها معاناة يندى لها جبين الإنسانية وكانت السبب في اندثار وتدمير كل ما يتعلق ببابل وشعبها من عقيدة دينية وفكر وعلم بكامل اختصاصاته وجغرافية والمعالم التاريخية المادية وغيرها من المجالات، وأكثر الأحداث مأساوية هي التي أحاطت بالعقيدة الدينية في إمبراطورية بابل وما رافقها من أعمال وأفعال إجرامية كانت غاية في السخرية ، ولاشك ان القوات الغازية كانت تدين بعقيدة دينية تختلف عن ما كان يقوم على أساسه دين بابل وبذلك فقد قام المحتل بهدم دور العبادة ومنع الناس من التواصل مع ماضيهم الحضاري والديني وشعر الناس بالخوف الشديد من تدخل الغرباء في شؤونهم وفرضت عليهم أفكار وعقائد دينية أخرى ومن كان يتخلف عن هذه الالتزامات فمصيره كان مجهولا"، هذه المظالم وسواها (سأبينها بالتفصيل في الفصل الأخير من هذا الكتاب) دفعت بالبلاد إلى الهاوية ومسحت حضارتها وإدارتها ومؤسساتها عن وجه الأرض مع التأكيد على ان الإرث الحضاري والتراثي لهذه الإمبراطورية العظيمة بقي وحافظ عليه العديد من شعوب هذه الأرض المباركة الأشداء ومن بينهم الشعب الأيزيدي (أيزيدا) الذي بدوره قام بأدوار مشرفة وصعبة حمل من خلالها أعباء كثيرة من جراء إتمامه هذه المهمة الشريفة والرسالة العائلية الواحدة. شعب أيزيدا كافح الظروف القاسية وجاهد بكل طاقاته المتاحة في سبيل الحفاظ على الإرث السومري البابلي و البقاء على إيمانه بعقيدة الإله نابو، وقد خضعت ديانة الإله نابو مع بقية معتقدات الآلهة الأخرى إلى التطويق والعزل بحكم الظروف الصعبة ولم يتمكن مؤمنوها من بناء المعابد والتماثيل لآلهتهم فضلا" عن وسائل التبشير بها وتأدية العادات والتقاليد والشعائر علنا"، وظلت هذه الديانة مقتصرة ومغلقة على عدد محدود من الأفراد والذين فروا بدورهم إلى مناطق نائية بعيدة عن أنظار المحتلين، وبمضي عهود زمنية متعاقبة بقيت هذه الديانة لدى أيزيدا (الشعب الأيزيدي) حصرا" و محدودة به ، وقد أشرت إلى أحد مقتطفات التاريخ والذي يثبت بقاء عقيدة الإله نابو إلى أمد بعيد بعد سقوط بابل وسوف أضع ذلك

المقتطف بين هذه الأسطر لكي يشبع ويغذي بحثنا والذي يؤكد بانه [٧٨] " سمع القديس في أواخر حياته بوجود عبادة وثنية في منطقة الفرات بالقرب من مدينة اسمها اغريبوس، فقصد هذه المدينة ثم وصل منها إلى قرية اسمها شدوة فوجد فيها مذبحا" مكرسا" للإله نابو، وعند اقترابه من القرية سمع أصوات الفرح وأنغام الآلات الموسيقية تنبعث من القرية، ذلك ان القرويين كانوا يرقصون تكريما" للإله نابو . عودة إلى المعاناة التي رافقت الإنسان الأيزيدي، فقد كانت الأجواء السلبية التي دامت قرون عديدة من الملاحقة والاضطهاد أجبرت شعب أيزيدا بكامل عناصره من المكوث في خندق واحد للدفاع عن معتقده وبقاء حياة أفراده دون تعرضهم إلى الفناء وعلى أثر هذه الدوافع الدينية والاجتماعية والأخلاقية أرتبط أفراد هذا الشعب على مدى قرون عديدة بمقوم صلة الدم الواحد من الناحية الاجتماعية وتعمقت القرابة والعلاقة ما بين مؤمني هذه العقيدة إلى حد كبير وأقتصر عامل الزواج بين أفراد أيزيدا فقط بهدف منع تدخل الغرباء بشؤونهم الخاصة و منع خروج أرثهم وأخبار شؤونهم خارج نطاق شعب أيزيدا وعملية الزواج المقتصرة على عناصر الشعب الأيزيدي أدت إلى نشوء الدم الأيزيدي النقي، ونتيجة لهذه التحولات الطبيعية لشعب أيزيدا عبر الفترات الزمنية الاستثنائية برزت من بين ثناياها ما يعرف اليوم بظاهرة غير التبشيرية وبمرور الوقت أصبحت عرفا" اجتماعيا" وسلوكا" إنسانيا" ومبدأ أخلاقيا" لابد أن يرتبط بضمير وإيمان وعقيدة الإنسان الأيزيدي الذي توجب عليه وعلى الشعب الخضوع إليه كإرث نشأ على يد آبائه وأجداده ولابد من الحفاظ عليه ، ولو تعمقنا في هذه الحقائق التي ولّدت منها ظاهرة غير التبشيرية للديانة الأيزيدية لتبين لنا ان هذه الظاهرة لا تمت بصلة للعقيدة الفكرية أو الروحية للديانة الأيزيدية بل تتعلق بالجانب الاجتماعي والإثني أو بعبارة أخرى بصلة الدم الأيزيدي والأسباب التي تقف وراء هذه الحقيقة هي ان الظاهرة قد تأسست وفق منظور اجتماعي إثني في ظل فترات زمنية متعاقبة اضطرت الشعب الأيزيدي للسير إزاء عوامل محددة بهدف الحفاظ على كيانه الديني والسكاني وبعد حين الجغرافي، ونتجت عن تلك العوامل الاستثنائية بصورة مباشرة أو غير مباشرة

---

[٧٨] (اليزيدية بقايا من دين قديم - جورج حبيب - ص٢٤،٢٥: تروي المخطوطة السريانية الشرقية المرقمة (٩٦٠) الموجودة في المتحف البريطاني ترجمة القديس معين العربي قائد جيش شابور الثاني في سنجار (أواسط القرن الرابع الميلادي) الذي أصبح فيما بعد مطرانا" فتقول :

الظاهرة غير التبشيرية والتي أصبحت قضية مبدأ رفض الإنسان الأيزيدي فتح باب التبشير لعامة البشر لاعتناق ديانته بين ليلة وضحاها، وتطور هذا المفهوم شيئا" فشيئا" لحين تجديد الديانة الأيزيدية على يد الشيخ عدي بن مسافر(ع) والأخير بدوره لم يمح هذه الظاهرة بل وضع لها عوامل تشديدية أخرى زادتها انغلاقا وأصبحت فيما بعد عرفا" دينيا"، ويعتبر هذا العامل المصدر الأساسي للظاهرة غير التبشيرية للديانة الأيزيدية لكونه يتسم بوقائع علمية وتاريخية بإمكان الإنسان التثبت منها بشكل مادي .

المبحث الثاني

عوامل بزوغ القومية الأيزيدية

[٧٩] القومية، هي الشعور بالانتماء إلى جماعة من الناس يجمع بينهم الوطن واللغة والتاريخ والمصالح، لم تعرف القومية، نظرياً، بمعناها الحديث إلا في نهاية القرن الثامن عشر وتطورت في القرن التاسع عشر لدرجة إنشاء دول على أساس الهوية القومية، وأول من أستخدم مصطلح القومية هو جويسيبي ماتزيني الزعيم والسياسي القومي الإيطالي نحو عام ١٨٣٥م.

[٨٠] كانت القومية الجديدة المبدأ الثوري الذي رسخ في أوربا خلال العاصفة من ١٧٨٩ م إلى ١٨١٥ م وقد طرحت مفاهيم وأفكار تؤكد على ان كل شعب يجب أن يحصل على دولة قوية قومية على أساس السيادة الشعبية، وقد صارت القومية سببا" في حدوث حركات قومية تحررية انفصالية عن الإمبراطوريات التي تضم قوميات متعددة كالإمبراطورية النمساوية والروسية والعثمانية، كما ظهرت القومية في الوقت نفسه بشكل حركات قومية وحدوية تعمل على جمع الجماعات القومية المتفرقة في دولة قومية واحدة كما حدث في ألمانيا وإيطاليا، وقد ارتبطت القومية في الغالب بمبادئ وحركات الأحرار الذين عارضوا الاتجاهات المحافظة والرجعية، ومن جهة ثانية ارتبطت القومية بالرومانتيكية[٨١] باعتبارها اندفاعا"

---

[٧٩] (سامي خشبة: مصطلحات الفكر الحديث).

[٨٠] (التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٥ ـ ١٩٣٩ تأليف الدكتور فاضل حسين والدكتور كاظم هاشم نعمت ـ ص٩٣ ، ٩٤).

[٨١] (الرومانتيكية أو الرومانسية حركة ثقافية ظهرت في القسم الأخير من القرن الثامن عشر والعقود الأولى من القرن التاسع عشر وبلغت أوج عزها في منتصف القرن التاسع عشر وتأتي في المرتبة الثانية في أكثر الفنون بعد تيار الكلاسيكية ثم صارت نموذج الثقافة الأوربية والإيحاء الرئيس للآداب وجميع الفنون باستثناء فن العمارة).

عاطفيا" حماسيا" يمجد تاريخ القومية أو الأمة ويعمل على تحقيق مستقبل زاهر للجماعة القومية، وقد تمت الثورة القومية في الغرب تحت راية الطبقة المتوسطة وقيمها، وبخاصة الملكية الفردية والعقد الاجتماعي، وهى قيم انطلقت من مفهوم ان الفرد (وليس المجتمع أو الجماعة) هي نقطة الانطلاق ووحدة التحليل ، يتسم التشكيل القومي من نماذج إدراكية اختزالية تتسم بدرجة عالية من التجانس والتحدُّد تكاد تقترب من الانغلاق على الذات، و ان صياغة رؤية الجماعات القومية تتم غالبا" بعد القيام في بصهر (أو إبادة) أعضاء الأقليات الإثنية التي تتواجد في ذلك المحيط أو البيئة والتي لا تنتمي للأسطورة القومية الغالبة، كما وهنالك مسارات فكرية تؤكد بأن الفكرة القومية هي كانتماء عضوي يكاد يكون بيولوجيًا[٨٢]، وعلى الرغم من بروز ظاهرة القومية في مجرى السياسة العالمية خلال القرنين الماضيين فهي لا تزال ظاهرة سياسية - اجتماعية غير مفهومة بصورة واضحة ، لعل التعريف الأكثر مباشرة للقومية هو لجيلنر الذي يرى أن القومية "هي أساساً مبدأ سياسي يقوم على ضرورة التطابق بين الوحدة السياسية والوحدة القومية.

إن نشوء الصراع في الدولة الواحدة أو الأمة الواحدة التي تتكون من عدة ملل وشعوب، تحاول بعض فئات تلك الشرائح السطو على الممتلكات البشرية والتاريخية للبقية الأخرى، وهذا ما ينشأ عنه الصراع ما بين النخب القديمة المستندة إلى التقاليد والدين وبين النخب الجديدة التي تستمد سلطتها من السلطة التي تقود البلاد في اتجاهات جديدة، تلك الأقوام التي تهدد كيانها بالفناء تشعر بالاغتراب عن تقاليدها وتاريخها وتبتعد عن المعتقدات والممارسات الدينية والاجتماعية الموروثة أبا" عن جد، لذا فتقوم تلك القوميات أو الشعوب بإنشاء قاعدة سلطة فهي غالباً ما تروج لأيديولوجية قومية تبرر الخلع عن ماضيها ، ومصطلح الأقليات القومية نفسه له أكثر من مدلول ويقصد به في أغلب الأحوال

---

[٨٢] (كلمة بيولوجيا هي كلمة يونانية مركبة وتعني (علم الحياة) (بيو : حياة : لوجوس: علم) أستخدم هذا المصطلح هو الطبيب الألماني (تريفيرانوس) فى عام ١٨٠٤ثم أشاعه العالم (لامارك) ويقصد به الكائنات الحية النباتات والحيوانات, وما يتبع ذلك من دراسات تفصلية. فأصبحت البيولوجيا تشمل علوم التشريح والفسيولوجيا (وظائف الأعضاء) والبكتريولوجيا والحيوان والفيزياء والنبات والأجنة والوراثة والكيمياء الحيوية والفيزياء الحيوية وغيرها).

المجموعات الصغيرة قياسا" إلى الجمهرة الأساسية من الشعب في الوحدة السياسية إلى حد معين، ومن أبرز نظريات القومية :

- **القومية على أساس وحدة اللغة:** وتسمى بالنظرية الألمانية بسبب المفكرين الألمان الذين كانوا أول من أشار إليها.
- **القومية على أساس وحدة الإرادة (مشيئة العيش المشترك):** تقول النظرية إن الأساس في تكوين الأمة هو رغبة ومشيئة الشعوب في العيش المشترك، بجانب التراث والتاريخ .[٨٣]
- **القومية على أساس وحدة الحياة الاقتصادية:** تقف الماركسية على رأس هذا التوجه ، ترى هذه النظرية أن المصالح الاقتصادية والتماسك الاقتصادي تكون أقوى الأسس في وحدة الأمة.
- **القومية على الأساس العضوي (البايلوجي).**
- **القومية كمبدأ سياسي اجتماعي.**

تشير أغلب الكتابات و النظريات الحديثة بان بزوغ مفهوم القومية كان في القرن الثامن عشر من الألفية الثانية وخصوصا" في أوربا، حيث تجلت في القارة العجوزة على يد العديد من المفكرين والقادة العسكريين والذين بدورهم وضعوا فلسفات اجتماعية وسياسية تميل إلى التحول أو الانقلاب على المفاهيم القديمة ، وتولد عن هذه المرحلة الانتقالية صراع طبقي، الطبقية التي تختص في بلورة نظام اجتماعي فوقي يفتح آفاقا" أكبر وأوسع لها قياسا" إلى المنظور الجغرافي والإداري والفكري والاجتماعي والسياسي ، ورفعت الثورات العارمة المبدأ القائل بانه يحق لكل شعب له خصائص معينة أن يكون مستقلا" وحرا" وسعيدا" وآمنا"، ونتيجة لتلك الممارسات النظمية والفكرية تمزقت دول وإمبراطوريات كثيرة وحلت محلها كانتونات قومية عديدة تلاشى قسم منها بمرور الزمن ونتجت عن مخاض هذه الدوامة المعقدة قوميات متسلطة على إرادات قوميات أخرى غير متلاشية ولكنها تم زوال كافة خصائصها الإثنية التي تؤهلها أن تكون قومية بذاتها وأصبحت مصيرها أخيرا" الانصهار في مجد القومية الناشئة القوية.

[٨٣] (أول من دعا إليها إرنست رينان في محاضرته الشهيرة في السوربون سنة ١٨٨٢، بعنوان "ما هي الأمة"؟).

من هذه الزاوية فقد سادت العراق مفاهيم وأجندات قومية منذ بدايات القرن المنصرم، وظهرت كيانات سياسية وحزبية ذات صبغات قومية عنصرية رفعت شعارات وحدوية الرؤية ومن زاوية ضيقة تستثنى بذلك مبادئ العيش المشترك في الوطن الواحد، تأثر بهذا المحيط المأساوي العديد من الإثنيات التي تنحدر إلى حضارات عريقة لها جذور في التاريخ العراقي القديم، من بين تلك الشعوب، الشعب الأيزيدي، هذا الشعب الرافديني بامتياز وقع تحت تأثير الشعارات القومية الهدامة في الوقت الذي لم يكن مناخ الشعب الأيزيدي من الناحية السياسية والفكرية والاجتماعية مهيأ للتصدي لتلك السياسات العنصرية بسبب إفرازات ورواسب الماضي الأليم التي ظلت تلازمه طوال خمسة وعشرين قرنا"، حيث كان شعبنا بأمس الحاجة إلى الوقت الكافي كي يلملم أوراقه الفكرية والسياسية ويوحد ترابطه الاجتماعي والجغرافي بعد تمزيق عناصره إلى بقاع شتى و يفكر بمستقبله ويضع الخطط الاستباقية بهدف حماية الذات والوطن .

القومية الأيزيدية غزيرة بمقومات حضارية تبدي مواقف بناءة وتطلعات نهضوية تخضع بمجملها إلى الوقائع العقائدية والمادية لحضارة وادي الرافدين المتمثلة بسومر وبابل، هذه المداميك مدعاة الوجه التطوري والتقدمي المسنود بقيمهما الحضارية والتراثية المشهودة بحقيقتها العطائية في تجاوز الصعاب والأزمات التي تقودها مشاريع الانهيار والانحلال، واقتضت الظروف الذاتية والمحيطة أيضا للكيان الأيزيدي سواء التحرر من ترسبات الماضي الأليم أو مواكبة المسيرة العالمية إزاء مفهوم القومية للعمل على إبراز الهوية القومية للشعب الأيزيدي وفي هذا المضمار فأن عددا" من الشعوب تشير إلى أن هوياتها القومية تمتاز بمقومين أو ثلاثة لا أكثر مع إنها لا تصل بجذورها الحضارية لبعد زماني عميق كالشعب الأيزيدي وبالرغم من هذه الشحة بمقوماتها إلا أنها تمتلك هويات قومية حققت من خلالها استحقاقات كثيرة وبرزت شخصياتها للرأي العام العالمي، ما أريد أن أصل إليه هو أن القومية الأيزيدية لا تمتلك فقط مقومين أو ثلاثة على غرار عدد من القوميات بل تحوي عددا" كبيرا" منها فضلا" عن امتلاكها إرثا" حضاريا" وتراثا" يتجددان ويعاصران كل واقع قائم، وفي هذا الصدد فأن من حق الشعب الأيزيدي أن يستمتع ويتفاعل مع هذه المداميك التاريخية التي تنضوي تحت لواء القومية الأيزيدية والتي بدورها ستحرز الطبيعة الإنسانية والرفاهية والموضوعية والمنهجية في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية والإثنية والثقافية للمجتمع الأيزيدي .

مفهوم القومية المعاصرة وليد زمن قريب جدا" ويعده عدد من العلماء والفلاسفة مبدأ سياسيا" وآخرون يعدون تطورا" عضويا" وفريق آخر يذهب به إلى وحدة للتكامل الاقتصادي وآخرون يتبنون تعريفات أخرى ليست بأهمية التعاريف الثلاثة المشار إليها مع ان التعريف المتكامل للقومية المعاصرة يشوبه الغموض والعجز إلى يومنا هذا، القومية الأيزيدية تندرج في خانة هذه التعريفات وتكون جزءا" منها، فمن ناحية المبدأ السياسي يحق للشعب الأيزيدي ممارسة حقه السياسي بمعتركه الواسع سبيلا" في نيل وتثبيت حقوقه بالطرق الدستورية والشرعية وبالمسارات الآمنة والمسالمة بعيدا" عن وصايا الغرباء والأساليب الدموية، ومن ناحية التطور العضوي فقد أثبت لنا التاريخ بأن الشعب الأيزيدي يعد سليل الشعب البابلي، أما مفهوم التكامل الاقتصادي فللشعب الأيزيدي الدور البارز والمشهود بأمانته وإخلاصه في الدفاع عن وطنه وبكل مجالاته وهذا ما يسهم في استقرار الأمن الاقتصادي للبلد.

تطلعات القومية الأيزيدية لا تقف عند حد معين بل تتجاوز الحدود الطبيعية وتدخل إلى حيوز لها من القدرة الذاتية في تأمين برامجها وأهدافها وطموحاتها الذاتية والوطنية وترجمتها على الأرض بمسؤولية باهرة دون التخاذل في الأنشطة التي ترتقي على الدوام بالنجاح الدؤوب في مسيرتها المنشودة، ومن أهم المفاهيم التي تنضوي تحت لواء القومية الأيزيدية وتعد من الأساسيات التي ترتكز عليها وتؤمن بها بأمانة وإخلاص :

- **تبني الأجندة العقلية السليمة :** اعتبار العقل المجرد من البغض والكراهية والعنصرية، الأرضية المؤهلة في بناء الذات الإنسانية والمجتمعية ودرج العاطفة والشعور في المراتب الدنيا إبان ظروف سن التشريعات والتعاملات الرسمية وفي مواقف صنع القرار ذات التنفيذ الآني أو ألبعدي .
- **الخضوع إلى القوانين السماوية والمحلية والأممية :** أتباع الرسائل الإيمانية والقوانين والنظريات ذات الطابع الإنساني والأخلاقي في الشروع بمجالات الحياة كافة واحترام المقابل وليس إلغاؤه والعمل على تعضيد مواقفه البناءة والموضوعية.

- **الإيمان بالصف الوطني الموحد :** قيادة المركبة الوطنية بشكل جماعي ومتساو دون تهميش وإقصاء لكيانات معتبرة مع الحفاظ على نسيجها المتكامل وعدم تجزئتها إلى أجزاء متبعثرة.
- **امتلاك الشخصية المثالية:** نبذ وتجنب الأيديولوجيات ذات الفكر الشمولي والعنصري والعمل على إنشاء قواعد وأسس تتسم بالمرونة والشفافية والتعددية وبالثقة المتبادلة.
- **استمداد الطبيعة التاريخية :** جعل التاريخ الحضاري والتراثي الطبيعي منهاجا" في تسيير كافة منطلقاتنا وتطلعاتنا القومية والسياسية والفكرية والثقافية وغيرها من المجالات .
- **بناء الأسرة الموحدة :** الخضوع إلى الروابط والصلات والعلاقات العامة التي تنشأ منها روح التآخي والسعادة الأبدية والمنفعة العامة لمجمل مناحي الحياة بالنسبة للمجتمع الفسيفسائي .
- **التطلع إلى السياسة المحافظة الشفافة** : ممارسة المفاهيم الديمقراطية ومبادئ الحرية بما لا يتجاوز على الوقائع الحضارية والتراثية المجتمعية والآداب الدينية والاجتماعية العامة.
- **جعل الطبيعة حياة :** التشجيع صوب الحفاظ على البيئة وعناصر الطبيعة بقدر عال من المسؤولية.

القومية الأيزيدية كانت ضحية السياسات والنظريات القومية المنصرمة التي تبنت أنظمة وأسس غير نافعة أضرت بمصالح القوميات الصغيرة و خدش المظهر الخارجي لقوميتنا الأيزيدية بين ثنايا تلك المواقف الهدامة و لولا إيمان الإنسان الأيزيدي الصارم تجاه معتقداته لنخرت الذات الداخلية لمجتمعنا والذي يمثل هذه الذات[٨٤] وقود الشعب الأيزيدي لدفع نضال تطلعاته وأهدافه التقدمية الآنية والمستقبلية إلى الأمام، هذا الوقود الذي أثبت جدارته وأهميته في التصدي لكل العوائق كان وراء عدم تأكسد الإرث الحضاري الرافديني بالأجواء السلبية التي كانت تسود على مجتمعنا، ومازالت بعض الأطراف تطبل وتزمر عبر البوق العنصري الذي يدفع للاستيلاء على مقدرات حضارتنا وقوميتنا الأيزيدية في ظروفنا الراهنة، هذا البوق الذي يحمل ثوبا" زائفا" يدعي في إطاره المبدأ

[٨٤] (نقصد بالذات الأيزيدية التي تعد المصدر الأساسي الذي يحمل تحت طياته كنوز التراث الحضاري الرافديني وأدوار ومواقف وأرشيف التاريخ الأيزيدي).

السياسي المناقض لأهداف وأجندات القومية الأيزيدية فضلا" عن المشاريع ذات النفوذ التوسعي غير القانوني وعلى حساب مقومات قوميتنا و التي هي بعيدة كل البعد عن المداميك التاريخية والمعادلات المجتمعية الصحيحة للشعب الأيزيدي، قامت ثورات وصولات أخفت حقيقتها وراء غبار عاصفتها الهوجاء والتي كانت تطمع في الاستحواذ على العوامل الجغرافية والسكانية والتاريخية للشعب الأيزيدي وبالرغم من قوتها إلا ان صمود الشعب الايزيدي بوجه تلك التحديات كان هو الانتصار الحقيقي .

الواقع المتحرك والانتقالي للساحة الوطنية العراقية أفرز قاعدة نظم وقيم وأهداف إيجابية كان لها الأثر الكبير في دفع عجلة الشعب الأيزيدي للسير في طريق العمل والنضال السلمي الهادف إلى تحقيق ما يصبو إليه، وفي الاتجاه المقابل فان شعبنا يؤيد ويؤمن بما يقع على عاتقه من الالتزامات والواجبات التي تصب في خدمة المصلحة الذاتية والوطنية ويدرك يقينا" بان ما يتمخض عن هذه الخدمة الشريفة من مستجدات ستؤهله وتمكنه من الصعود إلى المنبر الوطني لبيان أهداف القومية الأيزيدية التي تعضد مبادئ الوطن وتكشف عن الممارسات السلبية التي تجابهها بهدف الاستحواذ على مقدرات حضارة الشعب الأيزيدي والتي هي تعود بالمحصلة النهائية إلى الموروث الرافديني العريق، أستيقظ الإنسان الأيزيدي من السبات وأتبع منطقا" تسمو فيه القيم المثلى والأفكار المنهجية ووصل إلى دراية وإدراك بان الذات لم تهتز ومهما كان ما بلغته العواصف اللاعقلانية.

إن مواكبة عجلة تقدم الشعب الايزيدي إزاء الفكر القومي العصري ضرورة تاريخية جاءت في وقتها المناسب والصائب، وقد تجلت القومية الأيزيدية من إرثها الحضاري المجيد، وهي بذلك لا تتبع تلك السياسات القومية العنصرية التي باءت كل محاولاتها بالفشل الذريع ، القومية الأيزيدية منهج موضوعي مجرد من التشرذم والحقد والكراهية والعنصرية والفكر العدائي واغتصاب حقوق الغير، وهي تؤمن بالمبادئ الإنسانية والأخلاقية، و تحترم القانون والعدالة ، والتسامح والاعتدال والتآزر والتآلف والتآخي، والحرية والديمقراطية،وتزاول جل أعمالها من أجل توحيد الصف الوطني والإيمان بقيمه المطلقة، وتقبل النقد والنقد الذاتي .

هنالك جملة من العوامل التي دعت إلى ضرورة بزوغ القومية الأيزيدية للشعب الأيزيدي، ومنها :

١- **المشاركة في عملية صنع القرار الوطني :** كان من الضروري تحرير الإنسان الأيزيدي من جملة ممارسات شوفينية تمثلت بالظلم والحرمان والإقصاء والانصهار وهذا ما دفع بالشرفاء الأيزيديين من القوميين والوطنيين للقيام بدورهم المشرف في التصدي لها من خلال تبنيهم مشروع المناداة بالقومية الأيزيدية، هذا المشروع كان السبيل الوحيد للخلاص من نار العبودية والمظالم الأخرى وأهمها كسر القيود التي منعت مشاركة شعبنا في صنع القرار الوطني أسوة بالبقية، المشروع القومي الأيزيدي أسهم بدور فعال في عملية تهديم الجدار العائق الذي تبناه أصحاب الأفكار الضيقة وأستطاع أن يعيد الصوت الأيزيدي الحر إلى الواجهة المحلية والإقليمية والدولية بعد عزله عن طبيعة الأمور السياسية والإدارية لأمد طويل ، وبمجرد إيقاد شعلة الحرية والديمقراطية في البلاد[٨٥] قام القوميون الأيزيديون إلى تبني سياساتهم الحكيمة وأهدافهم الوطنية تجاه الذات و الوطن والمواطن، هذه الوقائع تعطي إشارة مضيئة مفادها ان المبدأ القومي الأيزيدي يمكث في الصميم وكل الخدوش التي مورست بحقه لم تضرب سوى الظاهر الأيزيدي ولم تصل إلى الصميم، وهذا الحس القومي والشعور بالذات يثبت مدى صلابة وجسارة المبدأ القومي الأيزيدي وتكلله النجاح والانتصار أثناء تصديه لكل المعضلات والعراقيل التي وقفت في طريقه.

٢- **التعبير عن ذاته بذاته :** بعد تهيئة الظروف الإيجابية لأحوال الوطن وانبثاق الضوء الأخضر لطرح الآراء و الطروحات ذات الطابع الوطني والإنساني والديمقراطي من قبل من يرغب في الانخراط في هذا المعترك النبيل، أبدى الكيان الأيزيدي الرغبة الشديدة والحرص المسؤول في تمثيل نفسه بنفسه في كل المحافل المحلية والدولية ومجريات الحياة المعاصرة الأخرى ، هذا الطموح المنشود جاء ليؤكد بان المشروع القومي الأيزيدي ثبت أقدامه على الأرض وردع التوجهات المناوئة له، وبالاحتكام إلى هذا المبدأ السليم أقدم ذات الإنسان الأيزيدي إلى إبداء ما

---

[٨٥] (منذ تأسيس دولة العراق عام ١٩٢١ م لم يأخذ الشعب عافيته بسبب تعاقب الأنظمة عبر الانقلابات العسكرية وفترة الستينيات من القرن المنصرم وإلى عام ٢٠٠٣ تعد أسوأ مرحلة حكم مرت على العراق لما حملت من مظالم ومساوئ بحق العراقيين والأخيرين تنفسوا الصعداء بعد زوال النظام الدكتاتوري عام ٢٠٠٣).

في داخله من مشاريع نهضوية واستراتيجيات تنموية تجاه الصعيد الذاتي والوطني. إن الدخول في المركبة الوطنية بثوب قومي أيزيدي يعد تجسيد لإرادة الشعب الأيزيدي الحرة والتي أرادت أن تكون نابعة من صميمها وذاتها وفق المبدأ القائل " لا صوت ولا حياة للأيزيدي إلا بوجود راية القومية الأيزيدية خفاقة في أرض آبائهم وأجدادهم ".

٣- **بزوغ وتفعيل مداميك التراث الحضاري الأيزيدي :** أساسا"، المشروع القومي الأيزيدي يستند على جملة مقومات معظمها حضارية وتاريخية تصل جذورها إلى قدم التاريخ الرافديني، وهذا يدفعنا إلى أن نحفز وندعم هذه المقومات التي هي بحاجة ماسة إلى الإدامة والرعاية الضرورية ومزاولة المواقف المطلوبة بهدف عدم تعريتها بالعواصف الهوجاء، الدور الفعلي يتطلب ترجمة هذه المقومات على الأرض بهدف بزوغ هوية القومية الأيزيدية التي ستصبح الصوت الحقيقي للشعب الأيزيدي في كل وجود قائم.

٤- **حل التبعية العنصرية :** على ضوء القول الشائع " التاريخ يصنعه المنتصر"،فقد تبنت أطراف معينة بعد سيطرتها على زمام أمور الحكم فرض أجندات التبعية والرجعية على هيكل الشعب الأيزيدي بهدف محو الوجود الأيزيدي من وجه التاريخ وإحلال محل كيانه النقي والعريق مصطلحات إثنية وقومية أخرى لا تمت للأيزيدية بصلة، ومثل هكذا مواقف مصطنعة حتما" سيكون الفشل من نصيبها ومهما بلغت ذروتها مع التأكيد بان هذا المسار الخطير والذي تضمن في طياته ألاعيب التبعية المشؤومة كان يمثل سلاح تلك الأطراف الوحيد المتبقي بعدما عجزوا عن تحقيق أهدافهم العنصرية بشتى صنوف الظلم والطغيان لتغيير مسار الشعب الأيزيدي لبودقة أخرى، وبمجرد إعلان الشعب الأيزيدي المبدأ القومي الأيزيدي تم القضاء على كل التبعيات والرجعيات العنصرية.

٥- **التخلص من العوامل الدخيلة :** وقفت أطراف عديدة تبث السموم السرطانية (العوامل الدخيلة) صوب الموروث الأيزيدي بغية اجتثاثه من القيمة الحضارية الرافدينية، العوامل الدخيلة كانت تنخر في الجسد الأيزيدي بأوجه عديدة ، منها ، المناداة غير الحقيقية لانتماء الشعب الأيزيدي لحضارة غريبة لا تمت للأيزيدية وحضارتها بصلة، محو اللغة الأيزيدية من الوجود وإحلال محلها لغة أخرى تمثل وجه توجه أصحاب

التاريخ المصطنع ، القضاء على التراث الأيزيدي، النيل من العقيدة الدينية وتحريف مسارها صوب مناحي ظواهر الكفر وعبدة الشر، اصطناع تقاليد اجتماعية ، تغيير آداب وسلوك الإنسان الأيزيدي وثقافته جراء فرض تطبيقات عنصرية ومعادية لمبادئ الخلق وغيرها من العوامل الفاسدة ، هذه العوامل المسمومة وغيرها لم تنل بلوغ أهدافها بالرغم من الجبروت والآلة العدوانية الكبيرة وقد حافظ المجتمع الأيزيدي على كينونته المباركة ومظهره البارع دون تحريف ذاته ، وأؤكد بانه لا تزال هنالك سموم تسري في الجسد الأيزيدي وطرق التخلص من مخلفات آلاف السنين تتطلب وقتا" طويلا" وجهدا" حثيثا" يستوجب الاصطحاب بخبرات عالية ويتطلب حكمة ودراية عميقة بواقع الشعب الأيزيدي التراثي والحضاري مع التنبيه إلى الفراغ الذي سيشغله الهيكل الأيزيدي بعد إزالة الشوائب وضرورة ملئها بركائز و أساسيات مستمدة جوهرها من الإرث الأيزيدي الرافديني.

٦- **الإيمان بالعمل المشترك :** التطلع إلى مستقبل البلاد برؤيا موحدة ومشتركة تتكاتف فيها جميع الكيانات الإثنية والدينية في الوطن ، دفع بالشعب الأيزيدي إلى أن ينخرط في هذا الواجب المقدس على أساس ان الوطن بحاجة إلى كل شرائحه وأبنائه للارتقاء والنهوض والتقدم، الإسهام في العمل من أجل بناء البلاد وصونها واجب أخلاقي وإنساني، الدخول في المعترك الإيجابي تجاه الصف الوطني واجب شريف ونبيل كان يتحتم على القومية الأيزيدية الخوض به وتجديد بصمتها النضالية في التاريخ العراقي .

٧- **مد جسور الثقة :** إن غياب الصوت الأيزيدي في الساحة الوطنية طوال العهود والعقود الزمنية كانت له السلبيات العديدة على الصعيد الأيزيدي والوطني أيضا، حيث ان الفراغ الناشئ عن هذا الغياب كان يشغله الحضور غير الشرعي المناط لأطراف أخرى لا شأن لها بالشعب الأيزيدي وعلى أثر هذا التناقض قامت تلك الجهات بتمرير ما يعضد مواقفها الضيقة فقط دون أن تصب في مصلحة شعبنا ، وبعد بزوغ مشروع القومية الأيزيدية زال الفراغ وحل محله الصوت الأيزيدي الحر وهذا ما سوف يتفرد وبكل اعتزاز وفخر في مد الجسور والعلاقات

الطيبة مع باقي أطياف الشعب الواحد بروح وطنية وبسمات تاريخية وحضارية كانت تشترك فيها هذه المكونات منذ القدم .

الفصل الثالث

مقومات القومية الأيزيدية

الفصل الثالث

مقومات القومية الأيزيدية

توطئة :

إن الانطلاق من أهداف معينة تمتد جذورها إلى النظم التاريخية والتراثية والاجتماعية ذات القدم في التاريخ، يجدد حدود تختص بولادة شخصية قومية لها أبعاد نظمية وفكرية هادفة لبروز المقاصد والأهداف تعزز ذلك الانطلاق، الواقع الأيزيدي الحالي يمتاز بميول معرفية غريزية في التبشير بنظام اجتماعي سياسي فكري جديد يضفي الموقف الأخلاقي والإنساني والوطني والتاريخي ويمن الولاء للمشروع القومي الأيزيدي، الهدف المنشود الذي يقع على عاتق الإنسان والشعب الأيزيدي على أكمل وجه القيام به هو العمل على ترجمة طبيعة الوقائع الحضارية والتاريخية والتراثية الأيزيدية بثوب قومي أيزيدي آني، ان الأهمية الموضوعية التي تكمن في هذا الثوب ستحقق قاعدة الإرادة الضرورية التي بدورها ستتغلب على التبريرات الفردية وتضع واقعا" مجتمعيا" أيزيديا" موحدا" ومتمسكا" بقرار واحد ، وسلوك اجتماعي وفكري وسياسي واحد، تكون له الصفة المطلقة في تحكيم أمور المجتمع بانضباطية واحتراز وبمسيرة توفر أدوار الرفاه والاطمئنان للوطن والذات الأيزيدية.

إن التحول القاضي ببزوغ مصالح ومنافع مجتمعية أيزيدية ، ضرورة تاريخية يجب التأكيد والوقوف عنده بجدية ، لابد من إزالة الحقد والنفور والاحتقار من ظواهر الحياة المعاصرة التي تحيط بالجسد الأيزيدي والتي فرضتها العوامل الدخيلة طوال الفترات الزمنية المنصرمة والنهوض بالمسيرة التي ستكلل مهمة تصحيح مساراتها الخاطئة والتوجه إلى اتخاذ المنهجية الموضوعية إزاء الأزمات التي ستنجم عن مخاض تلك المراحل الانتقالية المتخذة على عاتقها تصفية الموروث الأيزيدي من الآفات والآلام ، المرحلة الانتقالية تعد عملية مخاض تبحث عن ولادة مشروع قومي أيزيدي يواكب الظروف والمواقف الآنية الصعبة

والتي تتطلب جهودا" استثنائية بهدف تثبيت أقدامه على الأرض وإعادة أمجاده التاريخية والحضارية المستمدة من سومر وبابل وهذا ما سوف تعكسه جملة مقومات واعتبارات منهجية والتي تتسم بلياقة عالية وبمرونة مستدامة تثبت دعائم القومية الأيزيدية للمجتمع الأيزيدي وعلى الصعيد الوطني، القومية الأيزيدية تعد ظاهرة حضارية وتاريخية واجتماعية وثقافية نبعت في ظروفها الطبيعية، وتتبنى حقيقة مطلقة في توجيه السلوك الإنساني والأخلاقي للإنسان الأيزيدي لناحية الثبات والاستمرار في تحديد القيم والنظم والعقائد الإيجابية المتوائمة مع الماضي والعصرنة ، القومية الأيزيدية تؤسس لذاتها الشخصية المتزنة والمعتدلة، وتحدد لأهدافها الأيديولوجيات الموضوعية ، وتشق طريق نضالها بالمواقف الوطنية الصرفة ، وتتغلب على الصعاب والمخاطر بإيمانها العقائدي، وتتطلع إلى خلق الإبداع بتحليل موضوعي متجرد من عناصر الوهم والخيال .

من أهم مقومات القومية الأيزيدية، هي :

- الوعي القومي الأيزيدي .
- التراث الحضاري الأيزيدي .
- العامل السكاني الأيزيدي .
- العامل الجغرافي الأيزيدي .
- اللغة الأيزيدية .

الوعي القومي الأيزيدي

الوضع العام الأيزيدي يسلك مسالك ذاتية طموحة وجريئة في ذات الوقت وتستند لمبررات موضوعية تتناول البحث عن أهمية وضع دور بارز للإنسان الأيزيدي تجاه مناحي الحياة كافة وإحاطته بركائز منهجية مدروسة بدون أبهام ورتوش ميتافيزيقية[٨٦] و تعزيزه بمنطلقات تتخذ طابعا" غريزيا" تجاه تاريخه الرافديني الذي يحل في كل شاردة وواردة من حياة هذا الإنسان المرتكز على نظام عمل مقرون بأداء ذاتي حركي نابع من العقيدة الروحية (الدينية) الرافدينية وقاصدا" شق الطريق الهادف إلى جني ثمار العمل المنتج والذي سينعكس إيجابا" على الصعيد المجتمعي الأيزيدي، الإنسان الأيزيدي مكافح ومناضل ومضح بذاته من أجل قضية سواء كانت خاصة تتعلق بذاته أو عامة تتعلق بالوطن أو حتى فيما يتعلق بالقضايا الإنسانية العامة ، وفيما يتعلق بالذات الأيزيدية فالتاريخ شاهد على مدى تعلق الإنسان الأيزيدي بشعبه وتاريخه وبالرغم من الظروف الوحشية التي مرت به طوال فترات زمنية طويلة ، ومن هذا المنطلق المسؤول والشعور بالنفس والثقة العالية بالذات يتجلى من هذا المخاض الإيجابي الوعي القومي الذي نحن بصدده ومدى بروزه من خلال السلوك والأدوار التي يقوم بها هذا الإنسان المتحرك وفق هذا المنظور المنحاز بالأساس إلى بناء ذاته ومن ثم بناء المجتمع صوب مشروع قومي أيزيدي، وهذه الذات أو المقوم الذي أطلقنا عليه الوعي القومي تجاه الشعب الأيزيدي يعد من أهم أركان القومية الأيزيدية.

يتوجب ذكر الظروف التي أحاطت بالشعب الأيزيدي والأهداف التي كانت تقف وراءها لأجل أن تزيل هذا المكون الوديع والشريف عن الخارطة البشرية اجتماعيا" ودينيا" وقوميا" ولغويا" وثقافيا" وهلم جرا، ووصل هذا الشعب إلى ظروف صعبة وأحوال مأساوية تحكمت به من كافة جهاته ولم يكن باستطاعته السير وفق أهدافه الخاصة مع إنه كان يحمل أهدافا" وبرامج تصب لصالح خطوات المشروع الذاتي المجتمعي الأيزيدي في ظل تلك الظروف ولم يستطع إبرازها إلى السطح كون ذلك لم يكن متلائما" أو بشكل آخر لم يكن يخدم حكام تلك الأنظمة الحاكمة ، المواقف التي تبناها الشعب الأيزيدي في تلك المراحل

[٨٦] ("ميتافيزيقيا" تعريب للكلمة اليونانية "تامتاتافوسيكا" ومعناها: ما بعد الطبيعة. الأصل في هذا الاسم يرجع إلى ترتيب كتب أرسطو وأصبح يطلق أسم ((الميتافيزيقيا)) على البحث في الأمور التي تتجاوز الطبيعة).

الصعبة تكاد تكون متواضعة من حيث الشكل ولكن في صميمها وجوهرها تحوي أجندات لا نظير لها من حيث القيمة الواقعية والإرادة الفاعلة وتتجه إلى إبراز مواقف ومقومات عديدة ومن أهمها الشعور بالوعي القومي الأيزيدي وسنجد هذا الركن المهم بين ثنايا العديد من المواقف التي زاولها الإنسان الأيزيدي في الماضي ويزاولها إلى يومنا هذا ضمن سياق متطلبات حياته الآنية، ومن أهم هذه المواقف التي تتجلى من كينونتها مقوم الوعي القومي الأيزيدي :

- حينما يتجمهر عدد من أبناء الشعب الأيزيدي مع بعض لقضاء وقت معين من ساعات حياتهم اليومية الطويلة والشاقة سنجد انفراد عنصر من هذا التجمع سيلقي على عاتقه مهمة ترديد حكاية سومرية أو بابلية على مسامعهم، بمجرد بدء الحكاية ستجد أفراد هذا التجمع بأكملهم يخضعون في سكون لا إرادي وأعينهم تحدق بوجه المتحدث آملين في سماع جزء مهم من تاريخهم المفقود، هذا الشعور الذي يفرز بدوره هذا التحديق المطلق في ظل أجواء ساكنة ومتسمة بتفاؤل لا إرادي يبدي لنا واقعا" قائما" مفاده امتلاك الإنسان الأيزيدي الشعور والإيمان بذاته التاريخية والتراثية وهذا هو الوعي القومي الأيزيدي.
- إصرار الإنسان الأيزيدي في الحفاظ على تسمية كيانه المجتمعي الذي يطلق عليه تسمية (أيزيدا - الأيزيدية) منذ نشأته إبان الإمبراطورية البابلية وإلى يومنا، وهذا يدل على ان هذا التمسك الفطري بالامتداد التاريخي من السلف إلى الخلف هو الوعي القومي الأيزيدي بحد ذاته.
- عدم تنصل الإنسان الأيزيدي عن مبادئه ودفاعه عنها وباستمرار إبان حملات الإبادة الجماعية التي حيكت وشنت ضده وتصديه لها ببسالة فائقة وفي كثير من مواقف الحرب كان يدرك شهادته مسبقا" وقبل دخوله في الحرب إلا انه آمن بشهادته الإيمانية وجعلها جسرا" لعبور الشعب الأيزيدي إلى بر الآمان، هذه الشهادة المباركة تجاه الذات الأيزيدية تؤول بمقتضاها الفكري الثوري إلى الوعي القومي الأيزيدي وبكل تجلياته الباهرة.
- التشبث الغريزي للإنسان الأيزيدي بتراثه الرافديني الثري وإخلاصه وتفانيه في سبيل الحفاظ عليه وعدم تجريده من كينونته المجتمعية الحضارية والتراثية في كل وجود زمني ومكاني وواقع قائم ، دليل على وعيه القومي تجاه موروث الشعب الأيزيدي الرافديني.

- تعلق الشعب الأيزيدي بأرض وادي الرافدين وبالرغم من تعرضه للمئات من المجازر والمؤامرات القاضية بفناء الإنسان الأيزيدي في هذه الأرض المباركة إلا ان الأخير ظل صامدا" ومتحديا" الظروف الصعبة سبيلا" لبقائه على هذه الأرض الرافدينية والصمود الذي دفع بالإنسان الأيزيدي إلى التوجه في تحقيق مبتغاه هو الوعي القومي الأيزيدي بحسب المفهوم المعاصر.
- تخليد ذرية الشعب الأيزيدي بأسماء آبائه وأجداده السومريين والبابليين وبالرغم من ان هذه الأسماء لا تتواءم مع العولمة والثقافة الجديدة بحسب نظرة البعض من الذين يشعرون بانفصام في الشخصية الفكرية والتاريخية إلا ان تمسك الإنسان الأيزيدي بتراثه الرافديني هو الثقافة الحقيقية له وهذا التواصل المتوارث جيلا" بعد جيل مع آبائه وأجداده هو الوعي القومي للشعب الأيزيدي.

هناك سيل متدفق تشع منه عشرات الأركان والمواقف التي تفوح منها بوادر مقاصد الوعي القومي الأيزيدي ولا حاجة إلى تكرار كل ركن بالسرد التفصيلي بل بإمكان الإنسان مشاهدة وسماع والإحساس بتلك الأركان من خلال تفاعله مع المجتمع الأيزيدي بشكل مباشر ووجها" لوجه . إن الوعي القومي الأيزيدي يعد من أهم السمات القومية، هذا الوعي الذي يتم اكتسابه خلال مرحلة تاريخية طويلة يعد انعكاسا" شاملا" لجميع العناصر المكونة للتشكيلة الإثنية و يكتسب ذاتية معينة من مخاضه العسير.

[٨٧] " إن اتخاذ القرار يعني أن ننظر تارة لماضينا وتارة أخرى لحاضرنا، وماذا سيحتدم في رحاه أهو الظفر أم التضليل في الآراء والآمال، ماذا تسلك السياقات المعتادة والطبيعية للذين يحبذون خلق الأفق الإيجابي للهيكل الأصلي لنا، فهذا هو المسلك الصواب ويترتب على المنوط بهذا الدرب أن يَمول ويثّمن ويقيّم ويسهم بكل ما هو إيجابي وجاد لخلق الأرضية الصلبة والخصبة والمتينة للأمل المبدع والمرتقب المزروع فيها، وأن يديم مصادر فعالية نموها لتأتي بثمار، ومهما توفرت المحاولات لقطع شجرة الخير والمستقبل فسوف تظل الجذور المتشابكة

[٨٧] (أمين فرحان جيجو - ديباجة النظام الداخلي للحركة الأيزيدية من أجل الإصلاح والتقدم).

والمعقدة مع بعضها البعض في أعماق أرض الآباء والأجداد وسيبقى الأصل أصلا" ولا ينمو على جذور شجرة مقطوعة غير الشجرة نفسها، لذلك فباتخاذ القرار المبدئي والنهائي وبالانخراط والدخول في نهر الحق والأصالة شجرة من ثمارها، الاعتماد على النفس، قوة الشخصية , النظرة الثاقبة في الأمور، صدق الحدس الشجاع، هذا الأمل المنشود بل المرتقب يظهر وكأننا نحيا فيه، لذلك فان الأفعال والحقائق يجب أن تسند وتدرس وفق الخطط الصائبة والمهيّأة مسبقا" وستحتل المواقع التي تستخدم القضية بل الرسالة التي نؤمن بها نحن بأن ننتمي إلى المنبع لا إلى الرافد وعلى المسالك لا إلى الجوانب، وتظل أفعالنا صوب النقاط والبؤر التي ننوي من خلالها التقاط ورؤية الهدف من شعيرة الحق والأنصاف والعدل والمساواة، فبنظر بعض الذين تنقصهم الثقافة والدراية الكاملة في فهم أمور الواقع الراهن بالشكل الذي يرغم الأقلية المغذاة على العوامل الدخيلة بأننا نثقل عليهم بضغط ما، ونؤكد بان تلك الردود ستظل منحرفة عن خط ومسار أفعالها مهما منحوا وموّلوا هذه التوابع من إمكانيات ظاهرية غير واقعية وعملية وسيخبو ما يصبون إليه لانهم على باطل، الآفاق والآمال المبنية على أساس ومفاهيم الحق والعدل والأنصاف سيقر لها الخالق العظيم الدرب المضيء وثم بلوغ المبتغى، وليبلغوا ما في نياتهم ووجدانهم من حق الإبداع والابتكار في الحياة وبما يريد الله لهذه السمات ، الصبر والسؤدد والظفر، وأن تظهر كبارقة أمل لكل من يؤدي الرسالة والقضية واللتين ستحتلان حيزهما ومجراهما وثم مغزاهما في الزمان والمكان المحددين قريبا بأذن الله تعالى، وستنطلق كالجسم المتناهي تجنبا" لمضرمي الضيم والبغي، وأن توصف بالشجاعة والاقتدار على فعل الشيء ومن مصدر القوة وليس من مصدر الغرور وكما تحاول بعض الاتجاهات المنحرفة عن القانون ملاحقتها وملازمتها بنا دون مبرر ودون الشعور بالمسؤولية التي يؤدونها تجاه من لا يتبعهم إلا بشكل قسري، لنكن صريحين في اتخاذ القرار المناسب والصواب وثم ننطق الحق ولا نخاف ، ونميز وكما علمنا الله أن نقول الحق بين المسالك المستقيمة وبين المنحنية والتي لا تؤدي نفعا" وإيجابا"، ولا نكبت شعورنا تجاه الآخرين حتى لا نصبح أسرى عقدة نفسية، إيماننا من تاريخنا وحضارة شعبنا العريق والممتدة منذ آلاف السنين وعزيزة بكل مفاهيم وقوانين حق البقاء والثبات في الكون السحيق، وسيكون العدم من حصة الخاسرين والمتجهين نحو المنحدر، وسيحاسبهم الرب لكل ما اقترفوه من أعمال ومحاولات دنيئة ومصطنعة ضد بشارة الخير وآمال النفوس للذين يحيون في ظل خيمة

الباطل وحتما" سنصل إلى القمة من على قرب بأذنه تعالى، وعلى كل منا تشخيص وتحديد، الإيجابي من السلبي، الخير من الشر، التطبع من الطبع، الإبداع من الإرث وإلى آخره، لتأجيج روح النضال بين أطياف الشعب العريق يتطلب جملة اعتبارات وشروط وكلها تستند إلى صفاتهم وسماتهم العالية والمكتسبة من حضارة وتاريخ أجدادهم والذي سيظهر شعبنا العزيز الآن ولابد منهم أن يأخذوا زمام الأمور وكما فعل ذلك أجدادنا وأولياؤنا، إننا ماضون في منهجنا ومسيرتنا المرسومة مسبقا "ومعتمدون على إرادة شعبنا الذي أراد أن يكون حرا"، سعيدا"، آمنا"، وأن ينعم بالسلام وهذا هو أحد أركاننا، إننا جئنا لخدمة الإنسانية والبشرية وسنمضي بهذه المسيرة وبقدر طاقاتنا المتاحة والمؤاتية من إرادة وفضل الله وكما فعل ذلك أجدادنا للإنسانية ونتتبع خطاهم ولا نتردد لأن الحق معنا، ونؤمن بأننا شعب مسالم وحر ".

عنوان الوعي القومي الأيزيدي يظهر من هذه الرسالة القومية الواضحة والتي استندت على المجد، والفخر، والمدح، والعنفوان، والإحساس بالذات والشعور بالمسؤولية والبوح بالامتداد الرافديني، البحث عن صورة هذه الأمجاد وإيجادها في الظروف السليمة سيلغي الصور الوهمية والمزيفة و المصطنعة التي وضعت للنيل من الذات الأيزيدية الحرة والمستقل . إن تتويج المعاني والوقائع بأدوار تاريخية وحضارية أيزيدية سيجرد الترسبات الوهمية المتراكمة من ماضي وحاضر الشعب الأيزيدي ، ونضطر إلى اتخاذ سلوك يتسم بالوحدة الشعورية والعاطفية في تنمية آفاق الحاضر والمستقبل باتجاهات تدفعه نحو التكامل في تحديد الرؤيا المجتمعية الأيزيدية بأبعاد طبيعية ونقية بشكل متواصل، وبذلك يستنبط من هذا التحديد تمايل ثقافي اجتماعي فكري نامي يدعو إلى تحرير الذات من القيود والعزلة التي سادت سباته العميق، التحرير هو ولادة شعور تقدمي حماسي ناضج عنوانه الوعي القومي الأيزيدي .

التراث الحضاري الأيزيدي

----

[88] الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وانما تتألف الحضارة من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لانه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها، كما ان عوامل الحضارة تتلخص في العوامل الجيولوجية والعوامل الجغرافية والاقتصادية وعامل الجنس والعوامل النفسية وأسباب انحلال الحضارات التي هي بمثابة الأجيال للنفس الإنسانية، فكما ترتبط الأجيال المتعاقبة بعضها ببعض بفضل قيام الأسرة بتربية أبنائها ثم بفضل الكتابة التي تنقل تراث الآباء للأبناء، فكذلك الطباعة والتجارة وغيرها من ألوف الوسائل التي تربط الصلات بين الناس، قد تعمل على ربط الأواصر بين الحضارات وبذلك تصون للثقافات المقبلة كل ماله قيمة من عناصر حضارتنا، فلنجمع تراثنا قبل أن يلحق بنا الموت، لنسلمه إلى أبنائنا.

[89] ينقسم العالم في الوقت الحاضر إلى مجموعات بشرية حضارية يتميز كل منها ببعض الصفات العامة التي تفرقه عن المجموعات الأخرى وقد يكون مرجع هذه الاختلافات بين المجموعات الحضارية إلى ظواهر بشرية أو طبيعية أو كليهما، غير ان هذا الأمر يجب أن لا يقودنا إلى الاعتقاد بان هذه المجموعات تعمل منفردة عن بعضها الآخر أو انها تختلف تمام الاختلاف بينها، فالعالم في الوقت الحاضر بمختلف شعوبه وجماعاته البشرية أصبح وحدة متكاملة في مصالحه العامة وفي تبادل الخبرات بين أجزائه المتباعدة، غير اننا في الوقت نفسه نشعر بالفوارق الكبيرة بين تلك الشعوب والجماعات سواء في طرز معيشتها أو في

---

[88] (قصة الحضارة – ول ديورانت- المجلد الأول (١ - ٢) نشأة الحضارة/ الشرق الأدنى - ترجمة د. زكي نجيب محمود- ص ٣ ، ٨).

[89] (إثنوغرافيا شعوب العالم - د.مجيد حميد عارف - ص٤٢).

عاداتها وتقاليدها ونزعاتها السياسية أو في مواردها وخبراتها ومستوياتها الحضارية، فالعالم فيه من الظواهر التاريخية والطبيعية والبشرية ما يعجز الإنسان في وضعه الحاضر عن تحويرها بحيث تصبح متجانسة على سطح الأرض، ولهذا لابد من تقسيم العالم إلى مجموعات بشرية يتصف كل منها ببعض الصفات التي تميزها كليا" أو جزئيا" عن باقي المجموعات.

[٩٠] إن الحضارة هي تلك المرحلة من التطور الاجتماعي التي نتج توزيع العمل فيها عن المقايضات بين الأفراد التي تجمعها كلها عملية الإنتاج السلعي التي تصل إلى الازدهار التام وتؤدي إلى التحول الكامل للمجتمع السابق.

يدخل التراث الحضاري الذي هو بمثابة مجموعة من النظم والقوانين العامة التي توجه المجتمع سواء كانت نابعة من أصول دينية أم دنيوية إلى ينبوع يرفد بآفاق وأدوار ترفد المشروع القومي الأيزيدي بتحولات خلابة تمكنه من بلوغ الأهداف الطموحة ، التراث الحضاري الأيزيدي الذي له امتداد في العمق التاريخي البشري ليس وليد مرحلة تاريخية نشأت في ظروف عابرة ، بل يمثل حركة إنسانية أرادت أن تشمل المجتمع الأيزيدي كله وفق منظورات وخصائص تنشأ عنها الإمكانات المتوفرة في إثبات الطابع التراثي للحضارة الأيزيدية المستمدة سومريا" وبابليا".[٩١] إن الحضارة البابلية تراكمية ، أخذت من الذي سبقها وأضافته إلى ما جاءت به معها وطورت الكل وبلغ قمة تطوره في الألف الثاني والأول قبل الميلاد، وهي نتاج تعاقب أجناس بشرية من أصول ولغات متباينة جدا" ومع ذلك فأنها تعكس نظاما" روحيا" متماسكا" تهيمن عليه وحدة تامة يرافقها في الوقت نفسه تنوع داخلي، ولم تكن وحدة الحضارة العراقية لتقوم على أساس المقتضيات الإقليمية السياسية لبلاد الرافدين وطبيعتها الجغرافية ، بل الأكثر استندت على نظرة دينية شاملة للكون كانت بالرغم من تطورها التاريخي الطويل، وتنوعاتها المحلية، مع ذلك متجانسة بصفتها الحضارية.

إن التحركات والتقلبات التي عصفت بكيان الشعب الأيزيدي في ظل الأجواء غير المناسبة فرضت واقعا" على كيانه وأوجبت عليه اللجوء إلى شتى أدواره

---

[٩٠] (أسرار بابل - ف.أ.بليافسكي - ترجمة توفيق فائق نصار- ص٦).

[٩١] (أساطير الآلهة في بلاد الرافدين - ناجح المعموري ص١٣, ١٤).

التاريخية والتراثية لإثبات وجوده وفق منطلقات أيزيدية، ويستحيل على الإنسان الأيزيدي إدراك حاضره ومستقبله دون الإيغال في مقاصد التراث الحضاري الأيزيدي والتي تعتبر قانونا" أخلاقيا" يستوجب الخضوع إليه فضلا" عن كونه يعد وحدة مطلقة ومعلما" يودع فيه الإنسان الأيزيدي تطلعاته البناءة وطموحات أجنداته الآنية والمستقبلية، تكشف لنا هذه المداميك التراثية التاريخية مدى تطابق القواعد المنطقية إزاء الامتداد التاريخي والحضاري ما بين التراثين الرافديني القديم والأيزيدي الآني والذي يعد في المحصلة النهائية تراثا" واحدا" .

التراث الحضاري الأيزيدي يدفع بعناصر الشعب الأيزيدي إلى الأداء العقلاني إبان مقاصد النضال والأنشطة المتعددة و يتبنى الفكر الصحيح والإيجابي أثناء الأدوار والمراحل العملية والفكرية التي يخوضها الشعب الأيزيدي في ظل التحديات لبلوغ التقدم وفق ترجمة أهداف كينونة ذاته إلى الوجود العملي القائم ، هذا التراث لا يتآكل ولا يتصدع بانكماشات الظروف المتذبذبة بل يتحرك إلى مساحات أوسع من طاقاتها، كما ان هذا التراث الذي يحوي في مقاصده عادات وتقاليد يتعلق قسم منها بعقيدة دينية تشكل بدورها تجربة باطنية (روحية صميمية كامنة في وجدان ومشاعر وأحاسيس الإنسان الأيزيدي) تزيد على الفكر التقليدي من طاقات الاستيعاب وتقف بالمرصاد بوجه كل مظاهر التفكك والانهيار والاندثار الناجمة عن الظروف غير المستحسنة والتي بدورها تشكل عبئا" على المجتمع الأيزيدي .

إن معالجة القضايا المصيرية والمبدئية وفي طليعتها التأكيد على أولوية المشاعر والإرادة والوحدة العضوية التي تجمع أفراد المجتمع الأيزيدي إزاء خطوط عامة مشتركة تلبية لحاجات المراحل الآنية والمستقبلية ، ستولّد منطقا" تراثيا" حيويا" يتكاثر فيه الإعجاب والحفاظ على التراث الحضاري الأيزيدي في المجتمع .

إن التركيب التراثي الذي حافظ عليه الشعب الأيزيدي ومنذ القدم يدفع بولادة أجيال بشرية أيزيدية تتمتع بولاءات ضميرية وإنسانية وأخلاقية أثناء ممارساتها التجارب والمراحل الحياتية المتعددة فضلا"عن تحفيز معالم حضارية مستنبط جوهرها من أصل التراث الحضاري السومري البابلي، التراث الحضاري الأيزيدي يعد بمثابة أدوار تاريخية فذة تجلى من تحولاتها وتحركاتها الإيجابية العديد من المنجزات والتي قادها شعب عريق كالشعب الأيزيدي بأمانة وحياد للأجيال المتعاقبة ، هذا التراث الثري يحتوي على أعظم المرتكزات الفكرية

والإدارية والثقافية والدينية والاتكال على هذه الأدوار طريقة تؤدي بنا إلى بناء الرغبة الذاتية التي تظهر على شكل تراث مليء بالأركان التاريخية .

[٩٢]جميع الحقائق التي تتكون منها أية حضارة تتلخص في (الكلام والثقافة المادية والروحية من فن وأساطير والتطبيقات الدينية والعائلة والنظام الاجتماعي والطرازات السياسية والإجراءات الثقافية والقانونية، والحضارة بمفهومها العام، هي مجموعة من الفعاليات والعادات والمعتقدات لكل شعب.

يفتخر الشعب الأيزيدي بتراثه الحضاري الغني والذي حافظ عليه طوال مسيرته الحياتية الشاقة والمشهودة بالويلات والمعضلات، واجه هذا التراث المصاعب الجمة والأمواج العاتية والعواصف الهوجاء التي كانت تغزو التراث الحضاري الأيزيدي لتكبده بخسائر فادحة وفي نهاية المطاف لم يفلح الغزو في صرختته الهدامة وكان مصيره الانتحار وقبل أن يمس صميم التراث الأيزيدي بأذية، يظهر هذا التراث الحضاري كبريق أمل يجسد روح المجتمع وعنفوانه وكبرياءه ومن دون منازع، يعطي هذا المضمون الولاء المطلق في شق طريقه إلى الدور الذي يعبر المجتمع فيه عن المشاعر والأهواء وعن العواطف والآمال تجاه المشروع القومي الأيزيدي .

الكلام والثقافة المادية :[٩٣] ينبغي من دون شك أن نستعين بالإرث المتوارث من الأسلاف، إنه خانة مليئة بالدخل الوفير والغزير بالأيديولوجيات والرؤى المنيرة و التي أنجبتها العهود الزمنية بمخاض عسير وحافظ على هذا الرديف المقدس آباؤنا وأجدادنا، ويتوجب بنا أن نسير ونخطو خطاهم أولئك الذين أصبحوا مثالا" يقتدى بهم وبنوا لنا جسورا" بمنجزاتهم الجبارة التي أجبرتنا باستلهام ماضيهم المشهود على التفاؤل والتمجيد، ويتوجب علينا وباستمرار الإتيان بالإرث الزاخر عبر ذلك الجسر المبني للواقع الآني والمستقبل المحتوم بأمانة وحياد، الإرث الذي سيفجر الكامن الثائر المكبوت في ذاتنا لتحويله إلى نطاق عام للحياة الأخلاقية و الوجدانية والفكرية والاجتماعية و السياسية بهدف تحقيق رغباتنا

---

[٩٢] (إثنوغرافيا شعوب العالم - الدكتور مجيد حميد عارف - ٤٩).

[٩٣] (بناء وحفاظ ورقي الذات - أمين فرحان جيجو - موقع صوت الشعب الأيزيدي الالكتروني).

المشروعة وفق متطلبات الظروف الراهنة، ليس كل الهالات والرؤى تكون مناسبة لجعلها بؤراً نسعى من خلالها للوصول إلى الطموح المرجو ونستنزف إزائها طاقاتنا المتاحة والمؤملة، قسم من الهالات لا يجدي نفعا" والبعض الآخر نكافح من أجله كي يصبح جزءا" من خصائص وميزات حياتنا المعاصرة، أما المناداة غير المبررة و المؤججة للشعور الذاتي والمحيطي بالكاد تكون تحصيل حاصل لفائض غير مجد، الذات موجود، الأداء يبغي أن يكون مؤديا" ثوريا" و مكافحا" لأجل الذات، المسيرة الفعلية البارزة لأسلافنا تبدو نافعة في حالة الاستمرار وفق أجندتهم المبتكرة التي حافظوا عليها في ظل أجواء سادتها المخاطر والمغامرات الحتمية من قبل من لا يؤيدون أن يكون لهذه الذات وجود في ركن من أركان هذا الكون السحـــيق، أليس الحفاظ على الإرث الخالد مبدأ لا يمكن الحيد عن مسيرته والاستغناء عن وجوده ، لماذا لا نسأل ذاتنا مرة واحدة ؟ لماذا قام أجدادنا العظام في بناء كيان الذات للذرية المقبلة من بعدهم ؟ هل ان التواصل الذي تطلب الجهد الشاق والعبء الثقيل لأسلافنا كان نزوة فردية المراد منها تحقيق رغبات الذات الشخصية دون الانفتاح والنظر إلى ما هو أبعد من قولنا هذا ؟ ألم يكن المقصود من تلك الثورة العارمة هو الخلاص من تبعية المناوئين لمفردات أجندتهم والاتكال على الغريزة التي استوجبت ولادة الذات النقية من المخاض الذي كدّ ومدّ و جدّ في سبيل أن تكون تلك الذات حرة وسعيدة وآمنة !،الذات مقدسة، ولهذا نحس بمقدساتنا الموروثة الحميدة والمجيدة والصديدة التي تحمي الذات والمحيط معا" وتبعث بالأمل الرغيد الوافر الزاهي لعبدها، الذات خلقت كي تكون ذات لأهلها، لنحافظ عليها لانها ركن من أركان قدسياتنا وجسر يمد ذاتنا تواصلا" مع أسلافنا العظماء الذين بذلوا جهودا" شاقة واجتازوا طرقاً متموجة وملتوية بالمبهمات والغموض، لنبني الذات بكل ما أوتينا من قوة كي نجعلها الأبهى والأغر لذواتنا والحامية لذكريات أجدادنا لطالما كان هذا هدفهم المنشود بالديمومة والصيرورة محذرين من انجرار الإرث المقدس إلى بودقة التلكؤ و الانجماد أو الانصهار في خانة أخرى، لنعمل على رقي الذات بقوانا الفكرية والبدنية والروحية والنفسية معا" كهيكل واحد دون المضي في تجزئتها وتعرضها لأمراض خبيثة تسهم في اندثار تلك الممتلكات التراثية المتاحة لنا منذ القدم، إذا أردنا أن تكون لنا ذات، فهذا لا يحتاج لمعجزات أو ابتكارات أو جهود ليست لها حدود، فالصفات المذكورة أورثها لنا أسلافنا،وما يقع على عاتقنا هو

التذكير والسير إزاء مبدأ مفاده إننا نملك ذاتاً مقدسة ورثناها منذ القدم وسنمضي بها إلى الأبد.

التطبيقات الدينية : يتمسك الإنسان الأيزيدي بمبدئه القاضي ان العقيدة الدينية التي تمتد جذورها إلى قدم التاريخ البشري تعد جزءا" مهما" وبارزا" وحيويا" من تاريخ وتراث الشعب الأيزيدي، وتعد العقيدة الدينية الأيزيدية حامية الوجود الأيزيدي على مر الزمان والمكان وهي أيضا صاحبة الفضل الأول في بعث الأصول الحكيمة والأرضيات الملائمة لارتقاء الشعب الأيزيدي إلى مراكز بلوغ الأهداف الطموحة، ويستوجب ذكر الحقيقة التاريخية التي تقف خلف ولادة الشعب الأيزيدي وهي الدين، الدين هو المصدر الوحيد الذي ساهم وبشكل كلي في نشوء الإثنية الأيزيدية المتمثلة بشعب أيزيدا المؤمن بعقيدة الإله نابو، نقطة انطلاق الشعب الأيزيدي الأولى بدأت بديانة الإله نابو، أي ان العقيدة الدينية هي التي ولّدت الإنسان الأيزيدي والأخير بدوره حافظ وبكل أمانة وإخلاص على هذه العقيدة الإيمانية التي تمثل بالنسبة له الروح، والحياة،و الوجدان ، و الشعور، والأحساس ، و المبدأ ، والثقة بالنفس ، والرغبة ، والأمل ، وإلخ.

الإنسان الأيزيدي يدرك ان العقيدة الدينية الأيزيدية هي أحدى أهم أركان القومية الأيزيدية المعاصرة وبدون هذا الركن الحيوي لا يبقى للقومية الأيزيدية أي معنى للوجود، وقد أشرت آنفا" بان "الفرد الأيزيدي حينما يفقد الديانة الأيزيدية تحت أي ظروف كانت سيصبح خارج الكيان الأيزيدي وهو بدوره سوف لا يرتبط لا من قريب ولا من بعيد بأي شيء أيزيدي، ونحن في هذا المخاض العسير لابد من أن نعرج على الآراء التي تحوم حول مبدأ القومية المعاصرة والتي تفيد بان للقومية عدة معان وتعريفات وفي الاتجاه المقابل فأن تلك التعريفات مازالت مبهمة وغامضة ولم تأخذ هدفها المطلوب وبهذه الحالة فلا يمكن لنا أن نتعكز على أحد هذه الآراء المطروحة طالما ليس هناك أتفاق مرض و عملي وواقعي من قبل الجميع إزاء وضع التعريف الشامل والدقيق لمفهوم القومية، وفي خضم هذه الآراء المتعددة سأضيف مفهوما" آخر إلى تلك المفاهيم وهو ينص على ان الديانة الأيزيدية والقومية الأيزيدية تكمنان في بودقة واحدة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر مطلقا"، وحينما يفقد الإنسان الأيزيدي أحد هذين المقومين فانه يفقد الكيان الأيزيدي برمته، وقد أشرت إلى ان الشعب الأيزيدي يمتلك مصطلح الإثنودينية وهذا بحد ذاته يعبر عن ان الديانة والقومية متحدتان لا يجوز تفريقهما

عن بعض وفي حالة فقدان أي من هذين المقومين سيزول المصطلح الإثنوديني عن الشعب الأيزيدي وبهذا فان المقومين (الدين والقومية) يقعان في بودقة واحدة تكمن فيها القومية الأيزيدية والديانة الأيزيدية والأخيرة تعد عقيدة دينية نادرة كونها تمتلك ظواهر وأركان حصرية منها تميزها بظاهرة غير التبشيرية والتي تعتبر ظاهرة خاصة لها من الالتزامات والأحكام ما يصعب تواجده في بقية الأديان، أما القومية الأيزيدية فهي لا تتغير بتاتا" لأنها تتعلق بالدم الأيزيدي، وما أريد أن أصل إليه هو أن القومية الأيزيدية ظاهرة موضوعية تتعلق بالجانب العضوي والعقائدي معا"، وهذا المفهوم الخاص يشير بمقتضاه إلى ان هنالك علاقة طردية ما بين القومية الأيزيدية والديانة الأيزيدية و لا يجوز غياب أحد هذين المقومين ويتوجب وجودهما معا" لدى الفرد الأيزيدي حتى يتمكن من الحصول على الهوية الأيزيدية، وفي حال غياب أحد هذين المقومين فان الهوية الأيزيدية ستزول عن الفرد الأيزيدي " ، وعلى هذا الأساس فقد ضحى الشعب الأيزيدي بثلثي (وان لم يكن أكثر من ذلك) عناصره الذين شكلوا بدورهم سدا" منيعا بوجه الانزلاق الخطير المتمثل بمؤامرات وحملات مأساوية حاولت تجريد الشعب الأيزيدي من الديانة الأيزيدية التي تحوي من العادات والتقاليد والنظم التراثية المستوحاة من التاريخ البشري القديم ، وأهم الأسباب التي تكمن وراء تمسك الإنسان الأيزيدي بديانته هو القوة الشعورية التاريخية لقدم الديانة الأيزيدية وكينونتها التي تضفي مبادئ وأركان وشعارات إيمانية وإنسانية وأخلاقية تلزم سلوك الإنسان الأيزيدي بسيادة تامة في تثبيت وجوده على ثقة مما يفعل من منطلقات بناءة ويشعر بانسجام ووئام ووحدة مع ذاته ومجتمعه ومحيطه، هذا المقوم يعد وضعا" ثابتا" وركنا" هاما" في أتساع نطاق الخيارات الآنية والمستقبلية ، وممارسته بمقاييس مرضية وسليمة طريقة في إبراز الحقيقة القومية للشعب الأيزيدي بطبيعة نظم وعلاقات مجدية ونافعة للذات والمحيط وهذا الوضع الطبيعي يميل له الإنسان الأيزيدي ويصارع المقاصد المناوئة له بغية تأمين ثباته القائم بقواعد متماسكة إزاء وحدته الاجتماعية ، العقيدة الدينية الأيزيدية تدفع بالإنسان الأيزيدي إلى توليد الإيمان في ذاته وهذا ما سوف يتيح له أن يميز سلوك الخير من سلوك الشر أثناء تطبيق أحكامه وأفكاره تجاه الذات والمجتمع، إذن، الاعتماد على هذه العقيدة يقودنا إلى بر الأمان وتحقيق الأهداف المرجوة ويتضح لنا بان الصورة الإنسانية تتجلى من الولوج في غمار هذا المقوم الذي يفسر لنا الحياة وجدوى وجود الإنسان فيها، الزخم الكافي في إدراك الشعور بالقومية

الأيزيدية واقع ضروري يدفع للقيام في تبلور النظم الحياتية على أساس الفكر النير ووقائعه الثابتة التي لا تعرف التحريف والتغيير والنهج غير المدروس وهذا يرجع إلى الذات التصاعدية للعقيدة الدينية الأيزيدية القائمة في مد جوهرها الروحي والمادي صوب الإنسان والمجتمع الأيزيدي، النتاج الفكري المستخلص لكل وجود قائم للشعب الأيزيدي ينبعث بأدوار واتجاهات وللدين الأيزيدي أهمية قصوى بذلك.

النظام الاجتماعي : العقيدة الاجتماعية الأيزيدية مرتبطة ارتباطا" مباشرا" بالمدنية المجتمعية المصحوبة بجملة من الأعراف و الصيغ المدنية الإدارية التي تمتاز بالإيجابيات، كان الماضي القديم مشهود له بقول " القوي يأكل الضعيف " ومن ينبش التاريخ القديم سيصل إلى قناعة تامة بان الحجم الكبير من ضحايا البشر سقطوا بسبب التشبث بالذات والسطو على المقابل ، من هنا ندرك بان كل منطقة إدارية كانت تدار من قبل شخص معين أو عائلة متوارثة و سكان تلك المنطقة كانوا ضحايا أهواء ذلك الزعيم ، فكل بقعة كانت ثقافتها الاجتماعية تختلف كليا" عن البيئات الأخرى ولهذه الأسباب وغيرها نتجت عن مخاض تلك المراحل الانتقالية أعراف سلبية أفرزتها الظروف غير المستقرة لتلك الإمبراطوريات والممالك والقبائل التي كانت تجابه العقيدة الاجتماعية الأيزيدية وباستمرار .

أشرت كثيرا" إلى ان الشعب الأيزيدي عانى الويلات وشرد إلى مناطق كثيرة ونائية وبذلك خضع إلى كثير من أعراف وبرامج شخصيات زعماء تلك المناطق، والشعب الأيزيدي قضى معظم أوقاته في عدة مناطق محكومة بسياسات مجحفة وتعسفية أرادت منها أن تقتلع الوجود الأيزيدي فيها وبالرغم من تلك الممارسات فقد حافظ الأيزيديون على تراثهم الحضاري الرافديني ولم ينسلخوا إلى تلك البرامج الهدامة ، هذا يعطينا حافزا" يدق بأفكارنا إلى أن ننبش كينونة هذا المقوم الصلب الذي لم يقهر أمام الصعاب ، مقاصد العقيدة الاجتماعية الأيزيدية نابعة بجوهرها من تاريخ حافل بمنجزات وأعراف إنسانية وأخلاقية تصل جذورها لآلاف السنين وقد عاصرت عهودا" زمنية كثيرة جعلتها تأخذ من كل واقعة زمانية ومكانية أفكارا" نيرة ومرتكزات مشرفة وثقافة محكمة بالعقل والموضوعية والأركان التي يتحقق جراء تطبيقها معنى الإنسانية والقيم المثلى للذات المجتمعية الأيزيدية ، هذه العقيدة رفضت رفضا" قاطعا" التوجهات

الهوجاء والمسارات العوجاء ولم تخضع تحت أجنداتها الفنائية وظلت تسير وفق رؤيتها الحضارية والإنسانية إلى أن تكللت الأدوار بالنصر المحتوم والذي تمثل بالوجود الأيزيدي القائم ، العقيدة الاجتماعية الأيزيدية غالبا" ما كانت ومازالت تستند بمواقفها الرصينة إلى مبادئ العقيدة الدينية الأيزيدية وقيمها السمحاء ، نفهم من هذا ان كل خطوات العقيدة الاجتماعية مقترنة بالرسالة الدينية الإيمانية الأيزيدية و التي تحوي من الركائز المهمة ما سيمكنها من القيام في خلق الأجواء الإيجابية بعيدا" عن تأدية المظاهر السلبية والخطايا للإنسان والمجتمع ، هذا الإصرار من الذات الأيزيدية على ضرورة نقاوة كينونة العقيدة الاجتماعية وتجريدها من الحقد والبغض وعدم الخضوع إلى المنطقيات والأعراف الهدامة واللجوء إلى عمل التنظيم للدفاع عن مبادئها، كانت له الأهمية الكبرى في الحفاظ على الوجود الأيزيدي القائم والذي يعود الفضل فيه إلى تطبيقات هذه العقيدة، كل هذه المسالك المثمرة تصب في خانة قيام العقيدة الاجتماعية الأيزيدية بدورها المشرف تجاه العمل والنضال الدؤوب لأجل الحفاظ على الوجود الأيزيدي وبالمفهوم المعاصر القومية الأيزيدية، ولعل خضوع العقيدة الاجتماعية الأيزيدية ضمن مقوم التراث الحضاري الذي يشكل أحد أهم أركان القومية الأيزيدية جاء لكون هذه العقيدة تحتوي في طياتها عادات وتقاليد وأعراف تتسم بطابع تراثي عريق .

فن وأساطير وثقافة : لدينا مسارات عديدة تتعلق بالمضمون الحضاري الأيزيدي والتي تتعايش معنا في كل لحظة وموقف نبدي فيه وقائعنا، هنالك أمثال بابلية كثيرة نستطيع أن نفهم مغزاها بوضوح تام وهي أن دلت على شيء فإنما تدل على مدى إدراك الأقدمين لما كان يجري من أحداث ووقائع في حياتهم اليومية و استخلاص التجربة والعبرة المفيدة منها سواء كان ذلك في المجالات الاجتماعية أو الاقتصادية او السياسية ، هذا التراث البابلي الذي يعتبر قاعدة التراث الحضاري الأيزيدي سننبش بعض جزئياته من خلال عدد من الأمثال البابلية والتي تعتبر نواة الثقافة الأيزيدية ومنها :[٩٤]

- لذة الخمر تذهب وعثاء الطريق.

[٩٤] (حضارة العراق - الجزء الأول - مجموعة باحثين " د. فاضل عبد الواحد علي" - ص٣٧٤، ٣٧٥).

- أرم كسرة للكلب يهز لك ذيله.
- الفقراء هم الصامتون وحدهم في سومر .
- أطع كلام أمك كأنه أمر إلهي .
- النمل مثل الطير لا يعرف موطنا" ثابتا".
- لن يترك العدو بوابة مدينة ضعيفة السلاح .
- لا كسب بدون تعب .
- إذا أحس بقرب أجله قال لأكل جميع ما عندي، وإذا تعافى قال لأقتصد .
- هل تضر بالثور إذا كان دائبا" على السير.
- إذا خرجت تصطاد الطيور بدون شبكة فلن تصيد شيئا".
- من تحب عليك أن تتحمل ثقل نير ساكن البلد الغريب مثل العبد .
- إذا أسأت إلى صديقك فما عساك أن تفعل مع عدوك .
- الزوجة المبذرة أشد ضررا" من جميع الأشرار .

حينما نقرأ أو نسمع هذه الأقوال والأمثال الخالدة نحس وكاننا نعيش في زمن آبائنا وأجدادنا وانه لمدعاة فخر واعتزاز أن يكون هذا أحد مقومات ثقافاتنا المادية التي نمتلكها أبا" عن جد ، هذه الأمثال البابلية التي كان لها صدى واسعا" في أوساط التجمعات الشعبية البابلية يتجدد حضورها اليوم في أوساط التجمعات الشعبية للشعب الأيزيدي بصورة وأخرى ومنها :[٩٥]

- الناس أعداء القبج و القبج عدو نفسه.
- مثل الأخوين كمثل اليدين أحدهما يشد الأخرى.
- لو كان الأقرع طبيبا" لداوى قرعته.
- مثل صداقة القطط والفئران .
- المعزة العرجاء غذاء الذئب .
- إذا أضعفت الشجرة ضعف ظلها .
- إذا أعتمد المرء على جاره نام جوعا".
- يشيخ الذئب ويصبح مسخرة الكلاب .
- إذا كان السلطان عادلا" ما ضاعت بقرة المرأة العجوزة .

---

[٩٥] (جريدة صوت الشعب الأيزيدي- العدد ١٢/٩عذيب الكوركوركي).

- أزرع الصبر في حديقة روحك فان البذور مرة ولكن ثمارها حلوى .
- على كل سائر أن يكون جسرا" للمتقدمين وقدوة للمتأخرين .
- من عاد من نصف الطريق لم يندم .
- تقول الشجرة لو لم تكن يد الفأس مني ما قطعت .
- الثعبان كره النعناع فنما النعناع في باب الثعبان .
- المدينة التي تحكمها قطة لابد أن يكون كل فئرانها مذنبين .
- مكان الرجل ساعة الضيق .
- الليل قلعة الرجال .
- الثلوج تذوب ولكن الجبال تبقى .
- لتعم العين التي لا ترى عدوها .
- إن كنت لا أقدر عليك فأنا أقدر على نفسي .
- عدو الأب لن يصبح صديق الابن .
- إنه كلبي ولكن يعوي أمام بيوت الآخرين .
- مكان يحيط به الخير يهرب منه الشر .
- ضيف ساعة في دارك جاسوس سنة كاملة .
- من يجلس قرب قدر أسود لابد وأن يتلوث .
- لا تكن في رعاية الثعلب فليأكلك الأسد أفضل .
- لتكن الدنيا عامرة ولتكن لجميعنا.
- الذهب قليل لكن سعره باهظ .
- ليكن خبزك شعيرا" ولون وجهك قمحا".
- عندما يخسر الأغا أمواله يصاب رأس خادمه بصداع .
- لا فرق بين الكلب الأسود والأبيض فكلاهما كلب .
- ما عرف أحد موضع الحك في جسمك مثل يدك .
- لو كان للقطة جناح ما أبقت عصفورا".
- يملح اللحم كي لا يتعفن فماذا نفعل إذا تعفن الملح .

[٩٦] " في عام (١٨٩١ م) وصل وفد من استانبول مؤلف من ضباط وشيخين يحملون رسالة إلى اليزيديين، يطلبون منهم أن يعترفوا بأنهم كانوا مسلمين ثم انحرفوا، وعليهم الآن أن يعودوا إلى الإسلام، ورفض أمراء اليزيديين وهم ميرزا بيك وشيوخه هذا الكلام وقال لهم " كيف نكون مسلمين وديننا يسبق دينكم بآلاف السنين ؟ ألم يكن نبوخذنصر يزيديا" ؟ ". هذا تأكيد صارخ على ان الشعب الأيزيدي على مر الدهور لم يبتعد عن تعاليمه وتقاليده وتاريخه ويفضل الموت ولا أن يكذب ويحرف جذوره، أبطال الأيزيدية يوجهون الحقيقة الدامغة بوجه أكبر دولة ظهرت في حينها على الأرض ويقولون لها بان الشعب الأيزيدي هو امتداد للشعب والتاريخ البابليين، ومن هو نبوخذنصر إذا لم يكن أيزيديا"، في تلك الظروف الصعبة التي كان يمر بها الأيزيديون وقولهم بهذا الدليل التاريخي الكبير كان هو الحقيقة التاريخية التي تثبت بان الشعب الأيزيدي يعد ذرية الشعب البابلي الخالد، وهذا الموقف التاريخي الذي تبناه الأبطال الأيزيديون آنذاك لم يكن عملا" عابرا" دون إدراك بل أتى كونه موروثا" يتغلغل في ضمائرنا وذواتنا ولن يستطيع أحد من اجتثاثه عنا ، وقد سار الشعب الأيزيدي على هذه الحقيقة أبا" عن جد وامتدادا" إلى الشعب البابلي، هذه الحقيقة الساطعة هي حلقة تاريخية مستمرة تبرز أمجادها في كل زمان ومكان وتصر وتؤكد للجميع بانها أحد اهم أركان تراثه الحضاري.

حينما ندخل في ساحة أو شارع شعبي لمدن يكتظ فيها الشعب الأيزيدي، نسمع أصواتا" صاخبة تنطلق من هنا وهناك تتقصد في تحديد هويات الأفراد، أفراد يحملون أسماء متعددة مستنبطة ومستمدة من الإرث السومري البابلي، تداول الكلمات و المصطلحات السومرية والبابلية مازالت هي مزاولة و دارجة إلى يومنا هذا في المجتمع الأيزيدي ومنها :

- سمو = الحمام ، وكان هناك ملك بابلي أسمه (سمو ابوم) حكم ١٣ سنة من سنة ١٨٩٤ - ١٨٨١ ق.م).
- شمو = النبات، وأيضا كان هناك ملك باسم شمو ديتانا.
- كور(Kur) كلمة سومرية تستخدم للدلالة على جبل وعلى العالم السفلي أيضا و Kur = كور = عميق بحسب اللغة الأيزيدية .

---

[٩٦] (اليزيديون واقعهم ، تاريخهم ، معتقداتهم - د. محمد التو نجي - ص١٠٦).

- Shu - Gi = أخذ امرأة ثانية، و شوكي = يعني زواج بالنسبة إلى اللغة الأيزيدية.
- Khir- Tum = خرتم = الشباب الباكر، و كلمة خورت = شباب = بداية الرجولة (بحسب اللغة الأيزيدية).
- ندانم = لم يعطوا لي وهي نفس المعنى واللفظ في اللغة الأيزيدية.
- Ishtar - Shakipat - Tebisha = عشتار قاهرة أعدائها، Shakipat = شقي بت = قاهر أو قاهرة (وهي نفس اللفظ والمعنى باللغة الأيزيدية).
- البناء الغريب في زمن جمدة نصر بناء بدون بوابات، قيل انه أستعمل لحرق الأشياء المقدسة من المعابد بعد تلفها، هناك أماكن تشبه ذلك البناء بدون بوابات لوضع الأشياء المقدسة فيها لا لحرقها يقال (خزينة) لدى تراث الشعب الأيزيدي .
- أسماء الأشهر الميلادية الحالية الموروثة من تقويم السنة البابلية التي تبدأ بشهر نيسان وتنتهي بآذار، ونجد بقايا هذا النظام البابلي في ترتيب الأبراج الذي يبتدئ بالبرج الأول الحمل في نيسان ، وهذه الأشهر مازالت أيضا تتداول في التقويم البابلي الأيزيدي .

هذه نبذة قصيرة من أسماء ومصطلحات سومرية و بابلية تكاد أن تكون غيض من فيض وهي تطل على شخصية الإنسان الأيزيدي في كل وجود قائم ، نشعر من هذا المنطلق باننا جزء من هذا التراث الحضاري ونحس بأننا أصحاب الموروث الرافديني الثري بالمنجزات ، من هنا يشكل هذا التراث الحضاري أحد أهم قواعد القومية الأيزيدية .

[٩٧] " في نيسان من عام ١٩٠٦ سافر " مارك سايكس " وهو بريطاني يعمل ملحق شرف في سفارة استانبول، في طريق القوافل من حلب إلى الموصل، حيث كان المهندسون الألمان يعملون في مد سكة الحديد إلى بغداد ، فمر بأطراف جبل سنجار، والتقى ببعض اليزيدية هناك ، بأسلوب ظريف، قال : " ملابسهم غاية في الغرابة، فعلى الرأس قبعة طويلة مخروطية بنية الشكل، وملفوف عليها عمامة سوداء أو حمراء، وأجسادهم ملفعة بقمصان بيضاء، مربعة الشكل عند الرقبة،

[٩٧] (اليزيديون واقعهم ، تاريخهم ، معتقداتهم - د. محمد التو نجي - ص١٠٠).

وعباءة بنية قصيرة ، وأحذية مدببة ملفوفة تكمل الزي، عندما شاهدت هذه الأشكال الغريبة حولي بدا لي وكأنني رجع الزمن بي أربعة آلاف سنة إلى الخلف . هذه واقعة وقعت قبل عشرات السنين، وبإمكان أي شخص في وقتنا الحالي أن يرى هذا الحدث بحذافيره دون تغيير أي شيء من الذي شاهده " مارك سايكس "



شكل(٤٠) باقة من الزي الأيزيدي المستمد من الزي السومري البابلي

قبل مائة سنة ، هذا هو الزي الأيزيدي الذي يستمد من الزي السومري البابلي وهـــو مازال قائما" على ذاته وجوهره وطبعه و لم يتعر بتاتا" بعواصف الظروف الهوجاء التي ضربت الشعب الأيزيدي طوال عهود وعقود زمنية منصرمة، هذا الزي يعتبر أحد أهم مسارات التراث الحضاري الأيزيدي والذي يترتب على كاهل المجتمع الأيزيدي الخضوع إليه ليس بدافع الفرض أو الإجبار وإنما بدافع الشعور بالذات الأيزيدية والتي هي امتداد إلى التراث الحضاري الرافديني القديم، هذا التراث الحضاري السومري البابلي الذي يملكه الشعب الأيزيدي ستجده ليس فقط عند الزي، بل ستجده عند : القصص و الحكايات ، وعيد آكيتو ، والمعتقدات الدينية والعادات والتقاليد ، والشخصية الثورية المكافحة، والأرض الواحدة، والأزياء والعلوم الحياتية المختلفة، وغيرها من الوقائع.

إن التراث الحضاري الذي يمتلكه الشعب الأيزيدي هو مدعاة النهوض بالوعي القومي الأيزيدي، حينما يشعر الإنسان الأيزيدي بانه جزء من هذا التراث الغني يفتح أمام ذاته التطلع إلى آفاق المستقبل المنيرة، آفاق تأخذ بالإنسان الأيزيدي إلى أخذ مكانة محترمة في المجتمع وتتسم بمكاسب تراثية حضارية حافظ عليها الآباء والأجداد طوال سلسلة حياتهم بجهود مباركة ومضنية، هذا التراث الذي حط على أكتاف الإنسان الأيزيدي الحاضر على طبق من ذهب، فكيف لهذا الإنسان أن يبعد أنظاره عن هذا الكنز الثمين، هذا الكنز الذي يتطلع إليه كل كائن حي أو مجتمع ما أن يكون من نصيبه . إن إدراك الإنسان الأيزيدي للتراث الحضاري المملوك لذاته و مجتمعه أستطاع من خلاله أن يحصل على مزايا واعتبارات معنوية ومادية مكنته من الوصول إلى تحقيق أهدافه المنشودة بطمأنينة وضمان ، التراث الحضاري الأيزيدي أسهم إسهاما" كبيرا" في تقوية الأواصر ما بين الشعب الواحد، فكل فرد أيزيدي يحس في ذاته بانه يمثل جزءا" من هذا التراث الغني ، وبالتالي فالجميع خضع إلى تفكير موحد مفاده ان الأيزيديون ينتمون جميعا" إلى مصدر التراث الحضاري السومري البابلي الأيزيدي الواحد ويعد ملتقى الشعب الأيزيدي والذي بدوره يشكل أحد الحوافز الرئيسة تجاه الشعور بالمشروع القومي الأيزيدي .

العامل السكاني الأيزيدي

عامل السكان له مكانة معتبرة في تحفيز واقع الإنسان والمجتمع برمته بالتحرك إزاء أهداف محددة يراد منها تثبيت منهجيات موضوعية و وقائع إيجابية سيتمكن الشعب من خلال ترجمتها على الأرض من أحلال الرخاء والازدهار والرفاه والتقدم للشعب الأيزيدي ، هذا العامل والذي يمتلك قابلية الإدراك الحركي للمجتمع وأداته الفعالة له الأهمية والصدارة في إحراز النقاط الإيجابية ويعتبر أحد أهم السلطات القائلة على الصعيد المجتمعي ، عامل السكان الأيزيدي وإيمانه المفرط بالتاريخ والحضارة الأيزيدية الشامخة يشكل الحتمية في اتخاذ القرارات والولاءات الصائبة وأن تعبئته بإرادات ومواقف صريحة وثابتة ذات منفعة عامة سيولّد سيادة مطلقة في تحول الذات المقيدة بفعل العوامل الدخيلة المزيفة إلى نفس تحرر الإبداع والخلق في تحقيق طموحات الذات ويزيل كل عثرة تقف أمام تطلعاتها و منطلقاتها .

إن حاجة المبدأ القومي الأيزيدي تقف كثيرا" عند هذا العامل الحيوي لكي يمد العون له ويساعده في تحديد مساراته الآنية والمستقبلية ووضع النتائج النافعة لتلك التحولات ، والمبدأ القومي الأيزيدي ينجذب على الدوام إلى تلك الأدوار التاريخية التي لعبها العامل السكاني الأيزيدي في ظل الوقائع الصعبة والمرنة والتي شكلت غذاء لمبدئنا القومي وتجلت عن إمكاناته التجددية والتحولاتية مواقف وتطبيقات ذاتية مطلقة ومن هنا أتخذ هذا العامل في توجيه الضوابط التثقيفية التي ملأت الفراغات الناجمة عن العمل الحركي لتلك الأدوار التاريخية .

إن الموقف الذاتي الذي يتبناه العامل السكاني الأيزيدي يولّد تغييرا" جذريا" في مواقف عناصره ، عقيدة الشخصية الأيزيدية الحضارية الرصينة تختزل أدوارا" تاريخية فذة احتوت أهم ركائز وأركان المراحل الزمنية والمكانية الانتقالية للمجتمع الأيزيدي ونتجت عن هذه الصفات والخصائص الإيجابية أوضاع أتسمت بفلسفة جديدة وبمقدرة فكرية وبتوسيع إمكانات وبتحجيم الأخطاء الناجمة عن كيانه، اللجوء إلى هذه المعاني والبراهين ذات الاتجاهات الموضوعية من قبل الإنسان الأيزيدي يرسخ القيم والأحكام المجتمعية الفعالة لإدارة التحولات،

والقصد من هذا التحول هو الكشف عن الاتجاهات التي تجسد حياة الفرد والمجتمع بانطلاقات إيجابية صوب الجوانب الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية وغيرها من المسارات، من هذا المنطلق النبيل، تعد عقيدة الشعب الأيزيدي التراثية برنامج عمل الدفتر اليومي والآني على أكمل وجه للإنسان الأيزيدي لما لها من أهمية المتابعة على خطوات التحولات الناجمة من البيئة الطبيعية وعناصرها والسير قدما" بهدف حقن مسيرة القومية الأيزيدية بأداة مشحونة ومليئة بالنشاط والحيوية وبالحماسة والمشاعر الفياضة، هذه المسيرة تتجاوز الحدود الطبيعية بفعل تحوطاتها القائمة على الجوهر الكامن والظاهر للعقيدة، يتضح من هذا الخلق والإبداع تطبيقا" وترجمة على الواقع الأيزيدي، وتطلع السكان إلى مقاصد مصادر الأفعال والمبنية على المبدأ القومي الأيزيدي الصرف يعطي لنا سلوكا" اعتباريا" وماديا" هدفه الصيرورة الدائمة كأساس للعمل القومي في المجتمع الذي يتصل به الموقف الفكري والوجداني والشعوري المنحاز إلى جانب قوى التغيير الجذري الداعية إلى تطبيق الأفكار الموضوعية في حكم المنطق القومي الأيزيدي.

عقيدة شخصية الإنسان الأيزيدي الذاتية أصبحت شعار المسيرة التاريخية للسكان (الشعب الأيزيدي) ودفعت بتطور قابليات المجتمع الثورية في خضوع الذات الأيزيدية إلى الإرادة الشخصية في تطبيق العمل القومي الأيزيدي على الأرض، والأهداف التي دعت إلى إلغاء التبعيات التي فرضت على الواقع الأيزيدي طوال مسيرته التاريخية كانت نابعة من قوة العقيدة الشخصية التي بدورها أبرزت أدوات وأساليب التنظيم والترتيب لوقائع طبيعة الإنسان والمجتمع في البيئة التي مهدت في تحفيزها بالنهوض إيجابا"، هذا التحول الباهر في الوضع المجتمعي الأيزيدي وتحديد صيرورة المواقف تجاهه يميل إلى الكشف عن فعاليات منطقية تؤثر بروح المجتمع وجاذبيته للتوجه إلى المشروع القومي الأيزيدي .

إن مبادئ وأفكار السكان (الشعب) تؤمن بالتضحية والوفاء والولاء إلى الذات التي ولدت العمل القومي الأيزيدي من الموروث الحضاري الرافديني الكامن في نفوس وأحوال المجتمع، ويستوجب في هكذا محافل فكرية وواقعية أن نستذكر القضايا الإنسانية لهذا العامل الحيوي والذي يشكل العمود الفقري للمشروع القومي ، وإمكاناته في خلق المفاهيم والمواقف الصائبة و التي تجرد الإنسان من

الأنانية والمصلحة الذاتية، هذا المنعطف يؤول إلى إن الفكر القومي الأيزيدي ليس بخطر على المقابل بل يكون حافزا" في نيل طموحاته . إن تطور المجتمع الأيزيدي وبناء نظام قومي مستنبط من تاريخه الحضاري والديني ينطوي على أنظمة وفلسفة اجتماعية ومبادئ من نتاج حضاري سومري بابلي ، ذلك يمثل هدفا" سهل التحقيق وهو في متناول اليد، وهذا ما أمتد به السير إلى الوقائع وتم فيه إثبات الواقع القومي الأيزيدي، وهذا ما نؤكد عليه بان العامل السكاني يعد الميزة الأساسية والمقوم الراسخ لبناء مفهوم القومية المعاصرة .

إن المخاطر التي واجهت الشعب الأيزيدي والأخير لم يتردد في التصدي لها، تعطي لنا هذا الواقع الفولاذي والشعور بالإدراك المحتوم حول امتلاك هذا الشعب مبادئ قيمة وفوق العادة ، هذه المبادئ مليئة بتأكيدات وأساسيات سعت وتسعى على مر الوقت بإحراز النجاحات و تنطلق وفق طبيعة طبعها وسلوكها اللذين ينطويان تحت منهجية مفهوم أخلاقي وإنساني صحيح تهدف إلى بناء إرادات وأدوار يرى الإنسان الأيزيدي ذاته من خلالها بأنه المصدر الرئيسي والحاسم لتقدمه وتطوره، الإرث الأيزيدي ساعد في نهوض الإنسان الأيزيدي من تلقاء نفسه دون تدخل طرف آخر في تكوين وتقوية ذاته، وحينما أصر هذا الإنسان لدرء المخاطر عن بني جلدته فأن ذلك لم يأت من فراغ منهجي، بل كان وراء ذلك وجود مطلق، هذا الوجود لم يقف مكتوف اليدين أمام القدر المفتعل والتجاوز الصعب والوضع المرير بل أتجه إلى القصد في دحر المظهر المتصدع ووقف سدا" منيعا" أمام نزوات الطامعين ، أخذت هذه العقيدة (الشخصية الأيزيدية) القرار من كل ذاتها وعمقها الإنساني والأخلاقي للتصدي للتجاوزات المنحرفة تاركة وراءها الإغراءات الدنيوية ، هذا العناد الذاتي الأيزيدي هو الوعي القومي بعينه.

إن النبش في تراكمات الماضي الأليم يأخذ الدرب بنا إلى مدى تعلق الإنسان الأيزيدي وإيمانه بالوعي الذاتي الأيزيدي، حملات الإبادة وبالمئات ، وتهجير مستمر، العيش في المناطق النائية، المكوث في الكهوف والمغارات المظلمة وعلى أغصان الشجرات في أوقات معينة، وغيرها من المعاناة التي شغلت معظم واقع العقيدة الشخصية الأيزيدية الزماني والمكاني ، والعامل السكاني بدوره كافح بنضال دؤوب وهادف لإنقاذ المجتمع والوجود الأيزيدي من الظلم والاضطهاد والتبعية العنصرية ، من هنا يستوجب بنا أن نضع هذه المعطيات

والوقائع التاريخية الحافزة أمام خطواتنا النضالية وبذلك فاننا على يقين بان الوعي القومي الأيزيدي قد عاصر الإنسان الأيزيدي في كل زمان ومكان .

إن صون التراث والتقاليد والعادات منهج صائب وإيجابي يندرج تحت لواء الإنسان المناضل والذي يقف سدا" منيعا" أمام التحديات والظواهر الغريبة التي تنتجها مركبة النمو غير الطبيعي ، نحن لسنا ضد عملية النمو، بل نحفز النمو الطبيعي المستند والمستنبط من واقع الشعب التراثي والحضاري للسير أماما وبمراحله الطبيعية ، كل هذه التحركات النضالية التي قامت بها الشخصية الأيزيدية لمحاربة الأفكار الدخيلة دفعت المجتمع الأيزيدي وعناصره إلى القيام بالعمل البطولي والمقدس وهو أحياء أمجاد الماضي والتمسك بالتراث الحضاري الأيزيدي وإزالة تراكمات الماضي الأليم عن الشعب الأيزيدي وأحياء القومية الأيزيدية واللغة الأيزيدية وإبراز التاريخ الأيزيدي وغيرها من المقومات المباركة.

إن مقياس الشخصية يكمن في قياس قيمة الأشياء والمنزلة التي تتوقف عندها الإرادة، والإرادة الأيزيدية التي تستند على الموضوعية في الدعوة التي تخوض من أجلها تبغي فعالية شاملة لا يقاس عمقها الإيجابي، و تترسخ بميزات ووقائع سليمة وطبيعية تتغذى عليها شخصية الإنسان الأيزيدي باستمرار. إن التقدم الفكري والمجتمعي للشعب الأيزيدي يستمد من الواقع الحضاري السومري البابلي في تحديد واجهات وعناوين مسيرة نضال القومية الأيزيدية ، توارث الشخصية الرافدينية الثورية القديمة والإمعان والإذعان والاستعانة بمنجزاتها وبطولاتها الفذة سيسهم في تحفيز طبيعة الشخصية الأيزيدية للانطلاق إلى بلوغ الهدف الطموح، من هنا، فقد تحقق لشخصيتنا الثقة بالنفس من جهة ، ومن الجهة الأخرى الثقة بتطلعات الشعب الأيزيدي، عندما ننظر إلى الشخصية الأيزيدية في أثناء تحركاتها الفكرية والثورية والعقائدية والاجتماعية والسياسية واحتكاكها مع الذات أولا" وثانيا" مع المجتمع ، تتضح لنا صورة متكاملة الأبعاد وتحمل تحت ثناياها المواقف النادرة والداعية إلى تحرير الذات والمجتمع من الآفات والآلام ، وهذا ما يدفع إلى القول بان الشخصية الأيزيدية تمتلك العديد من الصفات وأهمها :

أ- الحس الوطني والقومي.
ب- الإيمان بالحرية والاستقلالية والديمقراطية .

ت- الاستناد على تاريخها ومعتقداتها الدينية والاجتماعية في أخذ القرارات التي تصب بمصلحة الشعب.
ث- التضحية من أجل الشعب والوطن .
ج- محاربة الإقطاعية والرجعية والدكتاتورية بالطرق السلمية الآمنة .
ح- تحرير حقوق المرأة .
خ- حب المساواة .
د- الإيمان بالمبادئ الإنسانية والأخلاقية في شق دروبها النضالية تجاه مسيرة الوطن وشعبه .
ذ- تمتلك الاحترام المتبادل .
ر- تبتعد عن المصالح الشخصية .
ز- تمتلك الشخصية المثالية بين المجتمع وتحاول أثبات الشخصية المتزنة والمعتدلة في كل وجود قائم .
س- احترام العادات والتقاليد الخاصة والعامة .
ش- التجرد من الخوف والأنانية في المواقف النضالية.
ص- الحضور الدائم في قلب الأحداث ودون تخاذل .
ض- تمنح القرارات الصائبة في المواقف الاعتيادية والصعبة والاستثنائية ودون تخاذل .
ط- تؤدى الواجبات والأنشطة دون تردد .
ظ- تستثمر الوقت وعدم هدره.
ع- لا تقلد المقلد بل دوما" تكون مبتكرة في أعطاء الدروس والقرارات.
غ- تبحث على الدوام في خلق أجواء حسنة وآمنة للشعب والوطن .
ف- تجدد الأفكار والأهداف والمبادئ بما يتماشى مع الواقع .

إتباع هذه الصفات الشخصية التي يمتلكها الإنسان الأيزيدي سيقودنا إلى تنظيم كلي للمجتمع وسيجدد جميع أبعاد الحياة التي نأمل فيها أن نكون أهلا" للإرث الحضاري السومري البابلي الأيزيدي، الانتماء والولاء إلى هذه الحقيقة الدامغة شرط أساسي للإنسان الأيزيدي بالخضوع إلى هذه الشخصية التي تعد من أهم الشخصيات المعنوية والبطولية في التاريخ البشري .

هنالك أركان اجتماعية ودينية بارزة أثبتت واقعها الفعلي في تحفيز النمو الطبيعي غير المعتاد لعامل السكان الأيزيدي، ومنها :

- العقيدة الدينية الأيزيدية فرضت أركان وركائز عديدة على كاهل الإنسان الأيزيدي والمجتمع عموما" ترتبت على أثر تطبيقاتها جملة من الالتزامات بحيث لا يمكن التجاوز عليها فضلا" عن كونها لا تقبل التأويل والإضافات الآنية بل تعتبر كيانا" لا يمكن التلاعب به وهو الذي حافظ عليه آباؤنا وأجدادنا منذ آلاف السنين، كل إنسان أيزيدي يدرك مدى حدود تحركاته الدينية و الاجتماعية ورسم على ضوئها آماله وطموحاته الآنية والمستقبلية ، ونتجت عن هذه التطورات والمراحل المجتمعية المرهونة بالعقيدة الدينية والأعراف الاجتماعية الإيجابية عمليات نمو طبيعية للسكان انسجمت كليا" مع الواقع الأيزيدي إزاء العوامل الحضارية والتراثية والدينية والاجتماعية وغيرها من المجالات، وعند المحصلة فإن عامل السكان الأيزيدي الحالي ناتج عن مخاض هذه المراحل الطبيعية وبالتالي يتميز هذا الشعب بسمات نبيلة وصفات حميدة ويمتلك قيما" ومبادئ حسنة أثبتت حضورها الدائم في كل واقع.
- العقيدة الاجتماعية الأيزيدية وفي بعض جوانبها لعبت أدوارا" تحفيزية لنمو العامل السكاني ، التنافس ما بين العوائل والعشائر والقبائل للتمسك بمقاليد السلطة العائلية والعشائرية والقبلية غالبا" ما كانت تحصل ويفوز بها من كان يملك العامل السكاني الكبير أو العدد الأكبر من الأفراد وعلى وجه الخصوص العنصر الذكري (الرجال)، وهذا التنافس على العامل السكاني أنعكس إيجابا" في زيادة الحجم السكاني للمجتمع الأيزيدي.
- هناك عرف اجتماعي تتمسك به أغلب المجتمعات الشرقية و هو بقاء اسم العائلة وتوارث تاريخها وممتلكاتها بالتعكز غالبا" على الإنسان من جنس الذكر وهذا ما كان بمثابة دافع إلى أن يكون ضمن نسل العائلة على أقل تقدير عنصر ذكري، وفي الاتجاه المقابل فان الحصول على هذه الغاية الاجتماعية المفرطة من قبل الأفراد لتعظيم حساباتهم المستقبلية التي تنطوي على زيادة تكاثر النسل الذكري خشية من وقوعهم في الأزمات التي تفتقد هذا العنصر بسبب الأمراض والأوبئة ووقائع الحروب ساعد بشكل وآخر على زيادة النمو السكاني الأيزيدي.

كان للشعب الأيزيدي عامل سكاني كبير أستطاع من خلاله التصدي لمحاولات انتقامية ببسالة فائقة وخارقة ويعود الفضل الأكبر لذلك التصدي المنحاز إلى الانتصار على الأغلب إلى وجود العامل السكاني الأيزيدي والذي من خلاله جنى

شعبنا انتصارات عديدة مشهود لها في التاريخ الأيزيدي . إن الحروب المتكررة التي توالت على الشعب الأيزيدي في عهود زمنية متعاقبة أدت إلى حدوث مجازر بحق الأبرياء فضلا" عن تشتيت الشعب إلى بقاع شتى، وانهارت على أثرها الإمارات الأيزيدية[٩٨] ولولا تآمر العديد من الأطراف والذين شكلوا قوات كبيرة كانت أكبر بكثير من حجم شعبنا لصمدت وحافظت تلك الإمارات على كياناتها المستقلة، هذه الاعتداءات منعت الشعب الأيزيدي من المرور بمراحل النمو السكاني بصورة طبيعية.

[٩٩] حدد الرحالة وليم هيود الضابط الإنكليزي الذي زار المنطقة في سنة ١٨١٥م عدد اليزيدية بأكثر من مليوني نسمة إذ قال " إنهم يتجاوزون المليون نسمة بل يربون عن المليونين حسب بعض التقارير ويقسمون إلى قبائل عديدة صغيرة مستقلة يتزعم كل واحدة منها رئيس ويقال أنهم ينحدرون في الأصل من خمس أسر ولكنهم الآن لا يتميزون إلا بكونهم قبائل رحل أو مستوطنة وكلتا الفئتين تتكونان من اليزيدية البيض والسود حسب لون لباسهم فالسود هم كهنتهم ولا يقتصر عملهم على القيام بمهام خدمتهم فحسب بل هم في الغالب مكلفون بحراسة قطيع القبيلة ".

وفي عملية الإحصاء التي قامت بها عصبة الأمم عام ١٩٢٩م كان عدد الأيزيدية بحدود الثلاثين ألف نسمة في العراق، هذه المعلومات تشير في مقتطفاتها إلى ان عدد سكان الشعب الأيزيدي منذ بداية القرن التاسع عشر وإلى العقد الثالث من القرن العشرين والتي لا تتجاوز الفترة الزمنية بينهما سوى أحدى عشر عقدا" زمنيا" تقريبا" ونرى في هذا بان الشعب الأيزيدي بدل أن ينمو سكانه بأضعاف عدده في ١٩٢٩ فقد ضاع منه بحدود ٩٠% من حجم سكانه الذي أشار إليه الضابط الإنكليزي في عام ١٨١٥م بان الشعب الأيزيدي يربو عن المليونين نسمة وبعد مائة وأربع سنوات لم يتبق منه سوى ثلاثون ألف نسمة وهذا يدل على ان الشعب الأيزيدي كان يتعرض وباستمرار إلى أبشع مظاهر الظلم والاغتيال

---

[٩٨] (الإمارات الأيزيدية التي كانت تلعب دورا" أساسيا" في العراق قبل عدة قرون مضت هي: إمارتي سنجار و الشيخان (من أعمال نينوى)، إمارة حرير (من أعمال أربيل، إمارة داسن (محافظة دهوك بأكملها).

[٩٩] (ما هي اليزيدية ومن هم اليزيديون- محمود الجندي - صفحة ٧١).

والتشرد والانصهار في بودقات القوات الغازية لمناطق الأيزيدية، فلو لم يتعرض الشعب الأيزيدي إلى حملات الإبادة الجماعية والسياسات التي أفرزتها عقب اغتصاب الأراضي الأيزيدية وسكانها فماذا كنا نتوقع من النسبة الحقيقية التي كانت من المفروض وصول الشعب الأيزيدي إليها في وقتنا الحاضر لاسيما وقد عرفنا من خلال الحقيقة التاريخية التي أكدت ان الشعب الأيزيدي في عام ١٨١٥م كان يربو على المليونين نسمة، الله يكون في عون الشعب الأيزيدي .

وبعد كل هذه الويلات حافظ المجتمع الأيزيدي على عامل سكاني طموح يؤهله للخوض بجميع الوقائع التي ستترتب على كاهله وسيتكلل بالنصر المحتوم بأذن الله تعالى ، من هنا أتضح للإنسان الأيزيدي بان عامل السكان يشكل طاقة إضافية إلى بقية المبادئ القومية ، ولذا فقد أخذ هذا العامل السكاني دوره الإيجابي في نيل حقوقه ومكتسباته وخصوصا" في العملية الديمقراطية التي خاضها الشعب الأيزيدي وحصل على تثبيت حقيقي لتمثيل نفسه بنفسه و وصل إلى السلطة التشريعية العراقية بانتخابات ٢٠٠٥ م[١٠٠] بمعاصم أيديهم دون الاتكال على الغرباء وهذه الواقعة تعتبر أول مضمار سياسي يدخل به الشعب الأيزيدي بذاته ويحقق نصرا" لذاته أيضا ، الزخم الجماهيري الأيزيدي كان له الدور الفعال في تثبيت دعائم الحرية والديمقراطية بين الأوساط الأيزيدية والوطنية عموما" واندفاع الشعب إزاء هذه العوامل أخذ صدى واسعا" بين الأوساط الجماهيرية وكان بمثابة رسالة عنوانها ان المجتمع الأيزيدي تواق لإرساء وترسيخ قيم ومبادئ الحرية والديمقراطية على أرض الواقع كما له المقدرة في تحقيق المكاسب من خلال الذات التي تخلو من ظواهر العنف والكره والعنصرية والاستئثار بمقدرات الشعب والوطن، هذه المؤشرات الإيجابية والتي دفعت الإنسان الأيزيدي إلى أن يخطوا بخطوات مماثلة بعدما أدرك وآمن بالوقائع التي أفرزتها نتائج مادية مقنعة صوب مناحي كثيرة وعلى رأسها الفكر القومي الأيزيدي، أفرزت معاني لها أبعاد إيجابية على الصعيد القومي الأيزيدي والوطني أيضا.

---

[١٠٠] (الشعب الأيزيدي شارك في انتخابات مجلس النواب العراقي في ٢٠٠٥/١٢/١٥م من خلال الحركة الأيزيدية من أجل الإصلاح والتقدم والتي فازت بمقعد واحد متمثل بـ(أمين فرحان جيجو) وهو مؤسس ورئيس هذه الحركة التي تعتبر أول حزب سياسي ظهر في تاريخ الشعب الأيزيدي).

العامل الجغرافي الأيزيدي

قبل أن أدخل في صميم هذا المقوم المهم، سآخذ نظرة سريعة على أحد الوقائع المطروحة في ساحة المؤرخين والباحثين الأثريين والذي يختص بدراسة انحدار الجذور التاريخية للسومريين في بلاد ما بين النهرين، هذا الانحدار الجذري له ترابط فعلي إزاء ما أريد أن أطرحه ضمن نطاق بحث العامل الجغرافي للشعب الأيزيدي.[١٠١] يعد السومريون في تاريخ بلاد وادي الرافدين من أقدم الشعوب العريقة التي استطاعت وضع لبنات الحضارة الأولى في القسم الجنوبي من العراق القديم الذي عرف ببلاد سومر (يكتب بالعلامات المسمارية الثلاث ki.EN.Gi) وما يزال شأن السومريين ودورهم في التاريخ القديم يعظم باستمرار كلما استجدت مكتشفات أثرية واستظهرت نصوص سومرية جديدة لتسلط الأضواء مرة بعد أخرى على جوانب مشرقة من منجزاتهم الحضارية ودورهم في أغناء الشعوب بالمعرفة في مختلف جوانب الحياة اليومية، وبقي أصل السومريين مشكلة مثيرة للجدل لم تستطع حلها الدراسات اللغوية أو الأنثروبولوجية أو الآثارية، و أختلف العلماء في أصلهم، فهناك من الباحثين من قال على أساس العناصر الحضارية الجديدة التي تقترن عادة بوجود السومريين والتي ظهرت في عصر الوركاء (كالأختام الأسطوانية، والنحت، ودولاب الفخار، والكتابة) بان السومريين ربما جاءوا إلى جنوب وادي الرافدين في العصر السابق للوركاء أي في عصر العبيد ، ويفترض بعض الذين يقولون بمجيء السومريين من بلد آخر انهم ربما جاءوا عن طريق البحر وأنهم سكنوا أول الأمر في دلمون (البحرين) التي تحتل حيزا" مهما في التراث السومري وأنهم من بعد ذلك نزحوا شمالا" باتجاه القسم الجنوبي من وادي الرافدين والذي عرف فيما بعد ببلاد سومر، ومن الباحثين من قال ان السومريين ربما نزحوا بالأصل من مناطق حوض وادي السند الذي ازدهرت فيه حضارة هربا و وأنهم جاءوا عبر إيران والخليج العربي إلى القسم الجنوبي من العراق، ويعتمد هولاء في فرضيتهم على قطع فنية عثر عليها في مواقع من جنوب العراق يعود تاريخها

---

[١٠١] (العراق في التاريخ - مجموعة باحثين "د. عبد الواحد علي" - ص٦٣، ٦٧، ٦٨).

إلى حدود ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وتدل صناعتها ومادتها على أنها جاءت من حوض وادي السند.

يشير الباحث الديني الأيزيدي سعيد يوسف الخالدي مستندا" إلى معتقداته الدينية المحفوظة على الصدر، بان الشعب الأيزيدي كان يسكن أراضي قارة آسيا (أراضي إيران وأفغانستان والعراق وتركيا وبلاد الشام والجزيرة العربية) على شكل قبائل وإمارات شبه مستقرة تكد جل أوقاتها بين الزراعة وتربية الماشية، وقبل حدوث طوفان نوح (ع) وبإيحاء رباني أمر الشعب الأيزيدي بالتوجه الى الهند (حوالي ٣٠٠سنة قبل الطوفان) وهاجر على شكل موجات قبائلية عدا الذين لم يصدقوا ذلك الإيحاء الإلهي ، وبعد وصولهم إلى الهند استطاعوا أن يحكموا جزءا" من أراضي الهند وبنوا فيها حضارة مميزة ، وبعد جلاء ماء الطوفان عادوا إلى أرض بلاد ما بين النهرين بطريقتين ، الأولى عن طريق البحر بواسطة القوارب فوصلوا إلى جنوب العراق وقاموا ببناء القرى والمدن واستقروا فيها، وهذه الطريقة نسميها بالاكنجي (ئا.كن.جي)، والثانية كانت عن طريق البر على شكل موجات بشرية بطريقة البداوة مع حيواناتهم (كوجري). وفي هذا السياق يعضد موقفنا هذا الدكتور طه باقر[١٠٢] في طرحه بان " هناك رأي لجماعة من الباحثين بان السومريين نزحوا من وادي السند[١٠٣] على شكل موجتين هجريتين عن طريق البحر (الخليج) وأطلقوا عليهم (K.N.G) والثانية برا" عن طريق إيران وأطلقوا عليهم لفظة (K.O.Re) ". فما ذهب إليه الدكتور طه باقر وإطلاق تسميته على الهجرة الأولى عن طريق البحر أو الخليج ب(K.N.G) أنما هي العبارة التي تستند إليها عقيدتنا الدينية وإرثنا الحضاري وأشرت إلى ذلك آنفا" وبحسب معتقدنا فأن الهجرة التي قامت عن طريق البحر سميت بـ (ئا.كن.جي - A.Kin.G) وتعني هذه العبارة باللغة الأيزيدية "الاستقرار " ، وفي هذا السرد التاريخي هناك تطابق كلي بين ما جاء به الدكتور طه باقر في كتابه

[١٠٢] (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - وادي الرفدين - طه باقر - صفحة ٦٥).

[١٠٣] (حضارة وادي السِّنْد كانت واحدة من أولى الحضارات العالمية العظيمة، بدأت هذه الحضارة في الازدهار قبل نحو ٤٥٠٠ عام، وكانت تتمركز في أودية النهر الشاسعة، وهي المنطقة التي تُعرف الآن باسم الباكستان، وشمال غربي الهند ، وتطورت هذه الحضارة بواسطة جماعات كانت تمارس الزراعة والرعي).

بتسمية الهجرة الأولى ب(K.N.G) وما تستند إليه تاريخنا الأيزيدي ب(ئا.كن.جي - A.Kin.G) ، وبخصوص الشطر الثاني وهو الهجرة الثانية التي تمت من خلال البداوة فقد سمي الاسم الذي ذكره الدكتور طه باقر ب(K.O.Re) ويطابق هذا المصطلح الأسم الذي تطلقه العقيدة الدينية الأيزيدية على هجرة البداوة ب(كوجري - K.oGa.Re) وتعني هذه الكلمة "البداوة " بحسب اللغة الأيزيدية. ويثني هذا الطرح أيضا الدكتور محمد التونجي[١٠٤] حيث أشار إلى ان " هناك طائفة (لبخوز - lepchos) موجودة في الهند وهم أجيال من الناس يعيشون على سفوح جبال هيمالايا ، عقائدهم تشابه عقائد اليزيدية كل المشابهة ، ذلك ان أصلهم من اليزيدية الموجودين في سنجار، فيروى ان بعض دعاة هذا المذهب لما كثر عددهم قصدوا المشرق ليبثوا الدعوة له ، فلما دحروا لغرابة دينهم لجأوا إلى بعض الجبال ، فاحتمى بعضهم بالجبل، وعاشوا هناك منزويين ". وقد وصلتنا قبل عشرة سنوات من الآن صورة لفتاة هندية وهي أمام تمثال على هيئة الطاووس وهي توقد الجرا (الشعلة) مثلما يفعله الشعب الأيزيدي بخصوص هذا الطقس الديني .



شكل(٤١)

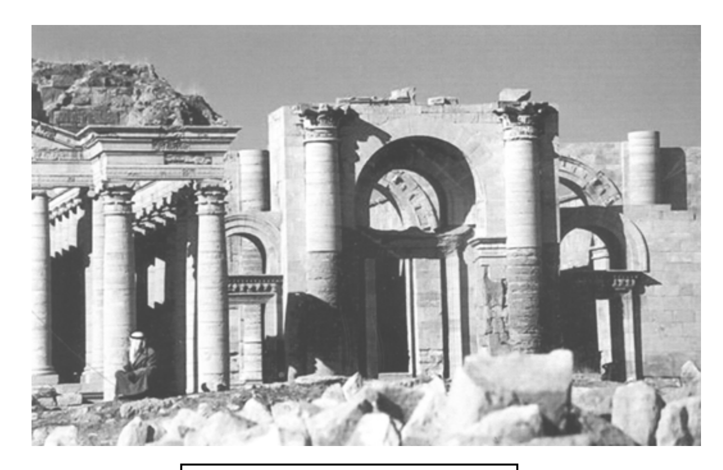
فتاة هندية توقد شعلة مقدسة

ذكر السيد زهير كاظم عبود[١٠٥] بان " الطاووس تمثال لطير الطاووس (انظر الشكل رقم "١٧") مصنوع من البرونز القديم وجد من عهد إبراهيم الخليل (ع) حسب التواشيح الدينية اليزيدية وعلم الصدر، وكانت هذه الطواويس وعددها سبعة (السناجق) منصوبة في الكعبة الشريفة مع آلهة قريش التي كانت تعبد آنذاك قبل الإسلام وكان آخر سدنة الكعبة الشريفة أبي سفيان......... "، وهذا يدحض ما ذهب إليه الباحث الديني الأيزيدي والذي أشرت إلى قوله آنفا" حول

[١٠٤] (اليزيديون : واقعهم ، تاريخهم ، معتقداتهم - محمد التونجي - صفحة ٩٤).

[١٠٥] (لمحات عن اليزيدية - زهير كاظم عبود - ص٩٦ ، ٩٧).

التوزيع الجغرافي للشعب الأيزيدي و تأكيده بان الأيزيديين كانوا ينتشرون في بقاع عدة ومنها الجزيرة العربية.[١٠٦]



شكل(٤٢)
مدينة الحضر

تسمى الحضر باللغة القديمة (حطارا)[١٠٧]، و حطارا هو اسم مدينة أيزيدية تقع ضمن إداريات محافظة نينوى قديما" وحديثا"، وبما ان مدينة الحضر[١٠٨] تابعة إلى نينوى ومنذ القدم ولا تبتعد أكثر من مائة ميل عن مدينة حطارا الأيزيدية فمن البديهي أن تعود تسمية حطارا الأيزيدية إلى مدينة الحضر (حطارا) وكما أشرت سابقا" بأن هنالك ترابطا" قويا" وتشابها" كبيرا" ما بين معتقدات الديانة الأيزيدية والمعتقدات الدينية لسكان الحضر آنذاك .

---

١٠٦ (في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذا الكتاب تمت الإشارة إلى تواجد الشعب الأيزيدي في الجزيرة العربية من خلال الولوج في تاريخ قبيلة الأزد).

١٠٧ (تاريخ حضارة وادي الرافدين - صفحة ٣٧٥ - الدكتور احمد سوسة).

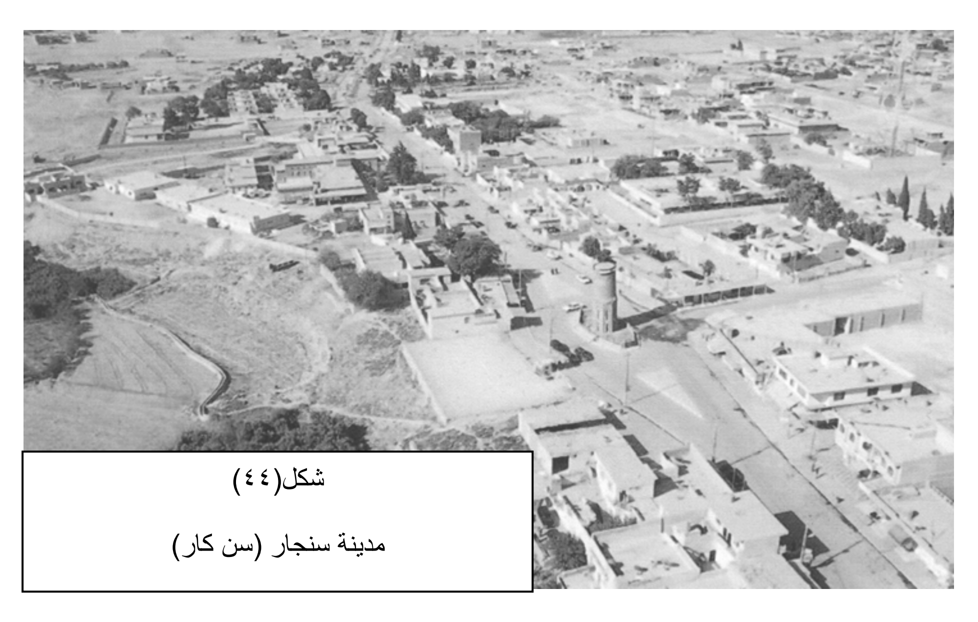
١٠٨ (تقع الحضر في بادية جزيرة العراق ضمن لواء الموصل على بعد حوالي ٧٠ كم غرب القيارة على نهر دجلة).



شكل(٤٣)

مدينة حطارا الأيزيدية

سأنعطف إلى اتجاه آخر وهو ما يتعلق بأحد أهم المدن الأيزيدية الحاضرة و الموغلة في التاريخ، وهي مدينة سنجار، وتعنى سنجار مدينة الإله سن ، حيث ان سنجار تلفظ باللغة الأيزيدية على لسان عامة الأيزيدية ب (شنكار)، وأرى بانه في الأصل تعني (سن كار) وليس شنكار وبمرور الوقت يبدو انه قد أنحرف أحد حروفها لظروف ما، وبهذه الصيغة التي نراها بأنها هي الأصل فان (سن كار)



شكل(٤٤)

مدينة سنجار (سن كار)

تتكون من مقطعين هما (سن - كار)، وكلمة (كار) تعني مدينة، وسين معروف عنه بأنه إله سن (إله القمر) والذي يمثل أحد أهم معتقدات الشعب الأيزيدي الحالية ، فقد جاء في كتب التاريخ بان[١٠٩] كار تعني بمدينة بحسب كار دُنياش = بلاد دنياس وهناك العديد من العبارات الأخرى التي تؤكد بان كار تعني مدينة، إذن فان سنجار الحالية تعني مدينة إله سن ، ويتفق مع هذا الموقف أيضا السيد ماجد الشمس[١١٠] حيث أكد بان " ومن الضروري أن نضيف عاملا" آخر لانتعاش الحضر إلا وهو العامل الديني، إذ ان كثرة المعابد وسعتها تشير إلى ان مدينة فقيرة بمواردها ما كان لها أن تبلغ هذا السمو دون أن يكون هناك عون وأمداد مستمر من قبل القبائل والمناطق العربية التي تحف الحضر، وأعتقد ان للديانة اليزيدية في منطقة سنجار ومناطق أخرى في الموصل صلة بديانة الحضر ". ومعروف بان بلاد الحضر قديما" كانت تؤمن بعدد من الآلهة وعلى رأسهم الإله سن والإله شمش، وهذين الإلهين موجودين في الموروث الديني الأيزيدي إلى يومنا هذا.

كان للشعب الأيزيدي في بلاد وادي الرافدين عدة إمارات معظمها كان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الألفية الثانية المنصرمة ومنها إمارة الشيخان، إمارة حرير، إمارة داسن، أمارة سن كار (سنجار)، ناهيك عن الإمارات الأيزيدية الأخرى والتي انتشرت في مناطق أخرى يعود انتماؤها إلى مناطق الدول المعاصرة كتركيا وسوريا ومنها إمارة جرجوم وإمارة حلب وإمارة ديار بكر وإمارة الزوزان وإمارة الدنان وإمارة الخالتا وإمارة قلب ويطمان وغيرها، هذه الإمارت وسواها كانت قائمة باسم المكون الأيزيدي في العراق وبقية الدول الأخرى وقد انهارت بسبب تعاقب الحملات الدموية التي شنت على الشعب الأيزيدي ولم يتبق من أرشيف تلك الإمارات غير بعض المعلومات القليلة التي حفظها كبار السن الأيزيديين عن طريق العلم الشفاهي (العلم المحفوظ على الصدر).

---

[١٠٩] (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - وادي الرافدين. طه باقر صفحة ١٢).

[١١٠] (الحضر - ماجد الشمس - صفحة ٢١).

بعدما أطلعنا على جملة من الحقائق التي تثبت جغرافية الشعب الأيزيدي في التاريخ القديم، نستطيع أن نقول بان تلك الحقائق تمثل تجسيدا" على الصعيد التاريخي للقومية الأيزيدية وتضفي عليه صفات إيجابية متعددة ، هذه الأرض التي تزينت بثوب حضاري وتاريخي مشرف مهدت لتثبيت واقع قومي حقيقي لشعب ظل يتعايش معها في السراء والضراء ومنذ القدم مع ان معظم تلك المناطق قد ضاعت من وجودها الأيزيدي بسبب الظروف السلبية الصعبة التي مرت على الأيزيديين ، وبالرغم من الجغرافية الأيزيدية المتبقية الموحدة التي يتقوقع فيها الشعب الأيزيدي في وطنه الأم العراق فإن ذلك ساعد على سهولة التواصل ما بين أفراد المجتمع الواحد و الانتقال إلى الأماكن بالطرق المتاحة والسهلة والتجمهر بسرعة عالية إذا ما دعت إليها الظروف الاستثنائية ، لذا فقد أصبحت الأرض الأيزيدية الموحدة والتي هي جزء لا يتجزأ من بلاد وادي الرافدين (العراق) من أهم الميزات الضرورية والتي منحت شعورا" إضافيا" للإنسان الأيزيدي للقيام في تجسيد واقعه نحو الأفضل والأنسب، وتعطي الجغرافية (الأرض) مفهوما" خاصا" لمقومات القومية وبدونها ستفقد مقومات القومية الأيزيدية أحد أهم أركانها القومية ، من هذا المنطلق فان للقومية الأيزيدية أرض موحدة تحوي شعبها، هذه الأرض ليست وليدة اليوم و الأمس القريب بل تمتد أبا" عن جد وامتدادا" إلى عصور ما قبل الميلاد وخصوصا" في أيام توسيع رقعة المؤمنين بعقيدة الإله نابو وبشكل كبير في محافظة نينوى مع اننا نؤكد بان معظم الأراضي التي كانت تابعة للشعب الأيزيدي تم الاستحواذ عليها من قبل أطراف إبان حملات الإبادة ، حينما نقر بأن للقومية الأيزيدية أرض موحدة تتواجد في وطن آبائهم وأجدادهم ببلاد ما بين النهرين (العراق) لا يعني هذا الانسلاخ عن الجسد الرافديني بل تعتبر هذه الأرض الأيزيدية وضعا" رافدينيا" قائما" لا يختلف عن وضع الأرض الرافدينية القديمة لكون الشعب الأيزيدي ذرية شعب العراق القديم المتمثل بسومر وبابل ولا يجوز بتاتا" بتر هذه الأرض عن التسمية الرافدينية، أي بمعنى آخر لا يجوز فصل ذرية الابن عن أباه، فما أود أن أتطلع إليه من ضرورة الحفاظ على الأرض الأيزيدية انما أريد من خلال هذا الطرح الحفاظ على أحد أهم أجزاء الجسد الرافديني،لا سامح الله إذا ضاع التاريخ الرافديني فسوف يضيع التاريخ الأيزيدي تلقائيا" وإذا ضاعت الأرض الرافدينية فلم تبق للأيزيدية أرض، وفي الاتجاه المقابل فإذا ضاع الإنسان الأيزيدي فان الإنسان الرافديني سيصبح في هلاك، بمفهوم علمي آخر فان العلاقة ما بين

التاريخ الأيزيدي والحضارة الرافدينية القديمة هي علاقة طردية فكلما كان التاريخ الرافديني في موضع الثراء والتمجيد والبقاء فإن التاريخ الأيزيدي سوف يكون في وضع يزهو بالتفاؤل والتفاعل الإيجابي مع الواقع القائم، وكلما تم الحفاظ على الجغرافية (الأرض) الرافدينية فهذا يبشر خيرا" ببقاء الأرض الأيزيدية .

اللغة الأيزيدية

----

[111] تنجم ولادة الفكر من نشاط الناس المنتج والعبور من الاستخدام الغريزي إلى مرحلة الصناعة التي أفرزت النشاط العقلي والوعي لدى الإنسان وشكلت الخبرة الأولى عنده واستقرت في ذهنه، واللغة قديما" كالفكر وهي الوعي العملي حية لدى الجميع، واقعية اللغة لا تولد كما الوعي إلا من الحاجة إلى ضرورة المتاجرة مع الناس الآخرين والمفاهيم الأولى العامة لا تعرف في التجمع التعاوني إلا إذا حدتها الأصوات، والتلاقي بين الناس والعمل التعاوني يستحيلان بدون اللغة، ليس لدينا أي فكرة عن بنية اللغات البدائية ولكن هنالك نظريات تشير إلى أنها ولّدت من الإشارات الصائتة لدى البشر وتنامت مع تكديس خبرة الإنتاج،[112] كانت هذه اللغات تتألف من عدد متواضع من الكلمات أو بكلمة أدق من عبارات

المعنى	أحرف شبه بابلية ٦٠٠ ق.م.	أحرف بابلية قديمة ١٨٠٠ ق.م.	أحرف آشورية ٨٠٠ ق.م.	أحرف سومرية قديمة ٢٨٠٠ ق.م.	رموز تصويرية أصلية ٣٥٠٠ ق.م.	رموز تصويرية مبسطة ٣٠٠٠ ق.م.
سمكة						
ثور						
حمار						
قمح حبوب						
اله أو سماء						
شمس أو نهار أو نور						
يفلح الأرض أو يزرعها						
بيت						
إنسان						

شكل(٤٥) نماذج اللغة المرسومة التي استعملها الاقوام العراقيون القدماء في بدء الحضارة للدلالة على المعاني التي وضعت من أجلها

---

[111] (الحضارات القديمة - الجزء الأول - إشراف ف.دياكوف / س.كوفاليف - ترجمة نسيم واكيم اليازجي - ص٢٠ ،٢١).

[112] (العراق في التاريخ - مجموعة باحثين "د. فاضل عبد الواحد علي" - ص٢٧٣ ، ٢٧٤).

وحيدة المقطع منعزلة وعديدة الدلالة وكان كلام الإنسان البدائي يترافق مع حركات لا تلعب مع ذلك سوى دور ثانوي، لقد مرت الكتابة بثلاث مراحل مهمة من التطور، هي :

- الطور الصوري : أي التعبير عن الشيء برسم الصورة.
- الطور الرمزي : أي استنباط معان جانبية من صورة الأصل كاستخدام العلامة الدالة على الشمس للتعبير عن معان مشتقة منها مثل (لامع، ساطع، مشرق....) وبالمثل للتعبير عن كلمة يوم لان شروق الشمس وغروبها يمثلان يوما"....
- الطور الصوتي : وفيه استخدمت العلامة ليس من أجل معناها الصوري أو الرمزي وإنما من أجل صوتها فقط، وبهذه الوسيلة أمكن كتابة أسماء الأعلام والأشياء على هيئة مقاطع صوتية، كان الطين مادة الكتابة الأساسية في بلاد وادي الرافدين، وقد كتبوا على الحجر وعلى مواد أخرى، وكان السومريون في جنوبي وادي الرافدين أول من أستنبط هذا النمط من الكتابة ، بدليل ان أقدم النصوص الكتابية التي وصلتنا لحد الآن مدونة باللغة السومرية .

كل النصوص المكتشفة في وادي الرافدين هي بالكتابة المسماة المسمارية والمؤلفة حروفها أساسا" من زوايا مرسومة أفقيا" وعموديا"، ولدت هذه الكتابة في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد مشتقة من الصور المنقوشة في الشارات المسمارية وتخمن بسهولة الرسوم المقصودة : أسنان، حيوان، أغراس، جبال، غابات، مياه، أوعية منزلية وأدوات، في الوقت ذاته تبدل معنى الحروف والرموز وتغير شيئا" فشيئا" إلى الشارات المقطعية التي تشكل الآن أغلب شارات الكتابة المسمارية لكن عددا" من الشارات المصورة بقيت وظهر غيرها يمثل أصواتا" أبجدية. إن مؤسسي الكتابة المسمارية هم السومريون تعلمها الأكديون ثم انتقلت إلى العيلاميين والبابليين والآشوريين والحثيين وأفاد منها الفينيقيون ليصنعوا أبجديتهم الأولى وأقتبسها الاورارتيون الذين كانوا يقطنون أرض أرمينيا الحالية وأستوعبها وعدلها الفرس الذين غزوا وادي الرافدين، [١١٣]برزت اللغة الأكدية في الإلف الثالث قبل الميلاد وخصوصا" بعد اعتلاء سرجون الأكدي

[١١٣] (شريعة حمو رابي - الجزء الأول - د. نائل حنون - ص٤٩).

للعرش في عام ٢٣٣٤ ق.م، ثم ان هذه اللغة تفرعت إلى لهجتين بابلية في الجنوب وآشورية في الشمال وذلك بعد بدء الألف الثاني قبل الميلاد واستمرت كل من هاتين اللهجتين بالتطور بذاتها من مرحلة إلى أخرى ، و مرت اللهجة البابلية بأربع مراحل هي : البابلية القديمة والبابلية الوسيطة والبابلية الحديثة والبابلية الأخيرة وقد أستغرق ذلك ألفي عام من بداية الألف الثاني قبل الميلاد حتى أوائل الألف الأول الميلادي .

[١١٤] وفي عملية نشوء وتكوين الأقوام وبقدر تعزيز الصلات الاقتصادية والثقافية بين بعض أقسامها المكونة أصبحت لغة أحدى القبائل (أكثرها عددا" أو تطورا") اللغة المشتركة في حين تحولت لغات القبائل الأخرى إلى لهجات أو انقرضت تماما"، فتشكلت وحدة بشرية لها أرض معينة وثقافة وحياة اقتصادية مشتركة، ولا يجيد بعض السكان بل ومعظمهم في بعض الأحيان اللغات الرسمية وفضلا" عن ذلك يجب أن نأخذ في الحسبان ان لغات الدول المستعمرة السابقة أصبحت لغات رسمية في جملة من الدول التي كانت مستعمرة في الماضي، فعلى سبيل المثال توجد أكثر من ٢١ دولة افريقية تتكلم الفرنسية وهي لغتها الرسمية، واللغة الإنكليزية في أكثر من ١٩ دولة هي اللغة الرسمية فيها ، لا يوجد من اللغات بعدد الشعوب وكذلك لا يعني اقتصار تكلم اللغة على الرابطة القومية، من هنا نرى ان اللغة أو التقسيم اللغوي الإثنوغرافي مستقل عن التقسيمات السلالية الإثنوغرافية، فاللغة تعتمد على تطور المجتمع في حين أن السلالة موروثة بايلوجيا".

---

[١١٤] (أثنوغرافيا شعوب العالم - الدكتور مجيد حميد عارف - ١٧).

الاحرف الابجدية في اللغة الايزيدية
ومايقابلها باللغة العربية

الاحـــــرف **الارقـــام**

شكل(٤٦)

تمتد جذور الشعب الأيزيدي إلى الحضارة السومرية البابلية وأشرت إلى هذا التاريخ المشترك الواحد بينهما آنفا"، شعب عمره آلاف السنين ويمتلك حضارة عريقة مليئة بالمنجزات التاريخية فمن البديهي أن يقوم هذا الشعب في تدوين إسهاماته المتعددة والتي كانت نابعة من ذاته المشحونة بالوجدان والمشاعر الفياضة باللغة التي كانت هي المتغلغلة في نفسه وغريزته وهي اللغة الأيزيدية. اللغة الأيزيدية من اللغات القديمة والتي تمتد إلى عائلة اللغات العريقة لبلاد وادي الرافدين،[١١٥] ومن أهم العوامل التي أدت إلى أن تتفرع العوائل اللغوية إلى لغات :

١- العامل الجغرافي : الذي يتمثل في الموقع وما يمثله من عوارض أرضية وأحوال مناخية وخير مثال على ذلك تشعب اللغة الداغستانية إلى أكثر

[١١٥] (إثنوغرافيا شعوب العالم - د. مجيد حميد عارف - ص٧٠).

من عشرين لغة ولهجة محلية في قفقاسيا وهو دليل على دور العامل الجغرافي في هذا المجال وفي استقلال اللغات ونموها.

٢- العامل الاقتصادي : ويرتبط هذا العامل بالعامل الجغرافي والايكولوجي فالهجرات التاريخية المعروفة في الحقب التاريخية جاءت نتيجة لطلب المرعى من قبل القبائل الرعوية البدوية التي تمثلت في هجرة الساميين والأقوام التركية كالتتر والمغول والهون والقوط ، و انتشار لغاتهم في المناطق التي استوطنوها، وتوسيع رقعة ومساحة لغاتهم ما هو إلا دليل على هذا العامل.

٣- العامل السياسي : قد تنتشر اللغات أو تستغل وتتفرع بفعل ضعف السلطة المركزية أو تمزق الوحدة السياسية وخير مثال على ذلك اللغة الأنكليزية أو الفرنسية وانتشارها في إمبراطورياتها فيما وراء البحار وانحسارها بعد استقلال المستعمرات.

كما يمكن أن أضيف عاملا" آخر إلى تلك الأسباب التي أدت إلى تفرع اللغة الأيزيدية من عائلة اللغة الرافدينية وهو المتمثل بفعل الحملات الدموية التي توالت على الشعب الأيزيدي منذ سقوط بابل عام (٥٣٩ ق.م) وتشتت عناصره إلى المناطق النائية مع التأكيد بأن هذا الشعب المضطهد ظل محط أنظار المعتدين وهذه الظروف المأساوية انعكست سلبا" على الموروث اللغوي والفكري للأيزيديين .

بدأ الموروث اللغوي الأيزيدي يضمحل تدريجيا" بمرور الوقت إلى أن وصل إلى مرحلة الغياب الكلي عن المجتمع الأيزيدي وظل غائبا" عن الأنظار إلى حين فترة أحياء اللغة الأيزيدية قبل سبع سنوات من الآن [١١٦].

الكثير من الكتاب يطرحون الفكرة التي تؤول إلى ان الكتب الأيزيدية المقدسة وغيرها قد كتبت بلغات أخرى غير اللغة الأيزيدية و الحقيقة تظهر بنورها حينما نتعمق في البحث عن مصدر هذه اللغة التي دونت بها الكتب الأيزيدية وقد تم تحديد لغة هذه الكتب بعد العثور على نماذج من الكتب المقدسة الأيزيدية في المتاحف الغربية ومنها متحف في النمسا وهي مكتوبة باللغة الأيزيدية .

[١١٦] (بعد تحرير العراق من النظام الدكتاتوري عام ٢٠٠٣ م وبروز مبادئ الحرية والديمقراطية فيه).



شكل(٤٧)

احدى صفحات الكتاب المقدس للديانة الأيزيدية المدونة باللغة الأيزيدية والمحفوظة في متحف النمسا

وذكرت الروائية الإنكليزية أغاثا كريستي في كتابها[١١٧] الصادر عام ١٩٤٠م معلومة قيمة حول اللغة الأيزيدية وقالت بانه "عند مدخل الضريح بلالش منحوت في الصخر ومنقوشة على يمينه صورة مجسمة لثعبان وعلى جدران سور المدخل كتابات بلغة اليزيدية بدأت تفقد وضوحها بالنظر للتآكل والفعل الطبيعي للطقس مع عدم إدامتها ". هذه المعلومة التاريخية التي أدلت بها الروائية تجسد الحقيقة التاريخية والأمانة الحضارية والتراثية التي تفيد بأن اللغة الأيزيدية كانت موجودة

[١١٧] (هكذا عشت ـ أغاثا كريستي ـ ترجمة توفيق الحسيني).

ومنذ القدم بين أحضان الشعب الأيزيدي وهذه الأدلة الدامغة تقف سدا" منيعا" بوجه الإرهاصات و التخرصات والأقاويل الكاذبة والمنحرفة والمتشككة والتي يطلقها أصحاب الضمائر الميتة حول عدم وجود اللغة الأيزيدية ضمن المجمع اللغوي البشري .

[١١٨] ذكر الكاتب زهير كاظم عبود بخصوص الكتابة الأيزيدية بانه" بدأت كتابات أيزيدية قديمة منقوشة فوق جدار مدخل المعبد (لالش) تقع في الجهة اليمنى للداخل تتآكل وتبدو غير واضحة المعالم، بفعل التأثيرات الجوية وتعرضها للمطر والهواء والشمس والرطوبة دون صيانة، وصار من الصعب قراءتها لانها مكتوبة بالكتابة الأيزيدية القديمة، التي تتشابه مع الكتابة العبرية، وكنت وقد شاهدتها شخصيا" عند زيارتنا للمعبد في عام ١٩٩٤، ولم يكن معنا آلة تصوير لتصويرها بالنظر لأهميتها التاريخية والدينية، وحين زرت المعبد عام ٢٠٠٥ وجدت انها أتلفت بشكل يدعو للأسف، كما أتلفت صخور كانت تحتوي على كتابات أيزيدية، خشية من تدخل دوائر الآثار في خصوصيات المعبد أو الدخول في حرمته لغرض التنقيب والحفر ". وفي هذا السياق أيضا فان هذا الكاتب[١١٩] يؤكد بعظمة لسانه في كتاب آخر بان " للأيزيدية مثل غيرها من الديانات لغة خاصة لها أبجديتها وحروفها، ويمكن أن تكون الكتابات المنقوشة على الجدار الخارجي لمعبد لالش أنموذجاً لهذه الكتابة التي لم يسبر غورها أحد من الباحثين والمهتمين بجوانب التأريخ الأيزيدي، كما يمكن أن تكون الكتابة الأيزيدية القديمة التي كتب بها الكتاب المقدس والموجودة في متحف النمسا، دليلاً آخر على وجود هذه الكتابة، حيث وجدت نسخة الكتاب في مناطق الأيزيدية، كما أنها لم تكن من الكتابات العبرية أو اللاتينية أو العربية التي كتب بها الكتاب المقدس " . هنا يبين الكاتب بان للشعب الأيزيدي لغة خاصة تختلف عن بقية اللغات، وأنا بدوري أيضا وكما قلت وسأقول دوما" وأؤكد لكل الشرفاء في العالم أجمع بان لغتنا هي اللغة الأيزيدية ولا غبار على هذه الحقيقة الدامغة التي ثبتت وجودها تاريخيا" بين أحضان الشعب الأيزيدي.

---

[١١٨] (عدي بن مسافر مجدد الديانة الأيزيدية للكاتب زهير كاظم عبود ص ٣٩).

[١١٩] (التنقيب في التأريخ الأيزيدي القديم - زهير كاظم عبود - ص ٢٣).

[120] "يضيف المطران مار يوحنا دولباني عن الكتب المقدسة الموجودة في حوزة اليزيدية بأنه يوجد عندهم مائة وخمسون كتابا" باللغة السريانية محفوظة في مكان خاص بجبل سنجار أطلع عليها أحد سواح الإنكليز لقاء هدية قدمها للموكل بها وذلك سنة ١٨٩١ م، خمسة والخمسون على ورق والبقية على ورق وهي بالخط الاسطرنجيلي السرياني، وقد طلب السائح أخذ ثلاثة منها ليزينها بالذهب، فلم يرض، بل قال هذه الكتب هي سبب بركة هذا الجبل، متى أخذت منه زالت بركته ". أتفق مع الطرح الذي جاء بخصوص تواجد عدد كبير من الكتب التي تتعلق بالإرث الأيزيدي ولكن لا أتفق معه ان كانت هذه الكتب مكتوبة باللغة السريانية، حيث ان أبجدية اللغة الأيزيدية شبيهة إلى حد ما بأبجدية اللغة السريانية ولكن ليست هي سريانية أو أحد فروعها، لذا فان هذه الكتب هي مكتوبة باللغة الأيزيدية، و السبب الذي دفعهم إلى القول برجوع هذه اللغة إلى السريانية هو ان اللغة الأيزيدية لم تكن تمارس في الوقت الذي تم الكشف عن هذه الكتب وهم شاهدوا الأبجدية الأيزيدية وظنوا بأنها تشبه السريانية ولهذا فقد أدلوا بدلوهم العاري عن الصحة.

تتواجد أقلية أيزيدية كبيرة في جمهورية أرمينيا يتجاوز سكانها ١٥٠٠٠٠ ألف فرد أيزيدي فضلا" عن تواجد أقليات أيزيدية أخرى في روسيا الاتحادية وجورجيا وأوكرانيا ويعتبرون من سكانها الرسميين ، هذه الأقليات جميعا" تقر من خلال الأحاديث الرسمية وغير رسمية في دولهم بان لغتهم هي الأيزيدكية (اللغة الأيزيدية)، وهذا دليل إضافي آخر يضاف إلى بقية الأركان الأخرى التي تضفي الشرعية والحقيقة الدامغة إزاء امتلاك الشعب الأيزيدي لغة خاصة به وهي اللغة الأيزيدية، وحيث ان هذه الأقليات الأيزيدية الموجودة في جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق تعتبر من الأقوام المهاجرة إليها وخصوصا" إبان حملات الإبادة وليست من سكانها الأصليين، ولكونهم لم يتعرضوا إلى أساليب التعرية القومية واللغوية كما تعرض لها الشعب الأيزيدي في وطنه الأم العراق من قبل أطراف فسارت مراحل التطور والتقدم بين صفوفهم بنمو طبيعي إيجابي و ولدت من خلال تلك التحولات الإيجابية ذاتا" أيزيدية نقية دون تدخل المحيط في تشويش بنائها ولهذا فإن ادعاءات الأقليات الأيزيدية في الجمهوريات المشار إليها آنفا" نابعة من صميم المشروع القومي الأيزيدي والذي يثبت للجميع بان للشعب الأيزيدي قومية بحد ذاتها ويمتلك لغته الأم وهي اللغة الأيزيدية مع الذكر ان الأيزيديون أعترف بهم رسميا" كأقلية قومية في جمهورية أرمينيا .

[120] (شمعون دنحو : مقالة "طمس الهوية الرافدينية في العراق").

هناك لغط كبير وقع فيه العديد من الأطراف و الكتاب المأجورين أسفر عن اتخاذ سلسلة من الإجراءات التي تيسر بمقتضاها تحريف اللغة الأيزيدية من مسارها التاريخي الطبيعي وذلك من خلال بث أجندات خاصة تريد من خلالها محو لغتنا الأيزيدية وإحلال محلها لغاتها المستنسخة والتي لا تمت للتاريخ الأيزيدي بصلة، سنتعرف في الفصل الأخير من هذا الكتاب على حجم المخاطر والويلات التي تعرض لها الشعب الأيزيدي طوال التسعة قرون من الألفية الثانية ناهيك عن معاناة الأيزيدية قبل هذا التاريخ، و بين ثنايا تلك المعاناة فقد أصبح الشعب الأيزيدي (أيزيدا) مشردا" ومفككا" منذ سقوط دولة بابل (٥٣٩ ق.م) ووصل الأمر به إلى أن يترك دياره وأرضه ويتجه على شكل جماعات وأفراد إلى المناطق النائية، وبحكم الظروف القاسية وبشاعة الاعتداءات على الأيزيديين الأبرياء، حتى الكهوف والمغارات التي كانت تؤي الأبرياء الأيزيديين وأغصان الأشجار التي تخفيهم عن الأنظار الحاقدة تبرأت منهم خشية من بطش أساليب المعتدين وعلى إثره سقط المجتمع الأيزيدي أسير القتل وهتك الأعراض وسبي الأطفال والنساء فضلا" عن ممارسات هدم الدور وحرق البساتين وترهيب الأيزيديين من خلال قطع رؤوسهم، كان الهم الأيزيدي الوحيد في تلك الظروف الدموية الخلاص من نار الظلم والطغيان وحماية نسل العائلة المشردة بهدف بقائها في هذا الوجود، بالله عليكم، في ظل هكذا أجواء منهارة ولفترات زمنية متعاقبة امتدت لآلاف السنين، كيف سيتمكن الشعب الأيزيدي من حفظ وصون مدوناته التاريخية المتوارثة من أجداده السومريين والبابليين وكتبهم الدينية المقدسة وبقية المدونات الفكرية والأدبية والعلمية المكتوبة جميعها باللغة الأيزيدية، إذا كانت حياة الإنسان الأيزيدي تفقد في لحظة عابرة ، والدار يهدم والقرية تهدم عن بكرة أبيها ، وتدمر المعابد والمزارات الدينية وتقتلع جذورها من الأرض بدوافع مزاجية عنصرية صرفة ، فكيف بإمكان هذا المخلوق التصدي لهذه الظروف السلبية التي أحاطت به من كل الجهات وهو لا يملك غير مقولة " لا حول ولا قوة "، ومن الجانب الآخر كيف بإمكان الشعب الأيزيدي أن يحافظ على موروثه اللغوي المادي وهكذا ظروف سيئة تنهال عليه، لم ير الإنسان الأيزيدي النور في مسيرته التاريخية كونه مكث معظم أوقاته في الكهوف والمغارات وهو يبحث عن قوته أثناء الليل خشية مشاهدته من قبل المتربصين في وضح النهار، وفي ظل هذه الأحوال المنهارة والنفسية المدمرة كيف سيتمكن الأيزيديون من الاحتفاظ بموروثهم التاريخي والحضاري كتابة وهول الكوارث كان يغطي حياتهم ونتيجة

لهذه الأسباب أضطر الإنسان الأيزيدي للجوء إلى حفظ تراثه وموروثه عن طريق النقل الشفهي أو ما يسمى (العلم المحفوظ على الصدر) و بفضل هذه الطريقة أستطاع الشعب الأيزيدي أن يبقي جزءا" يسيرا" من أرثه التاريخي ولكن بعد فقدان أغلبه المادي في ظل تلك الظروف الدموية.

هنالك عدة أسباب وقفت عائقا" أمام تقدم اللغة الأيزيدية في مسارها الطبيعي بين المجتمع الأيزيدي ومن أهمها :

- اضطهاد الشعب الأيزيدي طوال فترات مسيرته التاريخية التي امتدت لآلاف السنين ما أنعكس سلبا" على واقع اللغة الأيزيدية ولم يستطع المجتمع من تدوين أعماله الأدبية والفكرية والدينية والإدارية وغيرها جراء الظروف المتقلبة والمتذبذبة المستمرة التي كانت تفرض عليه.
- تدمير البنى التحتية للشعب الأيزيدي إبان الغزوات وحملات الإبادة وحرق محتوياتها وممتلكاتها مما أضاع على أثرها معظم معالم الشعب الأيزيدي الحضارية والتاريخية والفكرية ومن جرائها تضاءلت فرص تقدم اللغة الأيزيدية إلى الأمام بصورة طبيعية بين المجتمع .
- تشتت الشعب الأيزيدي إلى بقاع عدة بعيدة عن دياره الأصلي بسبب الحملات الدموية فكان من الصعب إنقاذ محتويات المكاتب الأيزيدية وبقية المدونات الأخرى التي كانت بحيازة المواطنين ذات الشأن بالأرشيف اللغوي الأيزيدي .
- بروز دويلات وممالك وإمبراطوريات ضخمة منعت الشعب الأيزيدي من فتح مدارس خاصة بكيانه وبهذه التصرفات تلاشت اللغة الأيزيدية شيئا" فشيئا" بمرور الوقت وكذلك لم يلتحق أفراد الشعب الأيزيدي في المدارس المنتشرة في البيئة المتداخلة لكون التعليم كان مقتصرا" على المدارس الدينية التابعة إلى الجوامع الإسلامية والكنائس المسيحية فقط .
- اللغة الأيزيدية لم تجدد كيانها لتعاصر واقع كل عصر وظلت تتآكل بالظروف القاسية وقد تأخرت عن مواكبة بقية اللغات التي كانت تعاصرها .
- قيام جهات عديدة بمنع أحياء اللغة الأيزيدية وتداولها بين المجتمع الأيزيدي لأسباب تعود إلى أجندات تلك الأطراف التي كانت تريد إفناء اللغة الأيزيدية من الوجود .

الشعب الأيزيدي إلى يومنا هذا يتعرض إلى سياسات مناوئة لكيانه المستقل والحر، فقد جندت أطراف معينة غير أيزيدية والتي لها السلطة والهيمنة على المناطق الأيزيدية بعض النفوس الضعيفة من المحسوبين اسما" على الشعب الأيزيدي لتبني سياساتها وبرامجها المتعلقة بالنيل من مقومات القومية الأيزيدية وأهمها مقوم اللغة الأيزيدية ويعملون على تمرير أجندات تلك الأطراف وبمفهوم مفاده ان الشعب الأيزيدي لا يمتلك قومية بذاتها ولغة بذاتها وتاريخ بذاته وأرض بذاتها وأرث بذاته وثقافة بذاتها وغيرها من المقومات والأركان الحضارية وإنما تقوم تلك الجماعة بإلصاق التحريف والتزوير بالكيان الأيزيدي لدوافع تتعلق بالمصلحة الشخصية والأهواء الدنيوية ، الشعب الأيزيدي برمته (باستثناء الذين يعملون لصالح الأطراف الأخرى غير الأيزيدية) يرفض الانضمام إلى أجندات تلك الأطراف المناوئة والجماعة التي تسيرها ويعمل المستحيل من أجل درء هذه المخاطر التي تستهدف الكيان الأيزيدي في الوقت الذي يحاول و بكل الطرق المتاحة إبراز مقومات قوميته ، هذه الخطوة التي شنتها تلك الأطراف جاءت بعدما فشلت كل الطرق التي تبنتها سابقا" للنيل من الموروث الأيزيدي وخابت آمالها بعدما أدركت بأن ألحاق الأذى بالأيزيدية وجها" لوجه وبالقوة يبدو مستحيلا" للوصول إلى مبتغاها ولهذا فقد تبنت تلك الأطراف أجندة أخرى تتضمن شراء ذمم النفوس الضعيفة لكي يصبحوا جسرا" لتمرير سياساتها الهدامة داخل هيكل البيت الأيزيدي، والسبب الذي يدفع بتلك الأطراف إلى اقتراف هذه الأفعال الشنيعة هو الحصول على مقدرات ومعالم وأرشيف الشعب الأيزيدي وفي نفس الوقت لتشويه وتمويه مقومات القومية الأيزيدية أمام الرأي العام ، وعلى هذا الأساس الخاطئ والخطير تسوق مركبتها العنصرية بان الشعب الأيزيدي ليس له أي نصيب حضاري وتراثي وإنما هو امتداد لأجندات التحريف والتزوير التي تقف وراءها تلك الأطراف ، وبالرغم من تلك الإجراءات التعسفية فقد ظل الشعب الأيزيدي محافظا" على كيانه المتنور وفشلت كل المحاولات العنصرية ولن تعود ثانية لكون الشعب الأيزيدي قد وعى وأدرك التاريخ الحضاري الحقيقي له وقال كلمته التي مفادها عاشت القومية الأيزيدية وعاشت كل أركانها ومقوماتها .

كان من الضروري إبراز جوهر اللغة الأيزيدية من ناحية قواعدها وأبجديتها وأحكامها الشكلية واللفظية في هذا الكتاب والذي ينتظره العديد من الشرفاء، لكن هنالك عدة أسباب تعيق بحثها في هذا الكتاب، ومن بين أهم تلك الأسباب كون

اللغة الأيزيدية أصبحت غائبة عن الحضور على مدى عشرات القرون لحين أحيائها عام ٢٠٠٣ م، وهذا الوقت القصير لا يكفي لإبراز كل ما يتعلق بهذه اللغة العريقة، فمن الطبيعي أن يستغرق إرجاع كل متعلقات اللغة الأيزيدية إلى نصابها الطبيعي سنوات عديدة فضلا" عن قيامنا في الوقت الحاضر بالمباشرة في إقامة ورشات عمل كبيرة تهدف إلى جمع وتثبيت ووضع كل ما يتعلق بأجندة اللغة الأيزيدية وبجهود مضنية من قبلنا وبمشاركة الخبراء من الباحثين التاريخيين والأثريين واللغويين لأجل إبراز مقومات اللغة الأيزيدية، واللغة الأيزيدية تدرس حاليا" في المجتمع الأيزيدي من خلال البرامج الخاصة و الدورات التدريبية فضلا" عن إن بعض الصحف الأيزيدية ومنها " صوت الشعب الأيزيدي"[١٢١] التي تتبنى اللغة الأيزيدية كإحدى مصادر نشرها بعد عام ٢٠٠٣م .

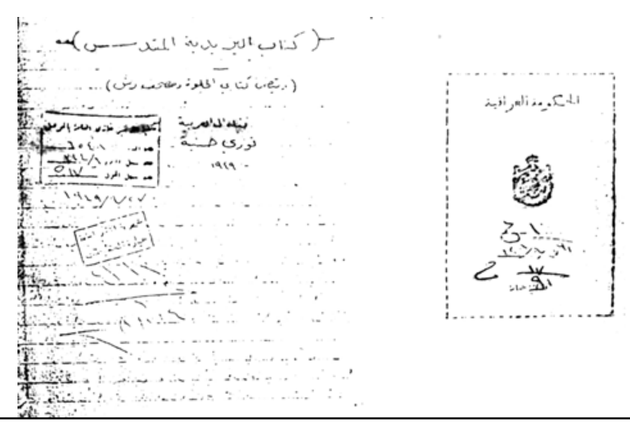


شكل(٤٨)

ديباجة جريدة صوت الشعب الأيزيدي

---

[١٢١] (جريدة صوت الشعب الأيزيدي تعتبر أول صحيفة أيزيدية تعني بالقومية الأيزيدية و تصدر باللغة الأيزيدية إلى جانب اللغة العربية منذ عام ٢٠٠٣ م ، وهذه الجريدة تأسست في ٢٠٠٣/٩/٢٩ من قبل مؤسسها أمين فرحان جيجو).



شكل(٤٩)

نسخة تحت عنوان (كتاب الأيزيدية المقدس) الصادرة من المكتبة العامة للحكومة العراقية عام ١٩٤٩

هناك نسخة تحت عنوان " كتاب اليزيدية المقدس" نقله إلى العربية نوري حسنية وتعود إلى أرشيف المكتبة العامة للحكومة العراقية والصادرة عام ١٩٤٩م وقد تعرضت إلى التشويه بحيث يتطلب جهدا" حتى يتمكن المرء من التعرف على مضمونها، وتضمنت هذه النسخة في مقدمتها جدولا" لترجمة حروف اللغة الأيزيدية إلى العربية وجاءت بالعبارة التالية " الحروف في كتاب اليزيدية المقدس وما يقابلها بالحروف العربية وتتضمن أبجدية اللغتين الأيزيديـــة والعـــربية "،

شكل(٥٠)

الحروف الأيزيدية وما يقابلها بالحروف العربية بحسب ما جاء بنسخة المكتبة العامة للحكومة العراقية عام ١٩٤٩

وصفحة أخرى تتضمن العبارة الآتية " نموذج من أحدى صحائف كتاب الجلوة وتذكر أحد نصوص الكتاب الأيزيدي المقدس وهي مكتوبة باللغة الأيزيدية "، كما تتضمن النسخة نصوص كتابي الجلوة ومصحف رش،هذه النسخة تؤكد بصريح العبارة بان الكتب الأيزيدية المقدسة مكتوبة باللغة الأيزيدية، ونضيف هذا الدليل الدامغ إلى الحقائق و المؤشرات التاريخية الطبيعية الأخرى التي جاءت لتوثق بأن اللغة الأيزيدية كانت ومازالت موجودة لدى الشعب الأيزيدي، وهذا الكم من الأدلة يقطع دابر المشككين بتاريخنا ولغتنا الأيزيدية وان أصر أولئك المشككين على منهجهم فهذا يعني بانهم يشعرون بالنقص ولا يفهمون ما معنى الحقيقة التاريخية ويمكن أن أعتبرهم من الانتهازيين الذين يريدون تشويه الحقائق وتحريفها صوب بودقات أجنداتهم .

شكل(٥١)

صفحة من الكتاب المقدس للديانة الأيزيدية مدونة باللغة الأيزيدية بحسب ما جاء في نسخة المكتبة العامة للحكومة العراقية عام ١٩٤٩

الفصل الرابع

معاناة القومية الأيزيدية

الفصل الرابع

معاناة القومية الأيزيدية

توطئة :

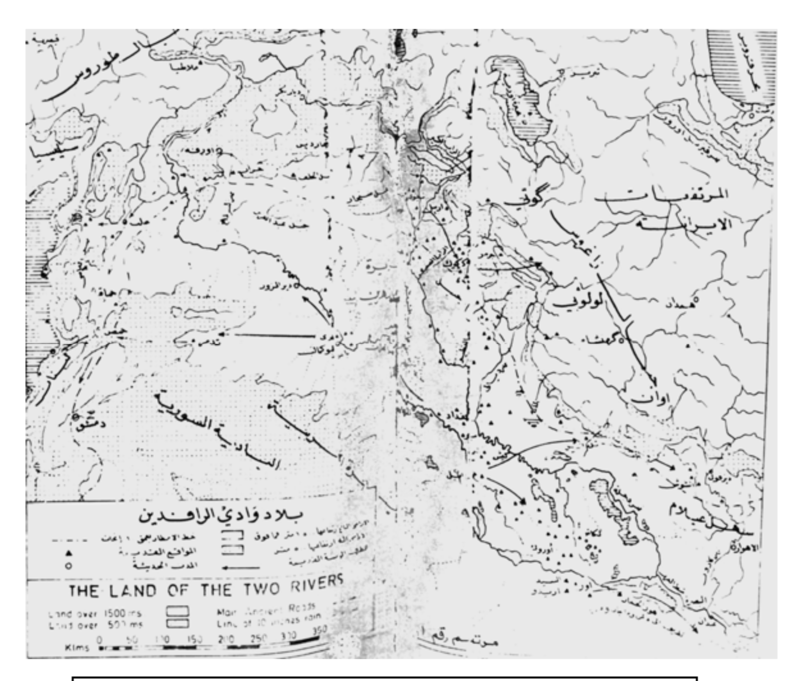
معاناة بلاد وادي الرافدين كبيرة وكثيرة ولها في ذات الوقت عناوينها وظروفها الخاصة ، هناك معاناة تعرض لها الشعب الأيزيدي إبان وبعد سقوط إمبراطورية بابل مرورا" بالغزوات الخارجية كالإسكندر المقدوني وهولاكو والاستعمار البريطاني وبالتدخلات الإقليمية المتمثلة بالفرس (الاخمينيين والساسانيين والصفويين) ومرورا" بالعثمانيين، التاريخ بدوره وثق بعض هذه المعاناة تجاه الشعب الأيزيدي وفي الوقت ذاته جهل قسمها الأكبر، وهناك قول شائع مفاده إن "التاريخ يصنعه المنتصر " وهذا ما أود أن أؤكده بأن إغفال التاريخ بأحداثه وأدواره المدونة لمواقف وأدوار الشعب الأيزيدي كان بفعل مفتعل من قبل بعض السلطات الحاكمة والتي أرادت أن لا يكون هناك وجود لكيان أسمه الشعب الأيزيدي في أرشيف التاريخ البشري والحضاري والتراثي .

في المبحث الأول من هذا الفصل سأسلط الضوء على الأحداث التاريخية التي مرت بها بلاد ما بين النهرين وسأورد المقتطفات المهمة من ذلك الأرشيف الخالد والتي غيرت بدورها مجرى التاريخ الرافديني، في المبحث الثاني سيتم النقاش حول الأدوار التاريخية التي مر بها الشعب الأيزيدي بدءا" من مرحلة حملات بدر الدين لؤلؤ (سنة ٦٤٤ ه /١٢٤٦ م) لغاية الاستعمار البريطاني للعراق عام ١٩١٧ م وما يسبق (منذ سقوط بابل لحين حكم لؤلؤ) هذه الفترة الزمنية المذكورة آنفا" فأن التاريخ أغفل أحداثه تجاه الأيزيدية و المصادر التي بين يدي الآن لا تشير إلى تلك الفترة وربما تبرز تلك الأدوار حالما تصلنا من مصادر جديدة هي ليست بمتناول اليد في وقتنا الحاضر، وأحداث الفترة الزمنية التي جابهت الشعب الأيزيدي والتي تلي حقبة الاستعمار البريطاني للعراق لم أتطرق إليها لكونها تأخذ طابعا" سياسيا" بحتا" ومعلوماتيا" وهي حديثة العهد و متداولة

لدى الجميع، والفكرة التي دفعتني للابتعاد عن أحداث القرن العشرين المتعلقة بالأيزيدية كانت لأجل الضرورة التي اضطلعت بها في كتابي هذا وهي المنهجية ذات الطابع التاريخي والحضاري والمحتضنة أهم الأحداث والأدوار التاريخية التي حدثت قبل تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ م والتي هي غائبة إلى حد ما عن أنظار الرأي العام وعلى الصعيد الأيزيدي نفسه وغالبا" ما كانت فريسة سهلة بيد البعض لأجل تحريفها وهذا ما دفعني إلى أن أقف عن كثب على إبراز كل ما هو في جعبتي من حقائق تجاه التاريخ الأيزيدي وليطلع العالم بأكلمه على هذه الحقائق التاريخية الدامغة والتي كانت مغمورة تحت تراكمات الماضي الأليم وقمت بأحيائها في ظل هذا الكتاب وبإمكان الجميع الاطلاع على مضامينه والتي تحوي العديد من الشواهد التاريخية التي تثبت قدم الشعب الأيزيدي في التاريخ الرافديني وامتلاكه العديد من المقومات التاريخية والتراثية .

المبحث الأول

المراحل التاريخية التي مرت بها بلاد وادي الرافدين



شكل(٥٢)

خارطة وادي الرافدين القديمة

في هذا المبحث سأتطرق إلى ملخص تاريخي يتضمن أهم المراحل التحولاتية والانتقالية لبلاد ما بين النهرين وذلك بدءا" من العصر البابلي القديم وانتهاء بالأستعمار البريطاني للعراق، سأقف عند أهم المراحل التاريخية المهمة والحاسمة التي سادت البلاد وحصلت من جرائها تغييرات كبيرة على مجرى تاريخ الشعب الرافديني والذي نحن (الشعب الأيزيدي) نشكل جزءا" أصيلا" وعريقا" منه، سأسرد هذه المراحل الانتقالية التي جابهت البلاد دون أن أخوض في الشأن الأيزيدي بالتفصيل البحت إلا ما يستوجب الأمر ذلك لكون المبحث

التالي سيكون مخصصا" لعرض أهم الحوادث الدموية التي تعرض لها الشعب الأيزيدي.

إن الأحداث التاريخية التي تجلت في أي بقعة من أرض وادي الرافدين طوال مسيرتها الشاقة بدورها قد انعكست سلبا" أو إيجابا" على الواقع الأيزيدي العام، وقلت إيجابا" أيضا حيث انه من غير المعقول بان كل ما حصل في وادي الرافدين بعد سقوط بابل بالتحديد يقع في خانة السوء ، أما الظواهر السلبية التي سادت على الأرض الرافدينية وسكانها فأرى بأن أي توتر أو بروز حالة لا استقرار في بيئة ما من وحدة أراضي هذه البلاد كان يخلف وراءه أوضاعا" مأساوية بائسة نتيجة قيام أطراف بارتكاب ممارسات عدائية و العمل على خلق حسابات مقلقة وتبني أطماع غير شرعية تجاه عامة الشعب الرافديني وأرضه المباركة، من هذا المنطلق فأن الشعب الأيزيدي وبقية شعوب وأقوام بلاد ما بين النهرين قد تأثرت بكل المراحل التاريخية المتقلبة التي سادت بلاد الرافدين سواء كان ذلك بصورة مباشرة أم غير مباشرة وهي (بلاد ما بين النهرين) في تشكيلتها القبائلية والإثنية والدينية كانت تشكل الجسد الرافديني الواحد المتكامل ومهما كان حجم التأثير الموجه إزاء أي جزء من أجزاء هذا الجسد فكان الجميع يشعرون ويتأثرون به سلبا" أو إيجابا".

كانت بلاد ما بين النهرين مركز أشعاع العالم في زمن سومر وبابل وأكد وآشور ومركز الاستقطاب البشري، وخلفت هذه الإمبراطوريات المنجزات الكبيرة وهذه كانت السبب الرئيس الذي دفع بالعديد من الأطراف لتوجيه أنظارهم صوب وادي الرافدين ، سأعرج على شيء من التبسيط الموجز في قراءة المراحل التاريخية التي مر بها بلاد ما بين النهرين حيث إن الولوج إلى العمق التفصيلي إزاء كل مرحلة أو حادثة تاريخية مرت بها هذه البلاد، لم أجد فيه سوى تكرار لأحداث مشابهة حصلت في كل تحول تاريخي ، الصور المشابهة التي أفرزت بصدد بعض التحولات التاريخية لبلاد ما بين النهرين منذ سقوطها عام (٥٣٩ق.م) وإلى الاستعمار الإنكليزي بإمكاننا الوقوف عندها في الأحداث التي كانت تتكدس على أشكال وصور مؤلمة جراء كل غزو أو انقلاب داخلي طاحن، حيث نجد في[١٢٢] طرقات مدن بلاد وادي الرافدين جثث القتلى وأشلاء الموت

---

[١٢٢] (تاريخ العنف الدموي في العراق - باقر ياسين - ص١٦ ، ٢٠، ١٨١).

والتي يأكل الناس فيها بسبب الجوع ويبيع الناس فيها أطفالهم ليأكلوا بثمنهم، المدينة التي تنتشر فيها الأوبئة والأمراض ويفتك الطاعون بالآلاف من سكانها فتتكدس جثثهم في الشوارع والأحياء ولا يوجد من يدفنها، المدينة التي تعمها الفوضى ويجوب أحياءها المظلمة قطاع الطرق واللصوص والشطار والتي تنهار سدودها ويغرق أهلها وتطفو جثث الموتى المتعفنة والمتفسخة من أبنائها فوق أوحال الفيضان، بينما تنتظر وهي على تلك الحال دخول الجيش الأجنبي الذي يحاصرها من كل جانب ليحتلها ويحقق النصر على الفئة الحاكمة بداخلها لتبدأ موجة جديدة من المجازر والمذابح والتنكيل والدمار، حيث ان ما يحدث في تاريخ العالم من أزمات، ومحن وبلايا وقسوة ووحشية وإراقة دماء، هو جزء من سنة تاريخية عالمية تجري على البشر بإرادتهم وسوء أفعالهم، وحسبنا برهانا" على ذلك ما في الطبيعة البشرية من غرائز وشهوات إذا ما أثيرت أصابها العمى والجنون وسقطت في صراع عنيف مع نفسها حتى يغدو الأخ يقتل أخاه ، اننا لا نريد ولا نرضى الإساءة لبلادنا العريقة - وادي الرافدين الخالدة - لكننا نسعى بالتأكيد للتفتيش عن مجموع الدوافع الغريبة التي تقف وراء تلك الأنماط من السلوك المتصف بالعنف الفائق والقسوة البالغة والتطرف والشدة والقهر والميل شبه الدائم نحو سفك الدماء والأعمال اللاإنسانية والنزوع العدواني في فرض الموت القسري على الإنسان في هذه البلاد منذ أكثر من خمسة آلاف سنة والذي مازالت فصوله المخزية تدور دون توقف حتى يومنا هذا، صحيح ان موجات عديدة من العنف الدموي بدوراته المتعاقبة قد جرت ونفذت في بلاد وادي الرافدين كان أبطالها ومنفذوها أشخاصا" غرباء أو دخلاء أو غزاة جاءوا من خارج البلاد ، وهذه الأحداث كانت تنفذ على أرض العراق ومورست بحق البشر والمدن بحمامات من الدم والضحايا والقتلى والدمار والتخلف وهو بذلك يدمر الاستقرار وينسف الأمن والأمان ويخرب طبيعة الناس والحياة الاجتماعية ويحرفها، كما يوقف مسيرة البلاد الحضارية ويقطعها عن التواصل مع ماضيها الحضاري العريق فتتعمق مظاهر التخلف وتتدهور دلائل الحضارة على كل صعيد في الحياة والمجتمع.

وأدناه نبذة مختصرة عن المراحل التاريخية التي مرت بها بلاد وادي الرافدين :

- **العصر البابلي القديم** [١٢٣]**:** (يبدأ منذ نهاية سلالة أور الثالثة ٢٠٠٤/٦ ق.م وينتهي عام ١٥٩٥/٤ ق.م ، وسقط هذا العصر على يد الحثيين الذين دخلوا بابل ونهبوها، حيث عاصمة المملكة، وهم من القبائل الهندواوربية الحثية في بلاد الأناضول (تركيا) ونظرا" لانسحابهم المفاجئ نتيجة أزمة سياسية في بلاط مملكتهم أستغل الكشيون هذا الفراغ السياسي في بابل فدخلوها وأسسوا سلالة بابل الثالثة (العصر البابلي الوسيط).

- **العصر البابلي الوسيط** [١٢٤]**:** (١٥٩٥ - ١١٦٢ ق.م) لا يعرف أصل الكشيين لعدم معرفة لغتهم وكل ما يعرف عنهم أنهم استوطنوا الأجزاء الوسطى من جبال زاكروس الفاصلة بين العراق وإيران في المنطقة المعروفة باسم بلاد اللر (لورستان) في الجهات الجنوبية من إيران (جنوب همدان) ودام حكمهم أكثر من أربعة قرون (١٥٩٥ -١١٦٢ ق.م) وكانت أقلية دخيلة غير متحضرة، انتهى العهد البابلي الوسيط بعد التعرض لضربتين قويتين من بلاد عيلام بغزوها بابل مرتين خلال الفترة (١١٦٨ - ١١٦٢ ق.م) ومع انسحاب العيلاميين من بابل بعد غزوتهم الثانية القصيرة الأمد، أغتنم أحد زعماء أيسن الفرصة وطرد الحامية العيلامية وأقام في بابل سلالة أيسن الثانية أو ما يعرف بسلالة بابل الرابعة التي دامت زهاء قرن من الزمن (١١٦٢ - ١٠٤١ ق.م) وبرز بين ملوكها نبوخذنصر الأول (١١٢٤- ١٠٣١ ق.م) الذي أشتهر بغزوه للعيلاميين في عقر دارهم .

---

[١٢٣] (حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - د. عبد الوهاب رشيد حميد - ص٦١ ،٦٤).

[١٢٤] (حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - د. عبد الوهاب رشيد حميد - ص ٦٧ ،٦٨ ، ٦٩).

- **العصر البابلي الحديث (العصر الكلدي)**[١٢٥] **:** شغل هذا العصر المملكة الكلدية في بابل (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) السلالة البابلية الحادية عشرة ورغم أن هذه الفترة لم تدم إلا قرنا" واحدا" لكنها تعد من العهود المجيدة، سقطت هذه المملكة على يد كورش الفارسي (٥٣٩ ق.م).

- **الاحتلال الفارسي لأراضي بلاد مابين النهرين** [١٢٦]**:** دخلت قوات قورش (كورش) الثاني (مؤسس الإمبراطورية الاخمينية الفارسية) مدينة بابل عام (٥٣٩ ق.م) دون قتال، ويبدو أن اليهود الذين كانو يعيشون في بابل كأسرى مهجرين إلى بلاد غريبة عنهم هم الذين أعانوا أو ساعدوا الإمبراطور قورش على فتح مدينة بابل واحتلالها، وقرر الإمبراطور الفارسي أطلاق أسر اليهود وتحريرهم بعد عام(٥٣٦ ق.م)، وكنتيجة للاحتلال الفارسي فقد اختفت مملكة بابل الحديثة من الوجود وبدأت مرحلة الاحتلال الفارسي، لم يكتف البابليون القدماء بالثورات المتعددة ضد الملوك الفرس وأنما حاولوا استخدام أسم الملك نبوخذنصر مجددا" كرمز قومي، وكمرادف لكلمة الملك الوطني المستقل عن السيطرة الفارسية الاخمينية مما يؤكد اعتزازهم بهذا الاسم وبصاحبه. إن جمود المعابد وانكماشها وزيادة الفقر لدى عموم الشعب وتتابع الثورات خلق حالة عامة من النفور ضد الفرس، ويتبين ذلك واضحا من جرد الأسماء الشخصية الذي يظهر رفض البابليين الاندماج في مجتمع الفرس حيث أصبح عدد من سمى من البابليين أبنائه بأسماء فارسية أقل بكثير من الفرس الذين أطلقوا على أبنائهم أسماء بابلية، كما أن اليهود أكثروا من تسمية أبنائهم بأسماء بابلية ، ولم تذكر المصادر التاريخية مثلما لم يكتشف في البقايا الأثرية أية آثار لمعابد نار زرادشتية في العراق، مما يؤكد نفور العراقيين من الحكم الفارسي وديانته الرسمية الزردشتية، ولم يقبل شعب بابل بالحكم الفارسي وقد ثار عليه مرتين في عام (٥٢٢ ق.م) والمرة الثانية سنة (٤٨٤ ق.م) وأخضع الفرس الثورة بشكل حاسم بحيث ان البابليين منذ ذلك الحين لزموا حدهم إلى أن حررهم

[١٢٥] (حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - د. عبد الوهاب رشيد حميد - ص٧٩).

[١٢٦] (:تاريخ العنف الدموي في العراق - باقر ياسين - ص٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨).

الاسكندر، ومن أحداث العنف الغريبة خلال الحكم الفارسي ان الإمبراطور داريوس الأول الذي حكم خمسا" وثلاثين سنة بين(٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) عندما أراد تنظيم أمور الجباية في الإمبراطورية والولايات التابعة لها، عين على كل ولاية نوعا" من الإتاوة أو الجباية التي يتوجب عليها تقديمها بحسب ما يتوفر في الولاية من ثروات كالنقود والأثمار أو الخيل أو المواشي عدا ولاية بابل في وادي الرافدين، فقد أوجب على بابل أن تقدم له (٥٠٠) خصي في كل عام[١٢٧]، لقد تحتم على مدينة بابل في وادي الرافدين إخضاع خمسمائة شاب من شبابها كل عام إلى عملية عنف جسدية مؤلمة بما تحمله من مخاطر على حياتهم ومن آثار نفسية سيئة لاحقة . إن العنف في هذه الحالة سيكون هو الحظ والقدر الملازم لهذه البلاد ينحاز نحوها وينجذب إليها ويصاحبها بمغناطيسية خفية حتى عندما تكون المصادفة هي الدافع والسبب في الأعمال والفعاليات المتسمة بالسيطرة والقهر،[١٢٨] ويشير هيرودوت إلى الضرائب الباهظة التي كان على إقليم بابل تسليمها إلى الحكام الفرس وهي :

- ألف وزنة فضة كل عام.
- ٥٠٠ فتى مخصي للبلاط.
- أرزاق البلاط والجيش لمدة أربعة أشهر كل عام.
- أرزاق ٨٠٠ حصان و ١٦٠٠ فرس (ربما مع فرسانهم) بصورة دائمة لأغراض حاكم بابل الفارسي.
- كومة فضة يغترفها الحاكم مرة في اليوم.

وكان الغزاة يعيشون مرفهين في دولة غنية مثل بابل وكانوا ينهبوها دونما وازع، وكانت النتيجة، تراكم أموال هائلة لدى الملك الفارسي، فلقد عثر الاسكندر في خزائن دارا الثالث في مدينة شوشة وحدها على ٩٠٠٠٠ وزنة ذهب (٢٧٠ طنا) و٤٠٠٠٠ وزنة فضة (١٢٠٠ طنا) وكانت كلها مكدسة على شكل قضبان لا فائدة منها في التصريف وغير قابلة للتداول كنقود .

---

[١٢٧] (هذا النص يذكره هارفي بورتر - موسوعة مختصر التاريخ القديم).

[١٢٨] (العراق في التاريخ - ص٢٤١ ، ٢٤٣).

وهكذا أنطفأ بريق الدول والأمم التي كانت تحكم في بلاد وادي الرافدين وأصبح دورها الآن باهتا" وثانويا" خلال فترة الاحتلال الفارسي، وتحول مركز الصراع - وبالأخص الصراع السياسي والعسكري - إلى كل من الإمبراطورية الفارسية ودولة مقدونيا بقيادة الاسكندر والإمبراطورية البيزنطية فيما بعد، بعد داريوس الأول جاء عدد من الملوك الفرس منهم احشورش وزركسيس الثاني وداريوس الثاني ثم داريوس الثالث الذي حكم ما بين ٣٣٦- ٣٣١ ق.م.

- **فترة احتلال الاسكندر المقدوني**[١٢٩] **:** أندحر الفرس أمام الاسكندر في شمال العراق بمعركة كوكميلة ٣٣٠ ق.م[١٣٠] بين الجيش الفارسي وجيش الاسكندر المقدوني ويمكن أعتبار هذه المعركة أحد أشكال العنف القادم من الخارج والمنفذ على أرض الرافدين، وكان داريوس بعد هزيمته في معركة ايسوس (شمال غرب سوريا) قد جهز جيشا" جديدا" وأعده ونشره في منطقة كوكميلة على أحد روافد نهر الزاب الكبير وخلال هذه المعركة فر داريوس من القتال أمام الاسكندر وتشتت جيشه وخسر الحرب، وبعد اندحار جيش الإمبراطورية الفارسية في معركة كوكميلة كان طبيعيا" أن يتقدم الاسكندر ليحتل المدن الهامة في المنطقة ويحصل على طاعة حكامها ، فتقدم نحو بابل التي سلمها حاكمها مازيوس دون قتال فأبقاه الاسكندر في مقامه غير أنه عين أثنين من أتباعه مع الحاكم توطيدا" للثقة ومكث في بابل نحو شهر واستراح بها جيشه بعد شديد المشاق وكما هو معلوم فقد تم توزيع إمبراطورية الاسكندر بعد وفاته وتم اقتسامها بين قادته العسكريين، لقد ورث إمبراطورية الاسكندر قواده الأربعة، فكانت سوريا والعراق وإيران وأفغانستان من حصة سلوقس وفيما بعد حيث تأسست الإمبراطورية السلوقية، وكانت مصر حصة بطليموس الذي أسس إمبراطورية البطالمة التي تنسب إليها الملكة الشهيرة كليوباترا صاحبة أنطونيو صاحب قصة الغرام الشهيرة.

[١٢٩] (العراق منذ فجر التاريخ).

[١٣٠] (موقع كوكميلة يبعد ٦٠ كم غرب اربيل الحالية و٣٠ كم إلى الشمال الشرقي من الموصل - الكاتب).

معركة كوكملية التي حصلت في منطقة الزاب هي في المنطقة التي كان يسكنها الشعب الأيزيدي قديما بالاستناد إلى ما ذكره المؤرخ اليوناني زينفون عام (٤٠١ ق.م) في كتابه (رحلة العشرة آلاف) بانه " كان هناك في حدود سنة ٤٠١ ق.م ثمة طائفة تستقر قرب مدينة نينوى تدعى (أزيدي) وكانوا يمتازون بالشجاعة الفائقة "وهذا يعني بأنه قبل حدوث المعركة بسبعين عاما" تقريبا" كان قول المؤرخ يثبت تواجد الأيزيديين في هذه المنطقة ومازال الشعب الأيزيدي موجودا" في هذه المناطق إلى الآن، مصطلح كوكملية دارج إلى يومنا هذا ويسمى حاليا" بالكومل والأخير يطلق على النهر الذي كان قبل قرن من الزمان يمر ضمن مركز جغرافية الشعب الأيزيدي والآن يمر بتخوم الأراضي التي يسكنها الأيزيديون بعد اغتصاب معظم أراضيهم التاريخية ، ومهما كانت النتائج التي ترتبت على كاهل الشعب الرافديني من جراء هذه المعركة فان الشعب الأيزيدي تضرر على إثرها لكونه هو المعني من خلال أراضيه وسكانه في تحمل القسط الأكبر من أعباء هذه المعركة.

- **فترة حكم الاحتلال الساساني :**[١٣١] بعد بضع مئات من السنين أنشأ اردشير الأول دولة مركزية قوية في فارس ما بين ٢٢٦ - ٢٤٠ بعد الميلاد وبلغت هذه الدولة الفارسية أوج قوتها في عهد سابور الثاني ٣٠٩ - ٣٧٩ بعد الميلاد، وخلال ذلك كله كان العراق تحت السيطرة الفارسية، ومن هنا بدأت الإمبراطورية الساسانية (٢٢٦ - ٦٣٧ م)، ومن ملوك هذه الفترة من الإمبراطورية، اردشير بن بابك بن ساسان ٢٢٦ - ٢٤١ م، حيث ثار هذا القائد الفارسي على ملك الفرس ارطبان الخامس وتمكن من ضم بقية الأمراء الفرس إلى سلطانه ثم حارب ارطبان وقضى عليه عام ٢٢٦ م فأستحوذ على حكم بلاد فارس، وبعد عامين مد نفوذه إلى جميع إيران والعراق ودخل طيسفون وجعلها العاصمة الشتوية للدولة الجديدة الساسانية ثم تولى الحكم بعده أبنه سابور الاول (٢٤١ - ٢٧٢ م) وظهر في زمن هذا القائد الساساني، ماني صاحب المذهب المانوي الإيراني، ولعل سابور الجند هذا هو الذي شيد ايوان كسرى العظيم، وبعد وفاة سابور تتابع الملوك على عرش الدولة

---

[١٣١] (العراق منذ فجر التاريخ).

الساسانية وكان أغلبهم ضعيفا" وحدثت في زمنهم مناوشات مع الرومان، وبعد أن أنتهت فترة ضعف الدولة الساسانية , تسلم الحكم فيها سابور الثاني وكان قويا" حارب الرومان وأخضع بادية الشام لحكمه، ومن بعده أتى سابور الثالث (٣١٠ - ٣٧٩ م) وهو الملقب بسابور ذي الأكتاف وقد دام حكمه نحو سبعين عاما" حارب فيها الرومان وأنتصر عليهم في عدة معارك , وكانت أول معاركه القوية ضد إمبراطورية قسطنطين قرب سنجار أنتصر فيها عليه واستولى على كثير من الحصون الرومانية والقلاع المنتشرة في الشمال.

لابد من التوقف قليلا"عند هذا الحدث التاريخي الذي وقع قرب مدينة سنجار التي كانت ومازالت تضم الشعب الأيزيدي باعتبارها منطقة سكنى الأيزيدية قديما" وحديثا"، معركة أخرى بين الإمبراطورية الرومانية والدولة الساسانية وعلى أرض بلاد وادي الرافدين وبالأخص الأراضي التي يسكنها الشعب الأيزيدي في سنجار التي تمثل العمود الفقري لجموع سكان الشعب الأيزيدي وفي هذه الحالة فان الأيزيديون مهددون مرة أخرى بتعرضهم إلى المظالم والويلات فضلا" عن اغتصاب أراضيهم ". ثم حارب سابور الثاني الأقاليم الشمالية وضم مملكة كوشانية إلى حكمه ثم توسع شرقا" نحو بلاد تركستان والصين ونشر فيها الحضارة الفارسية ، ولما تولى الإمبراطور جوليان العرش الروماني جرد حملة وفيرة العدد قوية الأسطول وتقدم بها نحو الشرق فاتحا" نصيبين ومدن الفرات ونزل إلى بابل وحاصر طيسفون وكان سابور في شغل عنه في المقاطعات الشرقية، ولما علم بمصير عاصمته طيسفون تقدم بسرعة وكانت معركة ضارية قرب جبال حمرين أنكسر فيها الرومان وقتل جوليان وتراجع جيشه نحو إنطاكية بعد تكبده خسائر فادحة بالأرواح ، فاستولى سابور الثاني على جميع بلاد الرافدين وعلى القلاع الشمالية في أمد ونصيبين وبلاد أرمينية ، وهكذا ظل سلطان الدولة الساسانية قويا" على بلاد الشرق الأوسط مادام سابور حيا"، وبموته تنازع أمراء الإقطاع والنبلاء على الملك فيما بينهم وتسلم الحكم ملوك ضعفاء , وانتشرت آنذاك المسيحية في شمالي بلاد الرافدين وبلاد أرمينية لاسيما في زمن يزدجرد الأول في القرنين الرابع والخامس للميلاد، وأستمر التقهقر السياسي في الدولة الساسانية , وكانت هناك حروب

طائفية مذهبية بين الأديان المختلفة وكانت المزدكية قد انتشرت انتشارا" واسعا" وتعليماتها منتقاة من المانوية، وأستمر الوضع مرتبكا" في الشرق إلى أن تسلم العرش الساساني كسرى الأول (انوشروان) ٥٣١ - ٥٧٩ م وبعد وفاته تولى الحكم ملوك ضعفاء فساءت أحوال الدولة خلال حكمهم حتى جاء الملك كسرى الثاني (ابرويز) ٥٩٠ - ٦٢٨ م الذي تدرج في أعلاء شأن المملكة وتوطيد دعائمها داخلا" وخارجا" وأستطاع أخيرا" الاستيلاء على جميع الأطراف التي كانت تناوىء الدولة الساسانية ولكن نشوة انتصارات كسرى لم تدم طويلا" بل أعقبها خذلان سريع بسبب تعنته وجبروته حيث وجه إليه ملك بيزنطية الجديد هرقل ضربة بعد أخرى وطرد الجيوش الساسانية من آسيا الصغرى ونزل إلى دجلة وحاصر طيسفون وقتل فيها الملك كسرى الثاني وتعاقب على العرش بعده ملوك كثيرون ضعفاء لم يحكم الواحد منهم أكثر من سنة لتدخل النبلاء فتدهورت المملكة تدهورا" سريعا" حتى تولى الحكم آخر ملوك ساسان المدعو يزدجرد الثالث (٦٣٢ - ٦٥١ م) وكان سوء الوضع قد بلغ في زمانه حدا" مزريا" , وكانت الجيوش العربية المسلمة حينذاك تفتح بلاد سوريا والعراق , وانتصرت في اليرموك على الجيوش البيزنطية وحصرتها بعد ذلك في آسيا الصغرى في القسطنطينية، ووقعت في العراق واقعة القادسية الشهيرة في حزيران عام (١٦ هـ / ٦- ٦٣٧ م) قرب الحيرة أنكسر فيها رستم قائد يزدجرد الساساني فدخل سعد ابن أبي وقاص طيسفون (المدائن) وقضى بذلك على الاحتلال الساساني للعراق، ولاحق الجيش العربي يزدجرد إلى إيران فكانت واقعة النهاوند في سنة (٢١ هـ / ٦٤٢ م) التي أنكسر فيها الفرس وهرب ملكهم وقتل عام ٦٥١ للميلاد وانتهى بذلك الحكم الفارسي الساساني وبدأ العهد الإسلامي - العربي في الشرق الأوسط .

- **فترة الفتوحات الإسلامية على العراق[١٣٢] :** سارت الجيوش الإسلامية من الجزيرة العربية نحو العراق وبلاد الشام لمحاربة المحتلين الفرس والبيزنطيين ، ففي العراق تقدم خالد بن الوليد في عهد أبي بكر الصديق

[١٣٢] (العراق منذ فجر التاريخ).

أول الخلفاء الراشدين , ففتح الحيرة عام (١٢ هـ / ٦٣٣ م) , ثم تسلم قيادة الجيوش العربية في العراق المثنى بن حارثة الشيباني ومن بعده سعد بن أبي وقاص في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب , وألتقى بالجيوش الفارسية في معركة القادسية إلى الجنوب الغربي من الكوفة فانهزم الفرس بعد مقتل قائدهم رستم ودخل العرب المدائن " طيسفون " عاصمة الفرس الساسانيين في العراق في عام (١٦ هـ / ٦٣٧ م) فهرب منها آخر ملوك الساسانيين يزدجرد إلى بلاد فارس واغتيل هناك عام ٦٥١ للميلاد وانتهى بذلك الاحتلال الساساني للعراق وبدأ العهد العربي الإسلامي.

- **الخلفاء الراشدون(١١ - ٤٠ هـ / ٦٣٢ - ٦٦١ م)** : تم في هذا العهد فتح العراق وتثبيت دعائم الإسلام ونشره في ما جاوره وأسس العرب مدينة البصرة سنة (١٦ هـ / ٦٣٧ م) ومدينة الكوفة قرب الحيرة سنة (١٧ هـ / ٦٣٨ م) والموصل ، وسرعان ما اتسعت هذه المدن حتى أصبحت مراكز للحضارة الإسلامية امتدت بنفوذها شرقا" إلى إيران وأواسط آسيا والهند، وكان آخر الخلفاء الراشدين الإمام على بن أبي طالب (ع) قد سكن العراق سنه (٣٦ هـ / ٦٥٧ م) واغتيل في الكوفة عام (٤٠ هـ / ٦٦١ م) فانتقلت الخلافة إلى الأمويين في الشام .

- **الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠ م) :**خضع العراق للحكم الأموي الذي كان مركزه بلاد الشام , وفي زمن عبد الملك بن مروان شيد والي الأمويين على العراق , الحجاج بن يوسف الثقفي مدينة واسط على دجلة سنة (٨٣ هـ / ٧٠٣ م)، وبانتهاء الحكم الأموي في الشام قامت الدولة العباسية في العراق، حيث كانت منطقة الزاب الأعلى في شمال العراق ضمن أعمال نينوى هي أيضا مسرح المعركة الفاصلة بين جيش العباسيين بقيادة عبد الله بن علي (عم السفاح) والجيش الأموي بقيادة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في عام (١٣٢ ه - ٧٥٠ م) والتي انتهت باندحار الجيش الأموي وسقوط الدولة الأموية وغيابها من التاريخ إلى الأبد وقيام الدولة العباسية وحكمها للفترة (٧٥٠ - ١٢٥٨ م).

هذه المعركة التي سميت بمعركة الزاب هي أيضا كانت ضمن نطاق أراضي الشعب الأيزيدي بعد معركة كوكميلية بين الاسكندر المقدوني والفرس، حيث ان الزاب وكوكميلية (الكومل) تعتبران ضمن نطاق منطقة واحدة كانت معقلا" للأيزيديين ".

- **الدولة العباسية (١٣٢ - ٦٥٦ هـ /٧٥٠ - ١٢٥٨ م) :** أسس الدولة العباسية في العراق أبو العباس عبد الله السفاح سنة (١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤ م)، بويع له في الكوفة وحارب الجيوش الأموية على الزاب الكبير ثم فتح واسط واستولى بعد ذلك على بلاد الشام فأستقر له الحكم ، وأتخذ السفاح مدينة الأنبار على الفرات الأوسط عاصمة له ، ثم تبعه في الحكم سبعة وثلاثون خليفة دام حكمهم زهاء (٥٢٤ سنة) وقد قسمت فترة حكمهم إلى خمسة عهود وذلك بالنسبة إلى نفوذ الخلفاء أو تسلط الأمراء الأجانب عليهم من فرس وترك ومغول.

- **عهد البويهيين (٣٣٤ - ٤٦٧ هـ / ٩٤٦ - ١٠٧٥ م) :** البويهيون , وأصلهم فارسي ساساني من بلاد الديلم حكموا البلاد باسم الخلفاء العباسيين المقيمين في بغداد وعرفت هذه الفترة بالعهد العباسي الثالث، حكم فيه خمسة خلفاء عباسيين , وكان عضد الدولة أقدر البويهيين الذين حكموا العراق، ولما ضاق الخليفة القائم بأمر الله في أواخر حكمه سنة (٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م) ذرعا" بفتنة البساسيري أستنجد بـ (طغرل بك السلجوقي) الذي جاء من ما وراء النهر وبسط سلطانه على إيران ثم دخل بغداد وانتهى العهد البويهي في العراق وأسس العهد السلجوقي.

- **عهد السلاجقة (٤٦٧ - ٥٧٥ هـ / ١٠٧٥ - ١١٨٠ م) :** وهو ما يعرف بالعهد الرابع العباسي وكان الأمراء السلاجقة هم قوم من الترك وأصلهم من قبائل الغز في سهول باكستان , يحكمون باسم الخلفاء العباسيين وكانوا يعزلون الخليفة أو يقتلونه ويقيمون غيره مكانه، وأشتهر من السلاجقة ألب أرسلان وملكشاه وتقدمت الدولة في زمنيهما وتوسعت، كما حاول الفاطميون في هذا الدور أن يبسطوا نفوذهم على العراق ، وقد نشبت الحروب الصليبية حينذاك، أما في الموصل فقد حدثت فتن كثيرة

فأعطى السلطان محمود السلجوقي في عهد الخليفة المسترشد بالله العباسي ولاية الموصل وأطرافها إلى المملوك عماد الدين زنكي (أتابك) الذي تمكن من توطيد الحكم واستقراره في الشمال وتأسيس العهد الأتابكي في الموصل تحت سلطة السلاجقة والخلافة العباسية.

- **عهد الأتابكة (٥٢٠ ـ ٦٦٠ هـ / ١١٢٦ ـ ١٢٦١ م) :** ومعنى أتابك " أبو الأمير " أي من كان يربي الأمراء السلاجقة ويعلمهم، أسس هذا العهد في الموصل عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر الحاجب التركي الأصل (٥٢٠ ـ ٥٤١ هـ / ١١٢٦ ـ ١١٤٦ م) قام هذا بإصلاحات كثيرة وتبعه ابنه سيف الدين الذي أهتم بتقوية الجيش وتولى بعد ذلك حكام من الأتابكة بينهم من كان سيء السيرة، وفي هذه الفترة من الزمن ظهر صلاح الدين الأيوبي , ولد في تكريت في العراق وأرسل في حملة إلى مصر على عهد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله سنة (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)، فتمكن من تثبيت الخلافة العباسية في مصر وسوريا والحجاز والمغرب , وحارب الصليبيين وأنتصر عليهم في معركة حطين سنة ١١٨٧ للميلاد وفتح القدس، وفي زمن القاهر عز الدين سابع حكام الأتابكة ظهر المملوك بدر الدين لؤلؤ وكان يقوم بأعمال إدارية في الدولة ويربي أولاد الملك , وبعد وفاة القاهر أساء بدر الدين لؤلؤ معاملة أولاد القاهر وأقاربه وقضى عليهم الواحد بعد الآخر وأستأثر بالحكم لنفسه وأستطاع بتودده للسلاجقة ولخليفة بغداد المستنصر بالله العباسي أن يحصل على لقب ملك الموصل وشاراته وذلك في سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م)، وشيد بدر الدين لؤلؤ في الموصل مباني كثيرة، وحكم زمنا طويلا إلى سقوط بغداد بيد هولاكو وتوفى بعدها بقليل ثم حكم ابنه ركن الدين إسماعيل (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) وانتهى بذلك حكم الأتابكة.

فترة حكم بدر الدين لؤلؤ تعد أبشع وأسوأ مرحلة حكم حيث حصلت فيها مجازر دموية بحق الشعب الأيزيدي وسأسرد وقائعها في المبحث التالي ".

- **الدولة الأيلخانية (٦٥٦ - ٧٣٨ هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٨ م):** قامت الدولة الأيلخانية المغولية - الفارسية في العراق بعد أن فتح هولاكو بن تولي خان المعروف بأيلخان بغداد وخربها سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وعين عليها واليا" وأستمر هو بالفتوحات غربا"، وبعد وفاته سنة (٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م) تولى الحكم ابنه اباقا خان الذي قام بإصلاحات وأعاد بناء جامع الخلفاء ومنارة سوق الغزل (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م) وعين على ولاية العراق عامله علاء الدين الجنويني وكان التتر قد دخلوا الإسلام وأولهم السلطان أحمد خان (تكدارخان بن هولاكو) سنة (٦٨١ - ٦٨٣ هـ / ١٢٨٢ - ١٢٨٤ م)، ولم تستقر الأوضاع السياسية في العراق وكانت الفتن والمنازعات مستمرة بين الولاة والأمراء فثار آرغون بن اباقا خان سنة (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م) وقتل ثم قام ملوك آخرون ساءت أحوال الدولة في زمنهم حتى قضى الشيخ حسن الجلايري على آخر الأمراء الأيلخانيين سنة (٧٣٨ هـ / ١٣٣٨ م) بعد أن حكموا ثمانين عاما" في العراق وتأسست بذلك الدولة الجلايرية.

- **الدولة الجلايرية ٧٣٨ - ٨١٣ هـ / ١٣٣٨ - ١٤١٠ م :** أسس الدولة الجلايرية الشيخ حسن الجلايري المغولي الأصل قادما" من فارس والأناضول وفتح بغداد سنة (٧٣٨ هـ / ١٣٣٨ م) فاستقرت الأمور في العراق ولما توفي سنة (٧٥٧ هـ ١٣٥٦ م) تولى الحكم بعده أبنه السلطان معز الدين أويس الذي عين مملوكه أمين الدين مرجان واليا" على العراق وهو الذي شيد المدرسة المرجانية (جامع مرجان) سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٩ م) ووقف عليها ريع خان مرجان (خان الارطمة) الذي صار اليوم متحفا" للآثار العربية , ولم يستقر الحكم في العراق بعد وفاة معز الدين اويس بل قامت الفتن والمنازعات بين أولاده إلى أن قدم تيمورلنك من تركستان وفتح بغداد عام (٧٩٥ هـ / ١٣٩٣ م) أول مرة في زمن ملكها أحمد بن معز الدين أويس فأعمل فيها حرقا وتخريبا" , فهرب أحمد بن أويس إلى مصر مستجيرا" بسلطانها الملك الظاهر برقوق وعاد أحمد بن أويس بجيش عرمرم أسترد به بغداد ولكن تيمورلنك لم يمهله إذ رجع وفتح بغداد ثانية وهرب أحمد بن أويس إلى بلاد الروم وعاد وأسترجع بغداد وفتحها عام (٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م)

وأعاد تمثيل فضائعه في أهالي بغداد فهرب أحمد معز الدين بن أويس إلى حلب الشام إلا انه رجع مجددا" إلى بغداد بعد سنتين وأختلف مع قره يوسف التركماني فهرب إلى مصر وبقي قره يوسف في بغداد إلى أن دخلتها مجددا" جيوش تيمورلنك فهرب قره يوسف إلى مصر أيضا، وفي هذا العهد غرقت بغداد عدة مرات وحدث الطاعون و أهلك أكثر أهاليها، وأخيرا" توفى تيمورلنك سنة (٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) واستمرت المنازعات على حكم العراق من أذربيجان وتبريز إلى أن تمكن قره يوسف من فتح تبريز والقبض على السلطان أحمد الجلايري وأجبره على التنازل عن الحكم ثم قتله وهكذا قضى قره يوسف على الدولة الجلايرية سنة (٨١٣ هـ / ١٤١٠ م).

- **دولتا الخروف الأسود والخروف الأبيض (قره قوينلو , آق قوينلو ٨١٣ - ٩١٤ هـ / ١٤١٠ - ١٥٠٨ م) :** أسس دولة الخروف الأسود قره يوسف التركماني بعد أن قتل أحمد معز الدين بن أويس الجلايري سنة (٨١٣ هـ / ١٤١٠ م) في تبريز، ثم تولى الحكم بعده ملوك وأمراء ومنهم جهان شاه، كانت المنازعات بينهم شديدة قاسى العراقيون خلالها مر العذاب والأهوال، ثم استولى السلطان حن الطويل التركماني من ديار بكر على السلطة وأقام دولة الخروف الأبيض سنة (٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)، وبعده استمرت المنازعات أيضا بين أولاده والأمراء الآخرين حتى جاء الشاه إسماعيل الصفوي الإيراني واستولى على المنطقة الشمالية كلها ثم فتح بغداد عام (٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) وأسس الدولة الصفوية الكبرى.

- **الدولة الصفوية في العراق (٩١٤ - ٩٤١ هـ / ١٥٠٨ - ١٥٣٤ م) :** أسس الدولة الصفوية إسماعيل بن جنيد أبن الشيخ صفي الدين الاردبيلي سنة (٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) ويعد إسماعيل الصفوي من كبار المتصوفة في أيامه , ولما توفي سنة (٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) تولى الحكم بعده أبنه طهماسب الأول وبدأت الفتن والمنازعات فثار عليه الأمير ذو الفقار الذي أستنجد بالسلطان سليمان القانوني ولكن طهماسب تغلب على ذي الفقار وقتله فأغراض ذلك العمل سليمان القانوني فأرسل قائده أبراهيم باشا

بجيش عثماني كبير فتح به بغداد سنة (٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م) , وزار سليمان القانوني بغداد ومناطق أخرى من العراق وقام بإصلاحات مختلفة، إلا ان المنازعات بين الولاة الأتراك كانت مستمرة وشديدة وهذا ما يعرف بفترة الانتقال التي قاسى منها العراقيون كثيرا" من الأذى، وأخيرا" أستنجد الصوباشي (بكر) رئيس الشرطة بالشاه عباس الصفوي الذي بعث بجيشه وفتح بغداد سنة (١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م)، ثم تبعه ملوك آخرون وكانت الدولة العثمانية تعد العدة لاسترجاع العراق فجهز السلطان مراد الرابع جيشا" كبيرا" سنة (١٠٤٧ هـ / ١٦٣٧ م) وسار به نحو الموصل وفتحها ثم سار نحو كركوك وأربيل والسليمانية ودخل بعد ذلك بغداد في نهاية عام (١٠٤٩ هـ / ١٦٣٩ م) فأسس العهد العثماني الثاني في العراق.

الشعب الأيزيدي لقى الحيف الكبير خلال الحقبة الصفوية التي حكمت العراق ودفع ثمنا" بالغا" في ظل تلك الظروف وسقطت على إثره ضحايا عديدة وسنجد بالتفصيل هذه الوقائع الدموية لاحقا"، ولكن ما أريد أن أقف عنده هو ان للشعب الأيزيدي الدور البارز في إسقاط بغداد من يد الدولة الصفوية لصالح الدولة العثمانية، حيث شارك حسين بك زعيم الأيزيديين مع القوات العثمانية في استرداد بغداد من الصفويين عام (١٥٣٤ م)، وفي المرة الثانية أيضا كان للأيزيديين الدور البارز في استرجاع بغداد من الدولة الصفوية و كانت على يد أيزيدي ميرزا وهو قاد جزء كبير من المعركة الفاصلة بين العثمانيين والصفويين وهو يرأس جيشا" كبيرا" من الأيزيدية أستطاع أن يسترد بغداد عام (١٦٣٨م) ونظرا" لجهوده الكبيرة في هذه المعركة والذي يعود فضل استرداد بغداد إليه فقد منحت الدولة العثمانية منصب والي الموصل للقائد الأيزيدي أيزيدي ميرزا .

- **فترة احتلال الدولة العثمانية في العراق** : سقطت بغداد بيد العثمانيين عام ١٥٣٤م حيث دخلها السلطان سليمان وقد قسم العثمانيون العراق إلى أربع ولايات هي (بغداد - الموصل - شهرزور - البصرة)، وخضع العراق لحكم المماليك في منتصف القرن الثامن عشر ودام ما يقرب من

ثمانين عاما" وكان أبرز حكامهم هم (سليمان باشا الكبير وسليمان باشا الصغير وداوود باشا وقد شملت سلطتهم في مراحل من تاريخهم معظم العراق الحالي)، فقد بدأ في عام (١٧٤٩م) بولاية سليمان باشا وقد وصل إلى الحكم بعد حصول فتنة طاحنة قام بها الانكشاريون في بغداد وخربوا مقر الحكومة بالقنابل مما أدى إلى فرار والي بغداد فاضطرت الدولة العثمانية إلى تعيين سليمان باشا واليا" مكانه وانتهى في عام (١٨٣١م) بعزل داوود باشا، خلال عهد المماليك تأرجح النفوذ العثماني والإيراني والمملوكي في صراع تنافسي خفي فوق أرض العراق وكان حكمهم يحظى بدعم وإسناد بعض الدول الأجنبية بصورة غير مباشرة مثل بريطانيا وفرنسا.

على الرغم من المساعدة الكبيرة التي قدمها الشعب الأيزيدي للدولة العثمانية إلا ان الأخيرة وقفت بالضد من الشعب الأيزيدي وقامت بممارسة أبشع صنوف الظلم والاضطهاد بحق نفوسه وأرضه وخصوصا" مع القادة الأيزيديين الذين وقفوا بجانبها في ظروف المعارك من أمثال (الأمير حسين بك - القائد أيزيدي ميرزا) واغتالتهم بدم بارد.

- **فترة الاحتلال الإنكليزي في العراق:** احتلت القوات الإنكليزية مدينة البصرة عام ١٩١٤م، ومن ثم قامت باحتلال بغداد عام ١٩١٧، و ولاية الموصل عام ١٩١٨م، في هذه الفترة قضت القوات البريطانية على السلطة العثمانية في العراق.

بعد أنهيار الدولة العثمانية ول زمن الحملات الأجرامية بحق الأيزيديين وزالت الغيوم السوداء عنهم ونصبت القوات البريطانية أحد أهم وجهاء مدينة سنجار حاكما" عليها[١٣٣]، وبعد ذلك قام الوطنيون في العراق بتأسيس الدولة العراقية وضمنت الأخيرة للأقليات القومية والدينية حقوقها المشروعة، وأنتهت بذلك العهود الدموية التي تعرض لها الشعب الأيزيدي وولت من دون رجعة .

[١٣٣] (القوات البريطانية عينت الفقير حمو شرو واليا" على منطقة سنجار بعد انتزاعها من القوات العثمانية مباشرة).

المبحث الثاني

حملات الإبادة الجماعية (الفرمانات)

التي تعرض لها الشعب الأيزيدي

توالت حملات الإبادة الجماعية على الشعب الأيزيدي منذ سقوط الإمبراطورية البابلية عام (٥٣٩ ق.م) إلى حين تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١م وأصبح الإنسان الأيزيدي في ظل تلك الظروف السلبية مشردا" ومضطهدا"، وازدادت وتيرة الحملات على الأيزيديين عاما" بعد عام ما خلف آثارا" سلبية وأحداث دموية ألحقت الأذى الكبير بالموروث الحضاري الأيزيدي فضلا" عن تأثيراتها المباشرة على اجتثاث الشعب الأيزيدي من أراضيه وتشتت عناصره إلى مناطق نائية، الهدف من هذه الحملات الدموية كان واضحا" وهو إخضاع الأيزيديين تحت ولاء سياساتها القاسية والتدميرية وأتبعت من خلالها أساليب وحشية تمثلت بالقتل والتمثيل بالجثث أمام الناس والتهجير والبطش والتنكيل بدون رحمة وشفقة مع الغدر وارتكاب أعمال السلب والنهب وهتك الأعراض وسبي الأطفال والنساء وحرق الدور والقرى بأكملها وقطع الأشجار وحرق المزروعات والبساتين بعد الحصول على الكفاية من الغنائم والممتلكات وتدمير البنى التحتية للدور الدينية المقدسة والمعالم الحضارية و التراثية وإفناء المعالم الفكرية والانتماء الحضاري الرافديني للشعب الأيزيدي، وكان الحكام والسلاطين والأمراء والولاة والقادة يستخدمون السلاح الديني ضد الأيزيديين في كل فرمان[١٣٤] ويصدرون الفتاوى ضدهم قبل الفرمان ويصبح قتلهم علنا" وبيعهم في الأسواق شرعا".

---

[١٣٤] (فرمان كلمة تركية معناها القرار ، والشعب الأيزيدي طرح تسمية (الفرمان) كمرادف لعبارة حملات الإبادة الجماعية كرد فعل على ما كان يقوم به السلاطين في استانبول من إصدار قرارات مجحفة بحق الشعب الأيزيدي والتي أباحت بين أسطرها قتل وذبح الأيزيدية من دون وجه حق).

من أهم الأهداف الظاهرية والمبطنة التي كانت تقف وراء شن بعض الأطراف الفرمانات تجاه الشعب الأيزيدي :

١ - الحصول على الغنائم والممتلكات الأيزيدية .
٢ - اجتثاث الامتداد التاريخي والحضاري السومري البابلي للشعب الأيزيدي .
٣ - محو اللغة الأيزيدية.
٤ - اجتثاث الديانة الأيزيدية التي هي امتداد للديانة البابلية .
٥ - القضاء على المعالم الحضارية والتاريخية والتراثية للشعب الأيزيدي .
٦ - الاستحواذ على المناطق والجغرافية الأيزيدية بأكملها .
٧ - استغلال الطاقات البشرية من الأيزيديين الذين يقعون تحت رحمة الغازين لمهنة العبيد وتجنيدهم في صفوف الجيوش الغازية .
٨ - سلب الأطفال واختطاف النساء .
٩ - القضاء على الشعب الأيزيدي بهدف عدم تنامي قدراته البشرية والجغرافية والفكرية والإدارية .

مما لاشك فيه ان اقتران مثل هذه الأعمال ينتج آثارا" ونتائج سلبية مؤثرة تكبد الأيزيديون من جرائها خسائر مادية (المعالم الحضارية والتراثية والدينية والفكرية) وبشرية فادحة، ونحن نسأل لماذا شنت هذه الحملات الإجرامية بحق الأيزيديين الأبرياء الذين تتوفر لديهم الصفات الحميدة والقيم الإنسانية والأخلاقية؟ ألا يحق لنا العيش كباقي الشعوب برفاهية وتعايش أخوي مع المحيط، أصابع الاتهام تتجه فقط للحكام الذين تلطخت أياديهم بالدماء الأيزيدية الطاهرة وليس للشعوب المحسوب هؤلاء الحكام عليها شأن إزاء تلك العمليات الإجرامية لكون تلك الشعوب أيضا كانت أسيرة بيد آلتهم العدوانية الجبروتية .

يتداول أفراد الشعب الأيزيدي بين أوساطه الشعبية بانه حصلت لهم اثنان وسبعون حملة إبادة عبر القرون الزمنية المنصرمة، وفي الاتجاه المقابل فان الحقيقة تقول عكس ذلك لكون العدد يفوق هذا وبكثير، الدلائل التاريخية المتوفرة في أيدينا توثق تقريبا" هذا العدد المذكور لكن هنالك العشرات بل المئات من المجازر التي ضاعت بين أدراج التاريخ بسبب إغفاله المواقف والأدوار الأيزيدية فضلا" عن الممارسات المفتعلة من قبل بعض الأطراف والتي كانت تقصد تدمير

وحرق ونهب كل المحتويات الفكرية الحضارية والتراثية الأيزيدية المكتوبة ومن جرائها فقد الشعب الأيزيدي معظم أرشيفه التاريخي والحضاري والتراثي .

إن إبراز بعض تلك المجازر في هذا المبحث يعود إلى الأرشيف التاريخي العام والعائد إلى القوميات والشعوب الأخرى، أما التاريخ الشفوي الأيزيدي (العلم المحفوظ على الصدر) الذي حافظ عليه آباؤنا وأجدادنا فبدوره يعد بمثابة المرجع التاريخي والحضاري للمجتمع الأيزيدي وفي بعض أجزائه يتم ذكر العديد من الحملات الدموية التي شنت على الأيزيديين وهي التي لم يذكرها تاريخ الشعوب الأخرى، والسبب الذي دفعني إلى أن اقدم الأحداث التاريخية التي دونها الأرشيف العام الخارجي دون الأرشيف الأيزيدي هو لإعطاء المزيد من الثقة والأمانة التاريخية للقراء الأعزاء والذين بطبيعة الحال سينقسمون إلى المؤيد والرافض والمشكك بطرحي هذا وانفرادي بهذه الخطوة هو لكي يصدق المشككون والرافضون بطرحي كون الأدلة والحقائق التاريخية تم أخذها من الأرشيف العام وليس الأيزيدي، أي أنه ليس مصطنعا" من قبلنا.

هناك جملة من الاعتبارات الموضوعية التي تقف وراء تكبد الأيزيديين خسائر فادحة ومنها :

- ثقة الشعب الأيزيدي العمياء وغير المدروسة بالغرباء وإيواؤهم على أراضيه دون الأخذ بخطورة مراحل النمو السكاني لهم وأجندتهم المبطنة، حيث إن الشعب الأيزيدي معروف بأعرافه الاجتماعية النبيلة وإيمانه العميق بالمبادئ الإنسانية والأخلاقية ما دفع الأيزيديين إلى إيواء الغرباء على أراضيهم و المكوث فيها أسوة ببقية أفراد الشعب الأيزيدي .

- تكرار الحملات والحروب الدموية التي توالت على الشعب الأيزيدي وبفترات زمنية متقاربة جدا" أدى إلى عدم تمكنه من أعادة هيكله التنظيمي الدفاعي من جديد مع التأكيد بان حجم القوات الغازية كان يفوق بعشرات المرات حجم المدافعين الأيزيديين إبان المعارك.

- قيام العديد من الأطراف بتكفير الشعب الأيزيدي وهدر دمه وحرمانه من التخالط مع محيطه الخارجي وهذه الأجواء المؤلمة انعكست سلبا" على الأيزيديين ومن جرائها أصبحوا متقوقعين ومنزوين على أنفسهم وأفرزت هذه الممارسات عزلهم عن العالم الخارجي ما زاد التخلف والجهل بين صفوفهم وحتى في

الظروف التي تقشعت عنها المظاهر الدموية فالأمية تفشت بين المجتمع الأيزيدي بسبب عدم التحاق أفراده بالمدارس كونها كانت محصورة بالديانتين المسيحية والإسلامية ومن جهة أخرى فأن الحصار الذي كانت تفرضه القوات الغازية على الشعب الأيزيدي أفرز وقائع مؤلمة ساعدت على عدم توريد الشعب الأيزيدي المواد التموينية و الذخيرة الدفاعية ومنع عناصره من مزاولة الأعمال التجارية وبقية الأمور الأخرى ذات الصلة لرفع شأنهم العسكري والمعيشي.

- تشرد الشعب الأيزيدي إلى المناطق النائية والمهجورة وغير الصالحة للزراعة والتجارة وحتى للمعيشة في ظل الحروب المتكررة أعاق مورده الغذائي وهذا ما دفع بالإنسان الأيزيدي إلى هدر معظم أوقاته بحثا" عن سد رمق عيشه فضلا" عن أعباء تجديد بناء الدور المهدمة تاركا" الضلوع الكلي في المسائل الاستباقية الدفاعية فضلا" عن ان التشرد بين صفوف الشعب الأيزيدي جعل الاتصال بين عناصره صعبا" للغاية للتجمهر في الظروف الاستثنائية للاستفادة منه كوجه دفاعي موحد إبان ظروف المعركة.

- سقوط أبطال الشعب الأيزيدي في ساحات المعارك أثر بشكل سلبي على نفسية الإنسان الأيزيدي وبذلك فقد المجتمع الخبرة البطولية والشجاعة الفائقة في كثير من الحروب مما كانت تترتب عليه نتائج سلبية على الأيزيديين مع التأكيد بأنهم لم يفقدوا الأمل بالمناضلين الأشداء المتبقين و الذين كانوا مرشحين للظهور ككوكبة أخرى من الأبطال.

- مصادرة الذخيرة الدفاعية للمجتمع الأيزيدي بعد كل حملة دموية وحصول الجهات المعتدية على الغنائم الأيزيدية المتعددة ما جعل من الصعب استردادها أو تعويضها بحكم تلك الظروف المأساوية التي كانت تحيط بالشعب الأيزيدي من انغلاق وانعزال من كل الجهات.

وقع بين أيدينا عدد من هذه الفرمانات (حملات الإبادة الجماعية) الموثقة تاريخيا" وسنكتفي بعرض تواريخ حدوثها وإبراز قادتها مع تذكير بسيط بوقائعها مع اننا نؤمن بان العديد من حملات الإبادة قد تجاهلها التاريخ ، وكل حملة من هذه الحملات تحتوي على أجندات متشابهة تماما" وبذلك فلا حاجة إلى تكرار وقائع كل حملة والتي تضمنت في برامجها وأهدافها الدموية القتل والذبح والتنكيل وسبي النساء والأطفال واعتقال القادة الأيزيديين والتمثيل بجثثهم وتعليقها على

الأماكن المرتفعة وقتل الأسرى وحرق البساتين والاستيلاء على الغنائم بأشكالها المتعددة وغيرها من المساوئ التي لا يتجرأ العقل على الإيعاز لأنامل الإنسان بمسك القلم و تدوينها كتابة.

ومن هذه الفرمانات[١٣٥]:-

١- فرمان بدر الدين لؤلؤ (سنة ٦٤٤ هجرية /١٢٤٦ م) :
أستخدم بدر الدين لؤلؤ أسلوب المكر والمراوغة لتجنب المواجهة مع الشعب الأيزيدي وأميره الشيخ حسن وأحتال عليه وتظاهر بحل الخلاف بالأساليب غير الحربية فدعاه إلى الموصل حتى حضر معه العشرات من فرسانه، وعند وصوله هناك قتله مع فرسانه وهم في ديوانه وعلى زاده ، وبعد هذه الفاجعة الكبيرة أستدعى أعدادا" كبيرة من الأيزيديين بزيارة أميرهم وعند قبول الأيزيدية دعوته النتنة أستعمل أسلوبه الخاص وهو قتل جميع هؤلاء المدعوين بعدما رفضوا الرضوخ تحت لواء أجندته ، وكان هذا الحدث في التوبة (نبي يونس الحالي) وبعدها هاجم بدر الدين لؤلؤ القرى الأيزيدية ودمرها بأكملها .

٢- فرمان بدر الدين لؤلؤ (سنة ٦٥٢ هجرية / ١٢٥٤م) :
جرت بين أصحاب الشيخ عدي بن مسافر (ع) وأصحاب بدر الدين لؤلؤ والي الموصل، محاربة، كان سببها إن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عدي ويكلفهم مالا"[١٣٦] فجهز بدر الدين لؤلؤ جيشا" من أهالي الموصل وقسم من الأكراد الموالين له وتقدم نحو الأيزيديين في الشيخان والتقى جيشه مع الأيزيديين البسطاء ((الذين لا حول ولا قوة لهم إلا بالله)) بالقرب من باعذرة ودارت معركة شديدة أدت إلى غلبة جيش بدر الدين فقتل الكثير من الأيزيدية وأسر الكثير منهم. إن بدر الدين أقدم على سلب مجموعة من الأسرى بعد نقلهم إلى الموصل وألقى القبض على أميرهم ومثل به أمام الناس (حيث قطع أعضاء جسم الأمير وثم قام بتعليقها على أبواب

---

[١٣٥] (جريدة وموقع صوت الشعب الأيزيدي الالكتروني).

[١٣٦] (عبد الرزاق الحسني / اليزيدون في حاضرهم وماضيهم / الطبعة الخامسة).

الموصل) ثم سارت جيوش لؤلؤ تجاه القرى الأيزيدية واحتلتها و حرقتها ودمرتها فضلا" عن قيامهم بسبي النساء والأطفال والأستيلاء على الغنائم ثم أرسل الوالي قوة من جيشه إلى لالش (المعبد الديني الرئيس للشعب الأيزيدي) و أوقع فيها خرابا" كبيرا" وقضوا على الكثير من المعالم الدينية والأثرية والحضارية فيها فضلا عن نبش قبر الشيخ عدي بن مسافر (ع).

٣- فرمان جلال الدين محمد بن عز الدين يوسف الحلواني (سنة ٨١٧ هجرية/ ١٤١٤ م) :

[١٣٧] قام جلال الدين محمد بن عز الدين يوسف الحلواني من المذهب الشافعي، من فقهاء إيران، إلى حرب اليزيدية واستجاب له الأمير عز الدين النبي صاحب الجزيرة أبن عمر، والأمير توكل الكوردي صاحب شرانس، وجمعوا عليهم كثيرا" من الأكراد السنديين، وأيضا أرسل حاكم حصن كيفا بعسكر وألتحق بهم الأمير شمس الدين محمد الجرقلي، وساروا في جمع كبير جدا" إلى جبل هكاري فقتلوا جماعات كثيرة من أتباع الشيخ عدي (ع) ودمروا مرقده وأحرقوه وأوقعوا خرابا" بلالش.

٤- فرمان حسن بن زين أمير بهدينان (سنة ٩٠٦ هجرية /١٥٠٠ م) :

قاد هذا الفرمان في عهد أمير الأيزيدية حسين بك وكان هدف الفرمان هو انتزاع دهوك من إمارة الداسن الأيزيدية وضمها إلى إمارة البهدينان ولاشك بان أي عمل مسلح كان يرافقه سيل من الدماء الزكية الأيزيدية وفي هذه الأجواء فقد جرت مجازر بحق الشعب الأيزيدي كون انتزاع إمارة أيزيدية بأكملها من الأيزيديين كان من البديهي أن يظهر أمامه دفاع أيزيدي قوي وقف سدا" منيعا" أمام أطماع المعتدين .

٥- فرمان ١٥٠٤ - ١٥٠٩ م :

خلال هذه الفترة تمكنت الدولة الصفوية وبأشراف إسماعيل الصفوي مباشرة من إخضاع مناطق الأيزيديين تحت لوائه وبذلك حصلت

---

[١٣٧] (عبد الرزاق الحسني / اليزيدون في حاضرهم وماضيهم / الطبعة الخامسة).

مجازر وويلات بحق الشعب الأيزيدي بسبب دفاع الأخير عن أرضه الرافدينية .

٦- فرمان السلطان سليمان خان القانوني (حوالي سنة ١٥٠٦م) :

أستدعى أمير الأيزيدية حسين بك إلى الأستانة (أستنبول) وجردته الدولة العثمانية مما أنيط إليه من لقب الباشا وقيادة الإمارات الأيزيدية الثلاث (إمارة أربيل - إمارة سوران - إمارة الشيخان) من قبل السلطان سليمان القانوني و حكم عليه بالموت واغتيل في استانبول ووجهوا قوات عثمانية أخرى إلى المناطق الأيزيدية لغرض السطو والتنكيل بأهاليها . هذا هو ثمن الوفاء والنضال الأيزيدي لصالح الدولة العثمانية وقد نست هذه الدولة المشاركات الأيزيدية معها في التصدي للاعتداءات الإقليمية التي كانت تطمع بالاستيلاء على وادي الرافدين وخصوصا" الدورالأيزيدي الكبير والذي من خلاله استردت بغداد من الصفويين ومع الأسف فقد خيبت الدولة العثمانية آمال وتطلعات الأيزيدية، وفي هذا الصدد فان الدولة العثمانية كانت في حيرة من أمرها لكون زعماء الأكراد كانوا يعملون وبكل طاقاتهم من أجل أن تتنصل الدولة العثمانية عن دفاعها و وعودها مع الأيزيديين والتركيز فقط في علاقاتها مع الزعماء والأغوات الكرد ولهذه الأسباب وغيرها دفعوا بالعثمانيين إلى ارتكاب أبشع المجازر بحق الأيزيديين وخصوصا" قادتهم الكبار.

٧- فرمان عام ١٥١٦ م :

في هذه السنة دخلت القوات العثمانية الأراضي الأيزيدية بشمال وادي الرافدين بعد إنزال الهزيمة بالدولة الصفوية في معركة جالديران عام ١٥١٤ م، وبعد احتلال المناطق تم تصفية العديد من الأبطال ومن عامة الأيزيديين أيضا تمهيدا" لتمرير أجنداتها الخاصة ومن بينها الاستحواذ على العاملين الجغرافي والسكاني للشعب الأيزيدي بهدف ضمان مستقبل دولتهم بالتوسع على حساب الأراضي الرافدينية.

٨- فرمان مفتي الدولة العثمانية الرسمي أبو سعود العرادي سنة (١٥٧٠م) :

صدرت فتوى بحق الأيزيدية أصدرها مفتي الدولة العثمانية الرسمي أبو سعود العرادي أباح فيها قتل الأيزيدية علنا" وبيعهم بالأسواق

شرعا"، وتعد هذه الفتوى بداية مسيئة وظالمة بحق الشعب الأيزيدي على إثرها توالت الحملات الدموية وباستمرار وألحقت دمارا" شاملا" فقد من خلاله الشعب الأيزيدي معظم أراضيه وسكانه ومعالمه الحضارية والتراثية والفكرية، وبحق كانت هذه الفتوى بمثابة أم الفرمانات لكونها مهدت وفتحت الطريق لمحاربة الشعب الأيزيدي وبدوافع كيدية وتهم باطلة لا أساس لها من الصحة .

٩- فرمان علي باشا جا نيولاد سنة (١٦٠٧م) :

قاد علي باشا جانيولاد هذه الحملة على شعب سنجار والأخير أنزل به هزيمة قاسية ، حيث قتل من قواته (سبعة آلاف جندي)، وبعد سيطرة الصفويين على بغداد ، قام الصفويون الفرس بحملات إبادة على الأيزيدية بسبب موقفهم الموالي للعثمانيين فقامت العديد من الفرمانات وساعدهم في كل حملة إبادة أمير أردلان خان أحمد خان الكرد حليف الشاه عباس الصفوي .

١٠- فرمان صفوي بقيادة أمير اردلان خان احمد خان (١٦٢٦م) :

في هذا الفرمان تكبد الأيزيديون خسائركبيرة في الأرواح والممتلكات وقد كانت الحملة الهمجية شاملة على الشعب الأيزيدي وفي جميع مناطق سكناهم فكان **من** الصعب على الأيزيديين مقاومة هذا الاحتلال الكبير بعدته وجبروت جنوده .

١١- فرمان صفوي فارسي بقيادة قارجي قاي خان سنة (١٦٣٠م) :

في هذا الفرمان قتل عدد كبير من الأيزيديون وحصلت فيه أحداث بشعة من سبي النساء والأطفال وتدمير القرى والبساتين وأخذت القوات الغازية غنائم كثيرة تمثلت بالمحصولات الزراعية والتموينية والأموال فضلا" عن الحلي والفضة وأسر عدد كبير من الأيزيديين الأبرياء، وليست عندنا التفاصيل الكاملة حول هذه الحملة.

١٢- فرمان احمد باشا والي ديار بكر سنة (١٠٣٩هجرية-١٦٣٠م):

قاد هذا الفرمان والي ديار بكر العثماني ملك أحمد باشا وقتل ما يقارب العشرة آلاف رجل من عناصر الشعب الأيزيدي وأسر الكثير منهم وحصل على غنائم وفيرة ورجع إلى ديار بكر. يبدو ان غزو المناطق الأيزيدية بات من الأعمال المسلية لدى بعض النفوس، ما ذنب الإنسان الأيزيدي تجاه الغرائز التي كانت تتدفق في ذوات

السلاطين والتي دفعت شعورهم الأعرج للغضب تجاه الأيزيديين الأبرياء، يعني ما الذي دفع بهذا الوالي إلى ارتكاب هذه الخطيئة الكبرى، قتل الكثير والحصول على غنائم كثيرة وكبيرة وسبي الأطفال والنساء بهدف إشباع رغبات أسيادهم، وهل الأيزيديون لا يستحقون العيش في هذه الحياة ؟ الله يكون في عون الشعب الأيزيدي الذي عانى الويلات من دون وجه حق .

١٣- فرمان ١٠٥٨ هجرية - ١٦٤٨ م:

[١٣٨] في سنة ١٠٥٨ هجرية ، سافر إلى الأستانة رجل من اليزيدية من بعض قرى الموصل وأسمه ميرزا بيك ودخل إلى السراي (دار الحكومة) وتوصل إلى رجال الدولة وطلب له منصب الموصل وغيره فلم يتيسر له ذلك وخرج من الأستانة مغضبا"، فجمع والي مدينة وان شمسي باشا عليه العساكر وخرج من وان إلى قتال اليزيدي (ميرزا بيك) ومن معه وكانوا نازلين بمكان آمنين به وقد أطلقوا خيولهم ترعى فكبسهم شمسي باشا بمن معه وقتل أكثرهم وقبض على ميرزا بيك بعدما أظهر شجاعته وقتل كثيرا" من العسكر وقيدوه وحملوه إلى الأستانة وأخبروا السلطان إبراهيم به فأمر بقتله فقتلوه، وقيل كان قتله في أيام السلطان محمد الرابع بن إبراهيم في أول سلطنته .

ما كان يقصده الكاتب في الأسطر المذكورة آنفا" حول زيارة رجل من الأيزيدية إلى استانبول يعتبر بحق جريمة بحق الإنسانية، وهل القائد الأيزيدي الشجاع الذي هو أيزيدي ميرزا يعتبر رجلا" كسائر عامة البشر أم يتوجب إعطاؤه صفته الرئيسية وهو زعيم الأيزيديين وقائدهم وهو الذي حرر بغداد من قبضة الصفويين وأهداها للعيون السود العثمانية وفي الأخير تم اغتياله بدم بارد، القائد الأيزيدي أيزيدي ميرزا لم يطلب منصبا" من الأستانة بل الأستانة منحت له منصب والي الموصل تقديرا" لجهوده البطولية إزاء تحرير بغداد عام ١٦٣٨ م وخوفا" من الشعب الأيزيدي الذي كان يشكل القوة المعتبرة في المنطقة، أما التاريخ الذي أشار إليه الكاتب وهو

[١٣٨] (تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم - عباس العزاوي - ص ١١٤).

(١٠٥٨ هجرية - ١٦٤٧ م) فهو غير صحيح كون القائد الأيزيدي أيزيدي ميرزا باشا تولى ولاية الموصل للفترة (١٦٥٠ - ١٦٥١ ميلادية / ١٠٥٩-١٠٦٠ هـ) في زمن السلطان العثماني مراد الرابع.

١٤- فرمان والي وان شمسي باشا (سنة ١٦٥١م)، :

قام هذا الفرمان بعد إعدام أمير الأيزيديين أيزيدي ميرزا بقيادة والي وان شمسي باشا وقوات عثمانية أخرى من أياكة ديار بكر صوب الأيزيديين، حيث كانت هذه الحملة واسعة بعد مقتل قائدهم وقد منح هذا الفراغ الذي نشأ في المجتمع الأيزيدي الفرصة الثمينة للدولة العثمانية في تحديد وتوجيه ضرباتها الساحقة بحق الشعب الأيزيدي في مناطق سكناه وبهدف النيل منه وإفناؤه من الوجود.

١٥- فرمان والي ديار بكر مصطفى باشا فيراري (سنة ١٠٦٥ هجرية - ١٦٥٥ م) :

قاد الوالي (مصطفى باشا) العديد من الفرمانات العسكرية المدمرة والبشعة على الأيزيديين في خمسينات القرن السابع عشر وكانت بأمر من السلطان العثماني في استانبول، وكانت الأهداف التي تقف وراء كل هذه الفرمانات محدودة الاتجاهات والأجندات وكلها تصب في محو الوجود الأيزيدي من هذا الكون السحيق .

١٦- فرمان كابلان باشا (سنة ١٦٧٤ م) :

قام هذا القائد بحملة عسكرية لإخضاع الأيزيديين في سنجار ولكن الأخيرين أنزلوا هزيمة قاسية بالقوات العثمانية، في كثير من الحملات تغلب فيها الأبطال الأيزيديون وأنزلوا بالقوات الغازية الهزيمة القاسية، لكن تكرار الفرمانات على الأيزيديين وحصولها في فترات زمنية قصيرة في الوقت الذي لم يستطع الشعب الأيزيدي من لملمة صفوفه الدفاعية ما أنعكس سلبا" على الجبهات الدفاعية الأيزيدية في بعض الحملات .

١٧- فرمان حسن باشا (سنة ١١٢٧ هجرية - ١٧١٤ م) :[١٣٩]
قاد والي بغداد حسن باشا فرمانا" ضخما" على الأيزيديين في جبل سنجار للتنكيل بهم ولتثبيت الهيمنة عليهم ، غزاهم الملك المظفر والأسد الغضنفر بعساكر كالسيل وجحافل رجال وخيل وكاد أن يصرم أحتصانهم به حبلهم ، ابتدروه بالنزال وقابلوه بالحراب والنبال وقاتلوه بالأحزاب والأبطال، فاشتعلت بينهم نيران الحرب وكثر بين الفريقين الطعن والضرب، ففرت... من بين أيديهم وولت هربا" تاركين تليد أموالهم وطريف ذراريهم وكثر الهرج والقتل فيهم ، فمن نجا منهم بعياله وخيله ورجاله ذهب إلى قلعة صغيرة هناك يقال لها الخاتونية، وحوصر بناديها فقابلها الوزير من جميع جهاتها، فدخل القرية عنوة ومحقهم بسيف الانتقام، وأسر النساء والأطفال، وأغتنم الجند الأموال، وابتاعوا نساءهم، وامتطوا بناتهم وإماءهم وعاد الوزير منصورا" مؤيدا"، محبورا" مسددا".

سبحان الله، وهل هذه القوات قد غزت الحيوانات البرية الشرسة أم ماذا كانت تظن بالشعب الأيزيدي ؟ وخصوصا" فان سرد أحداث هذا الفرمان بهذا الأسلوب البشع غاية من السخرية ومن ينظر في ثنايا الأسطر يدرك مدى تفاؤل وإعجاب الشخص الذي كتب تلك الأحداث المروعة بحق الأيزيدية ، حيث ورد بأن الجيش الغازي قد " دخل القرية عنوة ومحقهم بسيف الانتقام، وأسر النساء والأطفال، وأغتنم الجند الأموال، وابتاعوا نساءهم، وامتطوا بناتهم وإماءهم "، وهل هذه الأعمال الغير الأخلاقية تستحق الثناء والإعجاب ؟ أين هي حقوق الأسير أو الأسيرة، ما هو ذنب النساء ، ما هو ذنب الأطفال في هذه المعارك الدموية، ألا تضمن القوانين والرسائل السماوية ضرورة الحفاظ على حقوق الإنسان وبالأخص الأسرى .

١٨- فرمان ثاني لوالي بغداد حسن باشا (سنة ١١٣١ هجرية - ١٧١٨ م) :
قام هذا الوالي بتدبير حملة كبيرة شعواء تجاه أيزيديي سنجار، كما وساند الوالي في هذه الحملة عدد من أغوات الكرد وقتل فيها العديد من

[١٣٩] (اليزيديون في حاضرهم وماضيهم / الطبعة الخامسة / عبد الرزاق الحسني / صفحة ١٦٣).

الأيزيديين مع ألحاق الضرر الجسيم بقوات العدو. ما هو شأن الأغوات في إسنادهم هذه المظالم تجاه الأيزيدية، أدركنا بأن السلاطين والولاة في استانبول وبغداد والموصل وحكوماتهم وجيوشهم كانت تغزو المناطق الأيزيدية لأسباب معروفة و واضحة للعيان، لكن، لماذا كان عدد من أغوات العشائر الكردية يشاركون في هذه المعارك الدموية بدلا" من أن يسهموا مع أخوانهم أفراد الشعب الأيزيدي بدرء تلك المخاطر عن المناطق التي كانت تحتضن الكردي والأيزيدي والعربي والتركماني والآشوري والشبكي وغيرهم ؟ وكان يتوجب على الجميع الدفاع عن بيئتهم الموحدة ، بهذه الأحوال الهمجية كيف سيتمكن الشعب الأيزيدي من الحفاظ على كيانه وأمامه هذا الغول الكبير المتمثل بالجيوش والاعتدة والأجندة الظالمة من قبل بعض الأطراف ؟

١٩- فرمان والي بغداد أحمد باشا (١١٤٦ هجرية - ١٧٢٣ م) :

قام هذا الفرمان ضد الأيزيديين في منطقة الشيخان، حيث أرسل عساكر كبيرة على القرى الأيزيدية في منطقة الشيخان وأطراف الزاب الكبير، كانت أجندة العساكر المحتلة معروفة في تعاملها مع الشعب الأيزيدي حيث استخدمت أعمال القتل و السلب والنهب وهدم القرى والبساتين وسبي النساء والأطفال والتمثيل بجثثهم ونقل رؤوس الشهداء الأيزيديين إلى بغداد، حيث إن القادة والولاة في المدن الرئيسة لم يشبعوا من سماعهم خبر الانتصار على الأيزيديين بل كان هدفهم فيما بعد مشاهدة رؤوس الأيزيديين الذين استشهدوا في الدفاع عن أرضهم ووطنهم وشرفهم بأعينهم لا عن سماعهم الخبر من بعيد.

٢٠- فرمان حسن باشا الجليلي والي الموصل (سنة ١٧٢٣ م) :

قام هذا الفرمان على الأيزيديين في الشيخان بعد فرمان أحمد باشا وفي نفس السنة قاموا بقتل ونهب وسلب ما تبقى من بعد فرمان أحمد باشا ثم عادوا إلى الموصل، يعني فرمان يلي فرمان ونحن نحس من خلال هذه الأسطر بان عمل وواجبات هذه القوات هي محاربة الأيزيدية دون غيرها، لم نر أية واجبات ومنجزات أخرى أنيطت لهذه القوات وكل ما رأيناه هو قيام القوات بالغزو على المناطق الأيزيدية، وهل تم تأسيس وتجهيز تلك القوات خصيصا" لمهاجمة الأيزيديين الأبرياء ؟ بالفعل كان

مجمل أعمال تلك القوات هو النزول في المعارك بهدف القضاء على الشعب الأيزيدي و جغرافيته ومعالمه الحضارية والتراثية .

٢١- فرمان ١١٤٦ هجرية - ١٧٣٣ م) :

[١٤٠] "أرسل والي بغداد أحمد باشا العساكر فنهبوا قرى اليزيدية على الزاب فتبعهم حسين باشا وأخذوا ما نهبوا وعاد".

نسمع عبارات، نهب وسلب وسبي وحرق ومن ثم عادوا إلى أوطانهم منتصرين، يا للسخرية، مع من حاربتم وانتصرتم ثم رجعتم إلى قواعدكم سالمين وآمنين ؟ هل كان وجود الأيزيدي في وطن آبائه وأجداده يقلق السلطات الحاكمة ؟ الأيزيدي كان مضطهدا" وكان يجاهد ويكد كل أوقاته سبيلا" للعيش بكرامة ولم يكن يحمل أي سوء أو أجندة غير إنسانية تجاه عامة البلاد والعباد، يعني قوات تتحرك من بغداد وتقطع مسافات بعيدة تصل لمئات من الكيلومترات لأجل هدف واحد هو محاربة الأيزيدية والحصول على الغنائم والنساء والأطفال.

٢٢- فرمان فارسي بقيادة الافشاري نادر شاه الصفوي (سنة ١١٥٦ هجرية - ١٧٤٣ م) :

أجتاح هذا القائد منطقة الشيخان في عهد الشاه الصفوي طهماس باشا، فدمر جميع المناطق الأيزيدية في الزاب الكبير وبعشيقة وأسر قادتهم. يا للعجب! تتوالى الفرمانات وتتبادل ما بين القوات العثمانية تارة والقوات الصفوية تارة أخرى وتحمل نفس الأجندات الدموية التي كانت تضرب الشعب الأيزيدي في مناطق سكناه، التاريخ ذكر بأن قادة الشعب الأيزيدي قد شاركوا مع القوات العثمانية لضرب القوات الصفوية ولكن يجب أن نعرف بأن هذا الولاء الأيزيدي للعثمانيين لم يكن بدافع الضمير والإحساس والمبدأ بل كان ذلك بفعل واقع جبروتي مفروض على الأيزيديين، لهذا يجب أن لا نمزج بين الولاء المحكوم عليه بأساليب قسرية و الولاء النابع من المبدأ، وبالمحصلة النهائية فقد أصبح الشعب الأيزيدي ضحية نيران العثمانيين والصفويين .

---

[١٤٠] (تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم - عباس العزاوي - ص ١١٨).

٢٣- فرمان والي بغداد سليمان باشا أبي ليلى (سنة ١١٦٦ هجرية - ١٧٥٢ م) :

[١٤١] "في هذه السنة غزا والي بغداد سليمان باشا جبل سنجار وحاصرهم واستولى على بعض قراهم ثم نزلوا يطلبون منه الأمان وأقاموا هناك فأمر العساكر فحملوا عليهم من كل مكان وقتلوهم عن آخرهم، وكانوا أكثر من ألف رجل ومعهم بعض النساء وقتل من العساكر نحو مائتين "، حيث قام هذا الفرمان على الأيزيديين في جبل سنجار بقوات عسكرية ضخمة جاءت مساندة مع أمراء الأكراد وعدد من عشائر العرب إلى جانب الجيش، في هذا الفرمان نزل قسم من الأيزيديين وطلبوا من الجيش وقائده الأمان، فأقامهم في واد هناك وأمر العساكر فهجموا عليهم بالنار من كل مكان وقتل جميعهم وكانوا أكثر من ألف رجل ومعظمهم من كبار السن ومعهم عدد كبير من النساء والأطفال.

٢٤- فرمان والي الموصل محمد أمين باشا الجليلي (سنة ١٧٦٦ م):

قام هذا الوالي بغارة خاطفة على الأيزيديين في سنجار وقتل الكثير منهم. أدركنا بان الجيوش التي كانت تعود إلى تلك السلطات الحاكمة كان هدفها الأول والأخير هو استهداف الشعب الأيزيدي، وفي كثير من الفرمانات كانت تلك الجيوش مع سلطاتهم الحاكمة تحاول إبراز حجج حتى تتمكن من مهاجمة الأيزيديين على أقل تقدير مع أن تلك الجهات لم تكن تعترف لا بالحجج ولا بالوقائع إزاء الشعب الأيزيدي ومن جرائها كان يقع القتل والتشريد والنهب والسلب والسبي بحق الأيزيديين ودون رحمة .

٢٥- فرمان والي الموصل محمد أمين باشا الجليلي (سنة ١٧٦٧ م):

[١٤٢] وفيها جهز والي الموصل أمين باشا ولده سليمان باشا على العساكر وأرسله إلى قتال أهل سنجار فسار إليهم وحاصرهم فأرسلوا يطلبون الأمان وبعثوا النساء وبعض الرجال فأمنهم على أنفسهم وشرط عليهم أن يعطوه ألفي رأس من الغنم وثلاثة رؤوس من الخيل

---

[١٤١] (تاريخ اليزيدية واصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١١٨).

[١٤٢] (تاريخ اليزيدية واصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١١٨).

فقبلوا الشرط وعادوا إلى الجبل وأرسلوا نحو ثمانمائة رأس من الغنم والخيل المذكورة وعصوا على الباقي فحاربهم سليمان باشا ساعة وقتل منهم سبعة أنفس وقبض على أميرهم وخمسة رجال منهم وقتل من العسكر أربعة أنفس وعاد إلى الموصل .

٢٦- فرمان ١١٨٤ هجرية - ١٧٧٠ م :[١٤٣]

في هذه السنة جمع بيرم بيك من أهل الجبال العساكر وتابعه أمير شيخان بداغ بك وعزم على قتال إسماعيل باشا، ثم خارت عساكره وتفرقوا وهرب بيرم بيك إلى الجبال ومات هناك وأستقل بملك الجبال والعمادية إسماعيل باشا وقبض على أمير الشيخان بداغ بيك وأخذ منه أموال"ا كثيرة وأمره على الشيخان.

٢٧- فرمان والي الموصل سليمان باشا الجليلي (سنة ١٧٧٣ م) :[١٤٤]

سار بالعساكر والي الموصل سليمان باشا ونزل جبل سنجار وقبض على ثلاثة منهم فقتلهم ثم سبى ثلاثة غلمان منهم ونهب أغنامهم وعاد إلى الموصل .

٢٨- ١٧٧٨ م : [١٤٥]

في هذه السنة جهز والي الموصل سليمان باشا الجليلي العساكر وأرسلهم مع أخيه محمد باشا فسار بهم ونزل على جبل سنجار أواخر رمضان فأكلوا زرعهم وقبض منهم على خمسة رجال وعاد إلى الموصل.

٢٩- الفرمان الثاني لسليمان باشا الجليلي (سنة ١٧٧٩ م) :

قام هذا الفرمان على الأيزيديين في سنجار بقيادة محمد باشا الجليلي وهو أخ الوالي سليمان باشا الجليلي وقاموا بهجوم واسع على جميع مناطق سنجار وخلف من جرائه العديد من القتلى والأسرى وسبي النساء والأطفال وتدمير القرى والبساتين.

---

[١٤٣] (تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم - عباس العزاوي - صفحة ١١٩)

[١٤٤] (نفس المصدر السابق).

[١٤٥] (نفس المصدر السابق).

٣٠- فرمان ١٢٠٠ هجري - ١٧٨٥ م :
[١٤٦] في هذه السنة خرج والي الموصل الحاج عبد الباقي باشا الجليلي بالعساكر وعبر الجسر ومعه خلائق من أهل الموصل وتوجه إلى محاربة الدنادية[١٤٧] وأسم مقدمهم نمر بن شيخو[١٤٨] فهربوا إلى الجبل وتركوا بيوتهم خالية فطمعت العساكر بالنهب، ورجعوا متفرقين ووقف الوالي ومعه أخوه عبد الرحمن أغا وشرذمة قليلة من أتباعه فخرج نمر عليهم ومعه خمسة فوارس وقيل ثلاثة وباقي أتباعه متفرقين في الأودية وهربت عساكر الموصل وتفرق كل منهم يطلب النجاة كأن الموت خلفه وهجم نمر ومن معه على الوالي وأخيه فلم يتحرك ولا جرد سيفا" مع ما عنده من الشجاعة وذلك بأمر يريده الله فقتلوه وقتلوا أخاه عبد الرحمن أغا وابن عمه صالح محمود وسلبوهم ثيابهم وهرب أتباعه وكثرت اليزيدية وأكثرهم من أهل قرى الموصل، وألقى الله الرعب في قلوب أهل الموصل حتى كانوا كما قيل :
تفرق الكل حتى ان هاربهم   إذا رأى غير شيء ظنه رجلا"

٣١- فرمان والي الموصل عبد الباقي باشا الجليلي (سنة١٧٨٦ م):[١٤٩]
في هذه السنة وقع بين والي العمادية إسماعيل باشا وبين أخوته طيفور بيك ولطف الله بيك وحاجي بيك وحسن بيك مخاصمة وطردهم من العمادية فساروا إلى زاخو وأجتمع عليهم خلق كثير من الأكراد واليزيدية فملكو مدينة زاخو فأرسل إسماعيل باشا أخاه الآخر علي خان بيك بالعساكر ومعه عسكر الجزيرة فهرب لطف الله بيك إلى جبال الأكراد الزيبارية وقبضوا على طيفور بيك وحاجي بيك

---

[١٤٦] (تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم - عباس العزاوي - صفحة ١٢٠).

[١٤٧] (قبيلة أيزيدية - الكاتب).

[١٤٨] (نمر سمو - الكاتب).

[١٤٩] (تاريخ اليزيدية وأصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢١).

وأرسلوهم إلى العمادية وسار علي خان بيك وقاتل اليزيدية فقتل منهم جماعة وهرب أميرهم جولو بيك إلى الجبال .

٣٢- فرمان ١٢٠٤ هجري - ١٧٨٩ م :

[١٥٠] في هذه السنة التقت فرقة من طي وأميرها محمد بن حسن مع فرقة من أمراء الشيخان اليزيدية في بعض قرى الموصل ووقع بينهم القتال وقتل من أمراء اليزيدية أحد عشر أميرا" وهرب من سلم وملكت طي خيولهم وأسلابهم ولم يقتل أحد من طي فركب أمير الشيخان جولو بك بن بداغ بيك بعساكره ولحق طيا" فلم يظفر بهم وجعل يرصدهم وكل من وجدوه قتلوه .

٣٣- فرمان عام (١٧٩٠ م) :

قامت حملة عسكرية عثمانية بقيادة أيوب بك على أيزيديي سنجار وذلك بهدف تطبيق الشريعة الإسلامية على سكانها وشن حملات مجحفة بحق الأيزيديين هناك .

[١٥١] كما نزل أمير العمادية إسماعيل باشا من قلعة العمادية وطاف في مملكته وتوجه إلى بعض قرى الشيخان وأستدعى أمير الشيخان جولو بيك بعد أن نزل في قصر نمر آغا فقدم باثني عشر رجلا" من أبناء عمه، فلما دخل عليه في القصر ضربوه بالرصاص وقتلوه وأخاه وهرب من سلم ونصب أميرا" على الشيخان رجلا" منهم اسمه خنجر بيك وعاد إلى العمادية .

٣٤- فرمان (١٢٠٦ هجري - ١٧٩١م) :

في هذه السنة حصلت عدة حملات بحق الشعب الأيزيدي ومنها :

- أغار أمير طي فارس بن محمد على أهل جبل سنجار ونهب بعض الأغنام وقتل منهم جماعة.
- أغارت فرقة من الموسان على أربع قرى من نصيبين ونهبوا الأموال وقتلوا الرجال وايتموا الأطفال.

---

[١٥٠] (تاريخ اليزيدية واصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢١).

[١٥١] (تاريخ اليزيدية واصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢٢).

- غضب والي العمادية إسماعيل باشا على أمير الشيخان خنجر بيك وسجنه وصادره حتى أخذ منه عشرة آلاف قرش وعزله وأقام مقامه حسن بيك بن جولو بيك.

٣٥- فرمان والي الموصل محمد باشا الجليلي (سنة ١٧٩٢ م) :[١٥٢]

سار بالعساكر من الموصل واليها محمد باشا الجليلي يوم الخميس أول من رمضان وهو آخر يوم من آذار ونزل على أهل جبل سنجار من جهة القبلة وملك منهم ثمانية قرى وأحرقها بعدما نهبها وحصد زروعها وكانت أكثر من عشرين ألف تغار وقتل منهم أثنين وأسر أربعة عشرة امرأة ثم أطلقهن وعاد إلى الموصل يوم الأحد ثاني شوال، ولما بلغ يوضة ماردين عيسى أغا قتال محمد باشا مع أهل القبلة سار هو بعساكره من الملية ونزل على جهة الشمال من جبل سنجار فقاتله أهل الجبل وقتل من عساكره أربع عشر نفرا" وانكسرت العساكر وهلكت لليزيدية ثلاثة خيام منهم .

٣٦- فرمان والي الموصل محمد باشا الجليلي (سنة ١٧٩٣م) :[١٥٣]

في هذه السنة وفي أواخر رمضان سار من الموصل محمد باشا بالعساكر ونزل على مهركان من أهل جبل سنجار وحاصره، فخرج منهم على غفلة من العسكر نفر وضربوا بالرصاص فانكسرت أربع فرق من الينكجرية وزعماء الموصل وثبتت فرقة منهم مع الوالي وخرجوا سالمين وقتل واحد منهم ومن تلك الفرق سبعة أنفس وثبت محمد باشا ومعه نفر يسير وعادوا سالمين، وفي هذه الواقعة أغتنم اليزيدية مدافعهم .

٣٧- فرمان آخر للوالي الموصلي محمد باشا الجليلي سنة (١٧٩٤ م) :[١٥٤]

أراد الانتقام من الأيزيدية في سنجار في هذا الفرمان بسبب فشله في الفرمانات السابقة ، فبعث بحملة تمكن العساكر فيها في قتل أهل سنجار وحملوا رؤوسهم إلى الموصل، حيث بعث والي الموصل محمد باشا

---

[١٥٢] (تاريخ اليزيدية وأصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢٤).

[١٥٣] (نفس المصدر السابق).

[١٥٤] (تاريخ اليزيدية وأصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢٦).

عسكرا" لمحافظة الموصل فظفروا بفرقة من أهل سنجار فقتلوا منهم ثلاثة عشر وسلم منهم اثنان وهربا وحمل الرؤوس إلى الموصل فبعثها الوالي إلى بغداد.

٣٨- فرمان ثاني لوالي بغداد سليمان باشا الكبير (سنة ١٧٩٤م) :[١٥٥]

لم يكن حكام الموصل وحدهم يشنون الحملات ضد اليزيديين خلال هذه الفترة بل كان يشاركهم فيها أيضا حكام بغداد حيث أرسل والي بغداد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) حملتين على يزيديي سنجار ففي سنة (١٧٩٤م) أرسل والي بغداد سليمان باشا العساكر مع عبد الله بيك الخربندة وأستدعى عبد الرحمن باشا والي قره جولان وأرسلهم إلى قتال الحاج سليمان بيك الشاوي فهرب... فعادت العساكر وتوجهوا إلى جهة الموصل ونزلوا عند تلعفر ثم ساروا إلى جبل سنجار وأغاروا على ناحية منه .

٣٩- فرمان (١٢١٤ هجري - ١٧٩٩ م) :[١٥٦]

في هذه السنة قدم من بغداد عبد العزيز بيك ابن عبد الله بيك الشاوي بالعساكر ومعه عرب العبيد وألبو حمدان وطي فنزلوا خارج الموصل وتجهز بالعساكر بكر أفندي كتخدا محمد باشا وتوجهوا مع العساكر غربي الموصل ولما دخل الليل رجعوا وخرجوا من باب الجسر وساروا إلى قرى الشيخان فوصلوها صباحا" وهرب أمير الشيخان حسن بيك بأهله وصعد إلى الجبل ونهبت نحو خمس عشرة قرية وسبوا النساء والأطفال وجميع مالهم من الأموال والغلال والقرى كلها لأهل الموصل وقتل من الشيخان خمسة وأربعون رجلا" وحملوا رؤوسهم إلى بغداد، وبعد ذلك وبناء على وقوع المنازعة على إمارة العمادية والتزام أمير الشيخان قسما" منهم هرب أمير الشيخان حسن بيك، ثم أنه عصى أمير الشيخان في نواحي الجزيرة فأرسل قباد بيك عسكرا" عليه مع أخيه بهاء الدين بيك فأنكسر وهرب أخوه وقتل منهم جماعة ، فأرسل قباد بيك عسكرا" فنهب قريتين من قرى العقر وأرسل قباد بيك إلى الموصل يستمد عسكرا" فبعث له الوالي محمد باشا جيشا" فأجتمع بعسكر قباد بيك

---

[١٥٥] (تاريخ اليزيدية وأصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢٥).

[١٥٦] (اليزيدية وأصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢٦).

ونزلوا نواحي زاخو فاجتمعت قبيلة السيفانية وكبسها عسكر قباد بيك فهرب ونهبوا من عساكر الموصل دوابا وأسلحة وثيابا" وهرب من سلم وقتل منهم رجل واحد، ثم اجتمعت السيفانية والموسسان وقاتلوا الدنادية فقتلوا منهم ثمانية وهربت الدنادية وغنم الموسسان، ثم رجع الدنادية وقتلوا من السيفانية مائة نفس ومن الفارية سبعة ومن الموسسان عشرة وهرب من سلم إلى قباد بيك وأخبروه بما وقع لهم فطردهم .

٤٠- فرمان الوالي محمد باشا الجليلي (سنة ١٨٠٠ م) :

قام هذا الفرمان على الأيزيديين في سنجار وكان مرض الطاعون منتشرا" في ذلك الوقت في الموصل،عاد الوالي من حملته متدهورا" بعد أن دمر قرى الأيزيديين بأكملها. يبدو ان الغاية في كثير من الفرمانات لم تكن فقط قتل الأيزيدية وأسرهم بل كان الهدف أعمق من هذا، استعملت القوات الغازية أهداف أخرى كتدمير القرى والبساتين، حيث ان هذا الأسلوب كان يشبع رغبة القوات الغازية الهوجاء وهي تعرف بان تدمير القرى ومسحها عن الأرض كان يزيد عبئا إضافيا" على الكائن الأيزيدي الذي حالفه الحظ بالفرار وكان عليه ترميم أو بناء بيته من جديد سواء كان في قريته الأصلية أم في منطقة نائية أخرى ، وبهذه الأجندة التدميرية عاش الأيزيديون كثيرا" في الصحاري والأودية والمغارات وكان يتطلب وقتا" كبيرا" حتى يتمكن الفرد الأيزيدي من بناء داره الذي لا يمر عليه وقت قصير لتأتي حملة دموية أخرى ترجعه إلى المربع الأول وهو الخراب والهلاك وهكذا عاش الفرد الأيزيدي طوال حياته مغمورا" تحت الحيف والظلم والهلاك.

٤١- فرمان محمد الجليلي والي الموصل (سنة ١٨٠١ م) :

قام هذا الفرمان على الأيزيديين في جبل سنجار وتم تدمير قسم كبير من قراهم فضلا" عن ممارسة أساليب السلب والنهب والخطف، وما فعله هذا القائد في الفرمان السابق من ممارسات عدوانية قد كرره مرة أخرى مع إضافة أجندات دموية أخرى لم تكن موجودة في الأولى بحق الأيزيديين الأبرياء.

٤٢- فرمان والي بغداد علي باشا (سنة ١٨٠٢ م) :
[١٥٧] ساند هذا الفرمان على اليزيديين في جبل سنجار والي الموصل محمد باشا الجليلي بجيوش باشوية الموصل التي قادها والي بغداد علي باشا، ثم أجتمع والي الموصل محمد جليل باشا مع والي بغداد علي باشا، وساندته عشائر بلباص الكوردية من أربيل وبابانين الذين رجوا بذلك ووقفوا في حملة وكذلك عشيرة العبيد والجربة وغيرها وبعد التكاتف توجهت الحملة المباشرة صوب جبل سنجار وحاصرت الجهة الشمالية منه بينما حاصر العرب الجهة الجنوبية فأدت أساليب الحصار والضغط المتوالي حسب بعض المؤرخين إلى سحب اليزيديين من كهوفهم واضطرارهم إلى الاستسلام بشروط قاسية، فقاموا بعد ذلك بحرق مساكن اليزيدية وقراهم وقطعوا أشجارهم ودمروا بساتينهم وأتلفوا مزارعهم وقتل منهم خلق لا يحصى عددهم ونهبت أموالهم، نزل علي باشا في الخيام خارج الموصل ثم توجه إلى جبل سنجار وحاصر منه جهته الشمالية وأمر العرب بمحاصرة قبلته ثم قدم إلى الوزير علي باشا الحاج بير رجب ومعه ستمائة مقاتل حسبة الله من قبيلة الأكراد الزيبار وجرت لهم وقعات عديدة .

٤٣- فرمان الوالي علي باشا (سنة ١٨٠٣ م) :
شدد الحصار على جبل سنجار ودام القتال أياما" وأمر بقطع أشجارهم وهدم قراهم ونهب أموالهم وكشف خباياهم ونزلوا وأطاعوا وشرط عليهم أن يحرثوا ويعمروا قراهم أسفل الجبل فقبلوا ما أمرهم به ثم نصب عليهم أحد أمرائه .

٤٤- فرمان قباد بك أمير بهدينان مع والي الموصل محمد باشا الجليلي (سنة١٨٠٥ م) :
أضطر قباد بك أمير بهدينان أن يطلب المساعدة لأول مرة في تاريخ الإمارة من والي الموصل محمد باشا الجليلي بعد فشل حملته على الأيزيديين في الشيخان فبعث له محمد باشا الجليلي جيشا فأجتمع عسكر قباد بك ونزل الجيشان معا" في نواحي زاخو إلا ان القوات الأيزيدية دحرت القوات المعادية.

---

[١٥٧] (تاريخ اليزيدية وأصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢٧).

٤٥- فرمان الوالي نعمان باشا الجليلي (سنة ١٨٠٧ م) :
بعد ان أمن والي الموصل جانب إمارة بهدينان لصالحه ضد إمارة الشيخان تفرغ حكم الجليليين لتوجيه الحملات ضد الأيزيديين بمساندة أمير بهدينان الكردي ، ففي سنة ١٨٠٧ م توجه والي الموصل نعمان باشا الجليلي بجيوش الخيالة لإخضاع الأيزيديين في إمارة الشيخان نهائيا" ووقعت الحرب بين الطرفين وبذلك أوقعت قوات الوالي الجليلي مذبحة بشعة بحق أيزيديي الشيخان.

٤٦- فرمان (١٨٠٨ م) :[١٥٨]
"غزا سليمان القتيل ديار بكر بجيش عظيم لتأديب الظفير وقبيلة من عنزة كبيرهم الدريعي .. وكان خروجه من بغداد فلما جاوز الموصل شن الغارة على أهل سنجار فصبح القرية المعروفة بالبلد وغنم وقتل وسبى وتحصن من بقي من أهلها بثنية من ثنايا سنجار". قام هذا الفرمان على الأيزيديين في سنجار وشارك في هذه الحملة والي الموصل أحمد باشا، أنحاز آل فارس الجربا شيخ مشايخ الشمر لهذا الوالي ضد الأيزيديين، فاقنع الوالي المذكور سليمان باشا الصغير بقيادة حملة عسكرية على الأيزيديين في سنجار، فخرج من بغداد على رأس قوة كبيرة (سنة ١٢٢٤ هجرية/ ١٨٠٩ م) لإخضاعهم وتحقيق مبتغاه، كما كانت هنالك مساندة من قبل أهل الموصل من الجربة بالإضافة إلى قوات محمد بك (أمير الكور) (مير كور) وقد شاركت أيضا في هذه الحملة قوات كثيرة مختلفة مثل قوات كويسنجق وأربيل وكركوك وتكريت، وزعماؤها وعشائر عديدة مثل قبائل البو حمدان والبو سليمان والطي والعبيد والبو حمد وشمر الجربا وغيرهم وصفها المؤرخون بأنها (عساكر تسد الفضاء) وقوات منظمة من بغداد مكونة من (٤٠) ألف جندي فأمر بالتوجه صوب سنجار، فقاموا بسلب ونهب القرى والمساكن وقتل الأيزيديين، وقطعوا الأشجار وخربوا ديارهم، إلا ان الحملة لم تحقق هدفها ففشلت في ذلك .

[١٥٨] (تاريخ اليزيدية وأصل معتقداتهم / عباس العزاوي / صفحة ١٢٩).

٤٧- فرمان أحمد باشا الجليلي (سنة ١٨١٩ م) :
قام هذا الفرمان على الأيزيديين في جبل سنجار وأحدث بديارهم الخراب والدمار وقاموا بأعمال السلب والنهب والحصول على الغنائم المادية، ولا حاجة إلى تكرار المساوئ التي لحقت بالأيزيدية لكون المظالم المرتكبة بحقهم هي متشابهة في كل واقعة مع اختلاف زمانها ومكانها فقط .

٤٨- فرمان داود باشا والي بغداد (سنة ١٨٢٦ م) :
قام هذا الفرمان على الأيزيديين في سنجار بسبب إيوائهم قاسم بك الشاوي الثائر على والي بغداد . الأيزيدي معروف بكرمه وتقاليده الاجتماعية المرموقة، حيث يعتبر الدخيل من الواجبات الإنسانية والاجتماعية المفروض على الفرد الأيزيدي القيام بها، ولهذا فقد تعرض الشعب الأيزيدي إلى حملة عسكرية وحصل قتل وأسر وهتك للأعراض نتيجة إيوائهم دخيلا" وهذا يعكس مدى تعلق وإيمان العقيدة الاجتماعية الأيزيدية بمبادئها وأهدافها النبيلة تجاه عامة البشر .

٤٩- فرمان أمير راوندوز محمد باشا المعروف بميركوه (١٨٣١ م):[١٥٩]
"يتناقل الموصليون حادثة تاريخية خطيرة وقعت ليزيدية الشيخان في حدود سنة (١٢٤٧ هجرية - ١٨٣١ م) وذكرها أيضا هنري لايارد خلاصتها أنه قد كانت هنالك عداوة قديمة بين أمير اليزيدية علي بك وبين رئيس قبيلة الألقوشيين علي أغا البالطي ، وكان الأمير يتربص الدوائر بغريمه للفتك به فدعاه ذات يوم إلى داره في قرية باعذرة بحجة أنه يريد أن يختن ولده في حجره ليتخذ منه كريفا" في حياته والظاهر ان الرئيس البالطي كان غبيا" أو انه كان حسن الظن حتى بخصومه بحيث انطلت عليه الحيلة فلبى هذه الدعوة وبصحبته خمسة من رجال حاشيته دون أن يفكر في العواقب، فما كاد المقام يستقر به في دار الأمير اليزيدي حتى فاجأته جماعة الأمير وفي أيديهم سيوفهم البتارة فقتلوه وثلاثة من أصحابه وهم في ضيافة الأمير وأستطاع الشخصان الباقيان ان يفلتا من الغدر بأعجوبة ، عز على قبيلة أغا البالطي أن يقتل رئيسها

[١٥٩] (اليزيديون في حاضرهم وماضيهم - عبد الرزاق الحسني - الطبعة الخامسة / صفحة ١٦٤- ١٦٥).

على هذه الصورة المفجعة وبغدر لا تسوغه سنن القبائل ففكرت في الثأر ولكن أنى لها ذلك وقد كان العدو أقوى عدة وعددا"، وكان للقتيل ولد أخ يدعى الملا يحيى المزوري، أشتهر بين قومه بالزهد والتقوى فأستنجد بأمير العمادية للثأر لعمه فلم ينجده، فاستجار بوالي بغداد فلم يجره، وأخذ الالتجاء إلى أمير راوندوز محمد باشا المعروف بميركوه فكان عند حسن ظنه فيه إذ جهز جيشا" عرمرما قاد زمامه بنفسه وأجتاز الزاب الأكبر إلى منطقة اليزيديين فهجم عليهم هجوما" شديدا" وأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وشتت من بقي منهم فإلتجأ قسم منهم إلى جبال الجودي وطور عابدين وسنجار، وأعتصم قسم برؤوس الجبال وأعماق الوديان وقسم آخر توجه نحو الموصل للاحتماء بأهاليها، ولكنهم وجدوا الجسر قد أزيح من محله لان مياه الفيضان وقد كان الوقت ربيعا" كانت طغت على الضفتين فلم يكن هنالك بد من رفع الجسر، لهذا التجأ اليزيديون إلى طلول كوينجق، على ضفة دجلة اليسرى وتحصنوا فيها وأستطاع فريق صغير أن يعبر النهر سباحة ويدخل الموصل آمنا"، ولكن جيوش أمير راوندوز ما لبثت أن طاردت هولاء المساكين وحاصرتهم في المواضع التي تحصنوا فيها عدة أيام، ولم تفسح المجال لأحد بالإفلات من المصير الذي كان ينتظره، كما ان أمير اليزيدية علي بك لم ينج من القتل وان نجا ولده حسين بك بأعجوبة، ولم يمض طويل وقت على هذه الحادثة حتى تعرض يزيدية سنجار إلى مجزرة أخرى في الحملتين اللتين شنهما عليهم محمد رشيد باشا وحافظ باشا ويقول لايارد ان ثلاثة أرباع السكان كانوا قد أبيدوا فأن اليزيديين كانوا قد أحتموا بالكهوف فحاصرهم الجند فيها وأبادوهم قتلا" بالرصاص والقنابر وخنقا" بالدخان".

لابد من الوقوف ولو بنظرة سريعة إزاء الأحداث المؤلمة التي ألحقت بالشعب الأيزيدي في هذه الحملة الدموية والتي تعد أقسى وأشرس الفرمانات على الشعب الأيزيدي على الإطلاق ، حيث وفر التوثيق التاريخي الذي يدلي بأن ثلاثة أرباع الشعب الأيزيدي فقدوا حياتهم في هذه الحملة وأستشهد هؤلاء جميعا" في سبيل الدفاع عن هويتهم الأيزيدية والحفاظ على وجودهم و جغرافيتهم، لابد لنا أن نعود إلى الأسباب التي دفعت بالقوات الغازية وأمرائها إلى ارتكاب هذه الويلات بحق الأيزيدية

الأبرياء، قبل أن نبحث عن السبب الحقيقي الذي دفع بهم إلى ارتكاب هذه الحملة الدموية، أكدت آنفا" بان القوات الغازية سواء كانت لها حجج من عدمها فإن تلك القوات كانت تسير إلى ألحاق الأذى بالشعب الأيزيدي في أي زمان ومكان ولم تكن لديها أوقات ثابتة بل على العكس فسكان وأراضي وممتلكات الأيزيدية كانت مستباحة بالنسبة لها، نعود إلى السبب الحقيقي الذي وقف وراء هذه الحملة وهو الأمير علي بك وارتكابه خطأ فادحا" بحق شخصه ومبادئه من جهة وبحق الشعب الأيزيدي من الجهة الأخرى، إذ كيف يوافق هذا الأمير أن يقتل ضيوفه وهم في داره وعلى زاده ، العقيدة الأيزيدية لا تؤمن بهكذا تصرفات ولا يوجد شيء من هذه التقلبات في أجنداتها الدينية والقومية والعشائرية وما فعله الأمير كان شأنا" شخصيا" ليست له علاقة بالعقيدة الأيزيدية التي هي براء منه في كل صغيرة وكبيرة، إذن سبب هذا الفرمان كان هو الأمير علي بك ، والشعب الأيزيدي أصبح ضحية تصرفاته اللاعقلانية .

٥٠- فرمان والي الموصل الثاني محمد باشا اينجه بير قردار (سنة ١٨٣٥ م):

بعد أن استولى محمد باشا اينجه بيرقدار على قلعة العمادية ورتب أمورها قام أثناء رجوعه إلى الموصل وفي طريق عودته بجمع رؤساء وزعماء أيزيديي الشيخان في قرية (كر محمد عرب) وقتل بهم حتى أبادهم عن بكرة أبيهم. من خلال الإطلاع على سير الحملات تبين لنا بأن القوات الغازية استعملت مناهج غريبة في أساليبها الهجومية ضد الشعب الأيزيدي وظهر بأنه حتى في أثناء فترات مرور القوات العسكرية في المناطق الأيزيدية بهدف العبور إلى مناطق أخرى لأسباب معينة لا تتعلق بالأيزيدية بصلة كانت تشن تلك القوات المارة حملات إبادة بحق الأيزيدية و تتنصل عن الأهداف التي أتوا بها من أجلها والتي لم يكن الشعب الأيزيدي في أجندتها ، أي انه أصبح مزاجا" شخصيا" يتغلغل في نفوس القائد أو الوالي بهدف دحر الشعب الأيزيدي و متى ما يشاء .

٥١- فرمان حافظ باشا (سنة ١٨٣٥ م) :

توجه هذا الوالي من استانبول وكان تحت لوائه سبعة باشوات بجيوشهم الكبيرة صوب الأيزيديين في منطقتي سنجار والشيخان، وجاء هذا الفرمان بعد الطاعون الذي فتك بالأيزيديين ولم يبق منهم بسبب الطاعون إلا عدد قليل ، فالأيزيديون الفقراء الذين نجوا من الطاعون والفرمانات السابقة قد أحتموا بالكهوف فحاصرهم الجند وأبادوهم قتلا" بالرصاص والقنابل الخانقة وخنقا" بالدخان، فأضطر الناجون ان يهجروا قراهم ومساكنهم ولم يبق من الايزيديين في سنجار سوى بضعة عشرات وجميعهم اجتمعوا في أوسفان بعد الفرمان وبرز على وجوههم الهلاك والجوع. لا حول ولا قوة إلا بالله، المرض الفتاك من جهة والقوات المتعطشة لدماء الأيزيدية من الجهة الأخرى، ماذا يفعل الأيزيدي البريء في ظل هذه الأجواء المشحونة بمظاهر القتل والتشريد والاعتقال وهتك الأعراض وسبي النساء والأطفال والأمراض المتفشية ؟ هذه المشاهد الدموية التي ألحقت بالأيزيدية لم تكن تحدث لوقت معين بل عاش بها الفرد الأيزيدي معظم أوقاته.

٥٢- فرمان محمد رشيد باشا (سنة ١٨٣٦ م) :

قام هذا الفرمان على الأيزيديين في سنجار وأوقعوا بالأيزيديين الباقين مجزرة أخرى بعد فرمان حافظ باشا البشع، كما أسلفنا بأن المعتدين تفننوا في أساليب العداء تجاه الأيزيدية ولم يشبعوا يوما" من الدماء الأيزيدية التي سالت في كل حملة، هذا الوالي قد سلك طريقا" دمويا" متعطشا" في اكمال المسيرة الدموية التي لم تجد نفعا" قبل عام.

٥٣- فرمان (سنة ١٨٣٧ م) :

قام حافظ باشا بشن حملة على أيزيديي سنجار، وفي هذا الصدد يقول (لونكريك) بأنه في سنة ١٨٣٧ م سحق جند من خارج العراق الأيزيديين في سنجار مرة أخرى ولم يذكر أي تفاصيل أخرى بخصوص هذه الحملة ونحن أيضا لم نحصل على معلومات إضافية تجاهها.

٥٤- فرمان والي الموصل محمد باشا اينجة بير قدار (سنة ١٨٣٨ م) :

حيث يقول أحد الرحالة عن ذلك، قام هذا الوالي بتوجيه ضربة ساحقة على الأيزيديين في سنجار، ويذكر المؤرخون انه فتك بهم فتكا" ذريعا"

ويظهر ان الحملة هذه كانت شديدة الوطأة عليهم، علما" ان هذا الوالي عمل نفس ما عمل بالأيزيديين في الشيخان في سنة ١٨٣٥ م .

٥٥- فرمان والي الموصل عمر باشا (سنة ١٨٤٠ م) :

قام هذا الوالي بقتل أعداد كبيرة من الأيزيديين فضلا" عن ممارسة أساليب أخرى . لا نمتلك التفاصيل الكاملة حول هذه الحملة ولكن نفهم من إطارها العام بأنه لاشك في أن يكون هناك عنف وقتل شديد بحق الشعب الأيزيدي ورأينا من خلال السياق العام بحيث أنه في كل مرحلة من مراحل حياة الإنسان الأيزيدي الشاقة كانت الدماء الأيزيدية تسيل دون رحمة، فأجندة المحتلين كانت واضحة وأهدافها قد تم تعريفها سابقا" وهي غير جديدة على الأيزيدية.

٥٦- فرمان الوالي الموصلي محمد باشا اينجة بير قدار (سنة ١٨٤٢ م) :

قام هذا الفرمان بسبب تأخير دفع الضرائب وكان هذا الوالي تواقا" إلى جلب الضرائب بالدفع العاجل، وفي تلك الأثناء جاء وفد من الأيزيدية يحملون عرض السلام والصفح إلا انه قام بقتلهم بقوة متناهية وقام بتعليق رأس زعيمهم وسبعة من الأشخاص الموالين له فوق بوابة الموصل، وبلغ التعامل مع الأيزيديين من الشدة والبطش حد انه أخذ يقطع رؤوسهم ويضعها في غرائر ويرسلها إلى الموصل لأجل العبرة والرعب.

٥٧- فرمان والي الموصل محمد شريف باشا (سنة ١٨٤٤ م) :

أسندت السلطات رتبة وزير إلى محمد شريف بك وما أن باشر بعمله حتى توجه بحملة دموية في بداية مشوار حكمه لإخضاع الأيزيدية في سنجار وكانت حملته أشد قساوة من حملة سلفه محمد باشا اينجه بير قدار، هاجمت قوات شريف باشا سنجار عام ١٨٤٤ م وجرت مذابح دموية بحق الأيزيديين وقتل فيها تقريبا" ثلاثة أرباع سكان الأيزيدية ومن ضمنهم (مطو حسين الدوملي بن مسقور أبو سفوك الجوانبي) الذي ألقي القبض عليه في كلي (قره حسن) بعد الحصار الذي دام ثلاثة أيام لقرية طيرف ثم قطع رأسه هناك.

٥٨- فرمان والي الموصل محمد باشا الكريدلي أوغلو (١٨٤٥م) :

هذا الوالي حكم الموصل خلفا" لمحمد شريف باشا وكان أعنف من سلفه بحسب ما أورده الباحثون، كان هذا الوالي لصا" شقيا" وقاطع

طرق ، كان أشد الولاة هولا" وأكثرهم رعبا" وخوفا" و محمد باشا كريدلي من أقسى ولاة الموصل عليها، وقام كريدلي محمد باشا بتوجيه حملة ضد الأيزيدية في سنجار سنة (١٨٤٥م) وكانت هذه الحملة هي لإخضاع رجال الأيزيدية للخدمة العسكرية العثمانية و قام بقطع رؤوس الرجال أمام النساء والأطفال ثم قامت قوات الباشا بسلب ونهب كل ما يملكه الأيزيديون فضلا" عن حصولها على الغنائم الكثيرة .

٥٩- فرمان ثاني لوالي الموصل محمد باشا كريدلي (سنة ١٨٤٥ م) :

في أواسط سنة ١٨٤٥م أتهم محمد باشا كريدلي أيزيدية الشيخان بالتخلي عن دفع الضرائب الحكومية الكثيرة، ولما كان الشيخ ناصر الزعيم الديني للأيزيدية من بين الذين تصدوا للحملة وقام بإرسال المتطوعين الأيزيديين للوقوف بوجه قواته ومساندة بني جلدتهم هناك فقد أصدر الوالي أوامره باعتقال شيخ ناصر وأرسل قوة عسكرية لتنفيذ ذلك إلا ان نائبه (بير سينو) حل محله حيث تلقى التعذيب مكانه دون أن يكشف سره، وقد تدخل(سام) نائب القنصل البريطاني في الموصل و قام الأخير بدفع مبلغ من المال للباشا عوضا" عن أيزيدية شيخان مقابل تحرير نائب الشيخ ناصر المحتجز بير سينو وترك الأيزيديين بسلام.

٦٠- فرمان طيار باشا (سنة ١٨٤٦ م) :

يذكر هنري لايارد وهو مفتش بخصوص مسائل الضرائب الحكومية وجمعها ويقول (وهو شاهد عيان في ذلك الوقت) قام الوالي بالهجوم على الأيزيديين في سنجار بحجة عدم دفع الضرائب في شهر تشرين الأول / سنة ١٨٤٦ م وكان يرافق الوالي فوج من المشاة وبعض السرايا الخيالة وفرق من الفرسان غير النظاميين وقد خيمت الحملة تحت السفح الشرقي من جبل سنجار، فلجأ الأهالي إلى الكهوف وأودية الجبل، حيث جرت معارك ومناورات مع القوات الأيزيدية المتحصنة في الجبل ، فقامت القوات العثمانية بحرق وتدمير ما بقي في هذه القرى وخاصة المهركان من الرجال والنساء والأطفال فقد تم قتلهم وأخذت القوات العثمانية عددا" آخر من العوائل الأيزيدية إلى الموصل ، وهناك احتجزت في ميدان عام بواسطة سياج شائك وقد طلب منهم الانسلاخ من هويتهم الأيزيدية و لما رفضوا ذلك بشدة جرى قتلهم بوحشية بالسهام

والرماح، ففي هذا الفرمان قتل القاضي العسكري العثماني حسب ماذكر بعض المؤرخين.

٦١- فرمان مدحت باشا (١٨٦٩ - ١٨٧٢ م) :

قام مدحت باشا والي بغداد للدولة العثمانية خلال فترة حكمه بشن عدد من حملات الإبادة تجاه أيزيديي سنجار مع فرض أحكام صارمة على الأيزيديين بهدف النيل منهم وبشتى الوسائل الممكنة، وكالعادة فقد سالت دماء أيزيدية كثيرة مع ارتكاب القوات الغازية سلسلة من الأساليب القمعية المتمثلة بهتك الأعراض وسبي الأطفال والنساء وقتل الشيوخ قبل الكبار وحرق المزروعات وغيرها من المشاهد المؤلمة.

٦٢- فرمان الفريق عمر وهبي باشا (فريق باشا) (سنة ١٨٩٠ م):[١٦٠]

" اليزيدي يمتنع عن الخدمة العسكرية في الجيش العثماني لأسباب دينية، ولكن حكومة عبد الحميد أرادت أن تجبرهم على التجنيد الفعلي، وأوفدت لأرشادهم نقيب ديار بكر الحاج مسعود بك فلم ينجح وصادف أن كتب من الموصل في ولاية عبد القادر كمالي باشا بلزوم أرسال قائد عسكري يخول صلاحية فوق العادة لأجل قمع العصاة ، والتنكيل بالعتاة وردع أرباب السلب والنهب وإصلاح ما وجب أصلاحه فأجابت القسطنطينية إلى ذلك وانتدبت الفريق عمر وهبي باشا لهذا الغرض وقد حددت مهمته في أمور عدة وما يخص الشعب الأيزيدي هو " تهذيب اليزيدية وإرجاعهم إلى حظيرة الإسلام بأسلوب حسن وإرشاد متين "، فدخل الفريق عمر وهبي باشا مدينة الموصل في ٥ حزيران سنة ١٨٩٠ م (١٣٠٨ هجرية) في ولاية عثمان باشا وبدأ في إنجاز هذه المهمة والظاهر أن الباشا أخفق في هذا الأمر، فأثار حفائظ الذين آلمهم بإجبارهم على تسديد ما عليهم من الديون ومكن لفيفا" من الأجانب للوشاية ضده لدى الباب العالي فآل الأمر إلى عزله بعد زمن قصير، وتفصيل الخبر إنه أستدعى رؤساء اليزيدية في الشيخان فلبوا دعوته وهم يجهلون أسبابها ولم يكن في الإمكان رفضها لما وقع من هيبته ومخافته في قلوب الأهليين ولما قاربوا المدينة خرج لاستقبالهم على

[١٦٠] (اليزيديون في ماضيهم وحاضرهم / الطبعة الخامسة / صفحة ١٦٦-١٦٧-١٦٨/ عبد الرزاق الحسني).

رأس كتيبتين من الجند المسلحين والموسيقى العسكرية، ومعه العلماء والسراة والفضلاء حتى إذا دخلوا دار الحكومة تلا عليهم قاضي المدينة آية التوحيد فكان منهم من أطاع وهم أمير الشيخان ميرزا بك وأخوه الصغير بديع بك واثنان آخران من العوام والبقية جميعا" امتنعوا فزجهم في السجن وأخذ في تعذيبهم وأرسل بقيادة أبنه الملازم الأول عاصم بك قوة كبيرة إلى الشيخان فنهب قصر الإمارة واستولى على المقدسات والسناجق وهدم قباب الأئمة والمشايخ وأجرى في مرقد الشيخ عدي من المنكرات والموبقات ما يكل عنه الوصف فهاج اليزيديون وماجو وأخذوا يفرون بدينهم وأرواحهم إلى الأماكن البعيدة، وفي أثناء ذلك أرسل الشيخ المدعو بأمين أفندي القره طاغي إلى معبد الشيخ عدي حيث فتحت هناك مدرسة دينية وعين له وللطلاب رواتب وأمره بالتدريس والإرشاد، هذا ما كان يحصل من جهة يسار دجلة، أي شرقي الموصل وشمالها الشرقي أما ما كان في يمينه أو بالتعبير الأصح ما حدث في سنجار غرب الموصل، فان اليزيدية هناك لم يخضعوا للإصلاح وقاتلوا كعادتهم الجيش الذي أرسله الفريق وتحصنوا في الجبال ودحروا العساكر العثمانية ولما سار بنفسه لتأديبهم أنتهز وكلاء الدول الأجنبية في الموصل فرصة غيابه عنها فأخبروا سفراءهم في الأستانة وبينوا لهم أعمال عمر باشا الفريق فلم ترق طبعا" هذه الأعمال الإصلاحية لأولئك السفراء كما لم يرتاحوا إلى هذه السياسة القاتلة فوشى هولاء السفراء بالفريق لدى الباب العالي فأصدر إرادته بعزل الفريق".

أوقعت قوات عمر باشا خرابا" ودمارا" شاملا" بأيزيدية الشيخان وبالمعالم الأثرية والدينية وقاموا بسلب ونهب جميع الممتلكات المالية وسبي النساء وهتك الأعراض، بعد أن علم أهالي سنجار من الذين هربوا من منطقة الدنانية والشيخان من الذين نجوا من بطش جرائم عمر وهبي وما فعله أبنه عاصم بك من أرشيف لالش وكذلك الاستيلاء على مناطق الأيزيديين وهدم مزارات أوليائهم، أعلنوا العصيان في جبل سنجار، فأرسل الفريق عمر وهبي أبنه عاصم بك إلى سنجار مع عدد كبير من قوات الجيش النظامي لغرض تدمير أيزيدية سنجار، لكنه لم يتمكن من ذلك وبعدها خرج الفريق عمر وهبي باشا نفسه للانضمام إلى قواته وكانت تحت قيادته قوة كبيرة من الجنود والأسلحة أما بالنسبة

للأيزيدية في منطقة سنجار فاجتمعوا في قرية (بكران) بقيادة سفوك مطو باشا المسقوري الجوانبي ومحما عبدو الهبابي واستعدوا للقتال ضد قوات الفريق عمر وهبي، فتقدمت قوات وهبي باشا بأتجاه قرية بكران فخيم بقواته في منطقة تسمى حايا زورافا وفيها أخذ جميع استعدادته للهجوم، وفي (١٥ /نيسان سنة ١٨٩٣ م) هاجم الفريق عمر وهبي إلا ان الأيزيديين دافع عن أراضيهم وعقيدتهم وتصدوا لهذه المعركة بالهجوم المقابل وتكبد خلالها جيش الفريق عمر وهبي خسائر فادحة في الأرواح والمعدات فأضطر إلى الانسحاب والهزيمة المنكرة إلى مركزهم زورافا ثم لاحقهم الشعب الأيزيدي وطردهم من كافة مناطق سنجار وبعد الهزيمة توجه عمر إلى الموصل ثم إلى استانبول بعد ارتكابه جرائم عدة بحق الأيزيديين.

٦٣- فرمان بكر باشا (سنة ١٨٩٤م) :

قام هذا الفرمان على أيزيدية جبل سنجار بقيادة بكر باشا في سنة (١٨٩٤م) وعندما علم الأيزيديون بذلك تجمعوا في قرية بكران واوسفان بقيادة سفوك مطو باشا واستعدوا للقتال وبرغم كثرة عدد جنود بكر باشا المهاجمة والأسلحة المتطورة أنزل بهم الأيزيديون هزيمة ودحروهم وقاوموهم بكل عزيمة وشجاعة ما أدى إلى انسحاب بكر باشا من جبل سنجار.

٦٤- فرمان أسعد باشا الدرزي والي الموصل (سنة ٢٢/ ايار /١٩١٠م) :

قاد الفرمان محمد فائز أفندي على الشعب الأيزيدي في سنجار وطالب بأداء الجندية إجباريا" على الأيزيدية وإخضاعهم تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية في الظروف التي كانت تظهر بين الحين والآخر اضطرابات داخلية بهدف الانسلاخ عن الدولة العثمانية.

٦٥- فرمان (عام ١٩١٣ م) :

أرسلت الدولة العثمانية قواتها إلى المناطق الأيزيدية بهدف إخضاع الأيزيديين إلى التجنيد الإلزامي وعلى إثرها قامت الحملة بتدشين عمليات ظالمة بحق الأيزيديين مع ان الأيزيديين أنزلوا بهم خسائر كبيرة أدت إلى عدم تمكنهم من الاستمرار في تمرير سياساتهم المجحفة بحق الشعب الأيزيدي، وليست لدينا المعلومات الكافية حول هذه الحملة .

٦٦- فرمان قائم مقام سنجار عام (١٩١٧ م) :

قاد هذا الفرمان إبراهيم بك والمعروف (بحجي إبراهيم باشا) على الأيزيديين في سنجار في عهد والي الموصل محمد أوج بك ما أدى إلى تدمير عدد كبير من أجزاء المنطقة وقتل عدد من أهاليها.

الخاتمة

إن النتائج ذاتها والتي دلت عليها مضامين هذا الكتاب ساعدت على رفض شروط التبعية والعنصرية التي كانت تفرض على كاهل الشعب الأيزيدي وقد أصبحت تلك الشعارات من الماضي، تم الاعتماد على المنهج الصائب والطرح الإيجابي اللذين تضمنا سمة الاعتدال في محاور هذا الكتاب التي ستدفع إرادة الإنسان الأيزيدي للنهوض إزاء إزاحة العجز المرغم الذي أحاط بكياننا الأيزيدي منذ زمن بعيد، لقد تبين الزيف الذي بنى عليه الزائفون في طروحاتهم الهدامة تجاه إرثنا الأيزيدي وانتمائه الحضاري لسومر وبابل وتجلت الحقيقة الدامغة وأصبحت في متناول اليد وهي لا تنخدش ولا تصدأ بأي طرح آني أو مستقبلي يراد منه ألحاق الأذى بموروث الشعب الأيزيدي ، لا تهمنا بعد اليوم أقاويل وإدعاءات مراوغي التاريخ ومشوهيه ما دام بين أيدينا هذا الصرح الحضاري وبأكمل وجوهه العريقة، لا نتردد في قول هذه الحقيقة بوجه كائن من كان ممن يريد ارتكاب الخطيئة والإساءة بحق هويتنا الأيزيدية التي تندرج تحت ثناياها المباركة القومية الأيزيدية والديانة الأيزيدية واللغة الأيزيدية والتاريخ الأيزيدي وتراثه الحضاري الممتد إلى سومر وبابل، سنقول الحقيقة حتى ولو على أنفسنا ما دام للحق آداب وقيم مثلى .

تناول كتابي هذا واقعا" تاريخيا" وما دفعني أن أسلك هذا الطريق هو إيماني بالشعب الأيزيدي الذي بدوره سوف يجعل من هذا الكتاب منهاجا" تاريخيا" وفكريا" وثقافيا" للراغبين بالانضمام أو السير وفق هذا المنظور لطالما أفتقر هذا الشعب لهكذا نموذج منهجي وموضوعي أحتوى في طياته كنوز تاريخية وحضارية أيزيدية صرفة .

الحلقة المفقودة من تاريخ الشعب الأيزيدي والتي تمتد من الفترة الزمنية التي أعقبت سقوط الإمبراطورية البابلية (٥٣٩ ق.م) لحين فترة مجيء الشيخ عدي بن مسافر (ع) عام (١٠٧٨ - ١١٦١ م / ٤٦٧ - ٥٤٠ هجرية) هي التي تربك عملنا القاضي في أعطاء الصورة بأبعادها المتكاملة إزاء التاريخ الأيزيدي ، الفترة الزمنية الممتدة بين هذين التاريخين شابها الغموض ولم يتوفق في كتابة الوقائع الأيزيدية وقد أشرت آنفا" إلى ان التاريخ جهلت مدوناته تجاه الشعب

الأيزيدي بفعل سياسات الأنظمة الحاكمة إلى جانب قيام بعض الأطراف بمحو تاريخنا لأسباب معروفة ، وفي هذا الصدد فهناك العديد من الشعوب التي مرت بنفس الظروف التي مرت على الشعب الأيزيدي ونتجت عن تلك الأحوال السلبية حلقات تاريخية مفقودة ومنها ، الآشوريين، كلنا نعلم بان الشعب الآشوري يمثل بقايا ذرية سكان الإمبراطورية الآشورية ولما سقطت الأخيرة عام ٦١٢ ق.م انتهى حضورها من الوجود وبذلك فأن الآشوريين الحاليين يشكون من الحلقة التاريخية المفقودة والتي تمتد من ظروف أعقاب سقوط إمبراطوريتهم عام ٦١٢ ق.م وإلى فترة ليست بالبعيدة .

(تم بعون الله)

المصادر

- قصة الحضارة - ول ديورانت- المجلد الأول (١ - ٢) نشأة الحضارة / الشرق الأدنى - ترجمة د. زكي نجيب محمود .
- الديانة عند البابليين - جان بوتيرو - ترجمة د. وليد الجادر.
- الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور) تأليف الدكتور هاري و.ف.ساكز - ترجمة كاظم سعد الدين.
- معابد بابل وبورسيبا تأليف روبرت كولديفاي - ترجمة الدكتورة نوال خورشيد سعيد.
- الأديان والمذاهب بالعراق - رشيد الخيون .
- حضارة العراق وآثاره - نيكولاس بوستغيت - ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي.
- تاريخ العالم - اوروسيوس - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي.
- كتاب (إثنوغرافيا شعوب العالم) للدكتور مجيد حميد عارف.
- اليزيدية بقايا من دين قديم - جورج حبيب .
- الحضارات القديمة (الجزء الأول) إشراف : ف.دياكوف /س.كوفاليف .
- الأقليات في التاريخ العربي - عوني فرسخ .
- العراق منذ فجر التاريخ إلى الاستعمار الإنكليزي (الانترنت).
- عبد الوهاب المسيري ، (الإنسان والحضارة، ص ١٩٤ : ١٩٦، كتاب الهلال، أكتوبر ٢٠٠٢).
- بلاد ما بين النهرين (تأليف ل.ديلا بورت / ترجمة محرم كمال).
- جدل الهويات (سليم مطر).
- تاريخ العنف الدموي في العراق - باقر ياسين.
- اليزيديون واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم - د. محمد التونجي.
- السمعاني صاحب كتاب الأنساب.
- العراق في التاريخ .
- لمحات عن اليزيدية - زهير كاظم عبود.

- عدي بن مسافر - مجدد الديانة الأيزيدية.
- التنقيب في التأريخ الأيزيدي القديم - زهير كاظم عبود.
- أصول الأزد - (الانترنت).
- التاريخ المستباح - عباس الزيدي.
- الحضر (ماجد الشمس).
- عشائر العراق - عباس العزاوي - المجلد الأول.
- موسوعة الأديان الشاملة - بسام مرتضى .
- المعتقدات الدينية لدى الشعوب - جفري بارندر - ترجمة الأستاذ الدكتور إمام عبد الفتاح إمام .
- تاريخ حضارة وادي الرافدين - الدكتور أحمد سوسة .
- سومر مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه المجلد السابع والثلاثون - الجزء الأول والثاني.
- سومر مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه الجزء الأول والثاني - المجلد السادس والأربعون.
- اليزيديون في حاضرهم وماضيهم - عبد الرزاق الحسني .
- اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم - الدكتور سامي سعيد الأحمد .
- ماهي اليزيدية ومن هم اليزيديون - محمود الجندي .
- تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم - عباس العزاوي.
- التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٥ - ١٩٣٩ تأليف الدكتور فاضل حسين والدكتور كاظم هاشم نعمت .
- جريدة وموقع صوت الشعب الأيزيدي الالكتروني.
- النظام الداخلي للحركة الأيزيدية من اجل الإصلاح والتقدم.
- الأيديولوجية الانقلابية - الدكتور نديم البيطار.
- تاريخ اليزيديين - جون س. كيست - ترجمة عماد جميل مزوري.
- عمر بن الخطاب - الدكتور علي محمد محمد الصلالي.
- حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا - د. عبد الوهاب رشيد حميد
- المعجم المسماري - معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية - الجزء الأول - الدكتور نائل حنون.
- (سامي خشبة: مصطلحات الفكر الحديث، ج٢، ص ١٥٦، ط مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٦).

- عبد الوهاب المسيري ، (الإنسان والحضارة، ص ١٩٤ : ١٩٦، كتاب الهلال، أكتوبر ٢٠٠٢).
- افتتاحية بول سالم: أبعاد : العدد الثالث أيار ١٩٩٥ :مفاهيم القومية والحالة العربية (ص ٤ - ١٥).
- الموسيقى في الديانة الأيزيدية للدكتور: إياد يونس.
- الأيزيدية ديانة قديمة تقاوم نوائب الزمن - كاظم حبيب.
- أساطير الآلهة في بلاد الرافدين - ناجح المعموري.
- أسرار بابل - ف.أ. بليافسكي - ترجمة توفيق فائق نصار.
- حضارة وادي الرافدين / الأسس المادية - دانيال تي بوتس - ترجمة كاظم سعد الدين.
- عظمة بابل - هاري ساغز - ترجمة (خالد أسعد عيسى - أحمد غسان سبانو).
- الكشاف الأثري في العراق - الدكتور قحطان رشيد صالح.
- الأيزيديون- نشأتهم - عقائدهم - كتابهم المقدس - توفيق الحسيني.
- حضارة العراق (الجزء الأول) - تأليف نخبة من الباحثين العراقيين.
- اليزيدية.. عقيدة وتراث - يوسف زرا - ص ١٥، ٢٠، ٣٧، ٥١، ٦٠ .
- لوحات الفنان رفو سنجاري.

الفهرس

